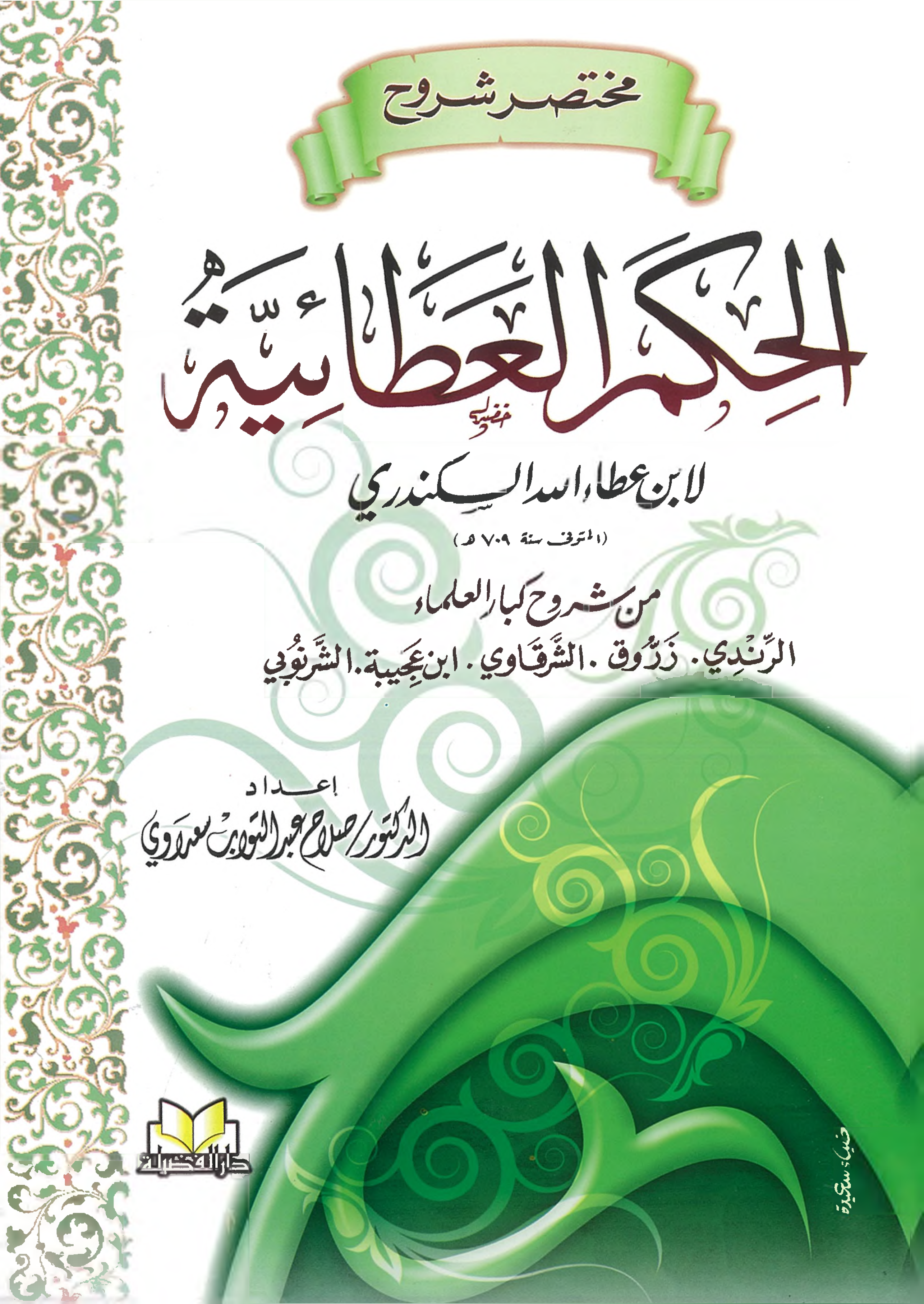


مختصر شروح
الحِكَمُ العَطَائِيَّةُ
لابن عطاء الله السكندري
(المتوفى سنة ٧٠٩ هـ)
من شروح كبار العلماء
الرّندي. زرّوق. الشرقاوي. ابن عجيبة. الشرنوبي
إعداد
الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي
دار الفضيلة

بطاقة فهرسة

أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

ابن عطاء الله الإسكندري ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين

ابن عطاء الله الإسكندري ، 000 - 1309 م .

مختصر شروح الحكم العطائية / لابن عطاء الله السكندري ؛ شرح الرندي ... (وآخرون) ؛ إعداد : د . صلاح عبد التواب سعداوي .

ط 1 - القاهرة : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، 2014 م

304 ص ، 24 سم

رقم الإيداع : 14902 / 2014 م

تدمك : 0 – 528 – 297 – 977 – 978 .

1 - التصوف الإسلامي .

أ – الرندي (شارح مشارك) .   ب - سعداوي ، صلاح عبد التواب (معد) .

ج - العنوان .   260



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، رب السموات والأرض وما فيهن ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، أنطق ألسنة من يشاء من عباده بالحكمة ، وبها أنار قلوب من أراد من عباده ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء أجمعين ، محمد بن عبد الله ﷺ ، أعطاه ربه من الكلم جوامعه ، فنطق بالحكمة والموعظة الحسنة لسانه ، ففتح الله بها قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وآذانًا صمًّا ، فاللهم صل وسلم على من شرحت له صدره ، ورفعت له في العالمين ذكره ، ووضعت عنه وزره ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانه إلى يوم الدين ... **وبعد** :

فإن **الحكم العطائية** من العبارات البليغة التي احتوت ألفاظها على معان جمة ، ومواعظ شتى ، وصاحبها هو **أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندراني** أو **السكندري** ، نسبة إلى الإسكندرية ، وهو من أصل عربي من الجذاميين الذين وفدوا إلى مصر بعد الفتح الإسلامي ، وكان مالكي المذهب ، شاذلي الطريقة ، وتوفي سنة 709هـ ، وكان تلميذًا **لأبي العباس المرسي** ، وصحبه لمدة اثنى عشر عامًا ، وتأثر به ، وقد وهب الله ابن عطاء بلاغة وحكمة ، ظهرت جلية من خلال **حكمه العطائية** ، وقد نالت تلك الحكم شهرة كبيرة بين الناس ، ونالت استحسان الكثير من العلماء ، الذين انهالوا عليها بالشرح والتحليل والتفسير.

ومن العلماء الذين قاموا بشرح تلك الحكم : **الشيخ ابن عجيبة** ، في كتابه « إيقاظ الهمم في شرح الحكم» ، **والشيخ الخطيب الشربيني** ، في كتابه « سواطع الحكم » ، **والشيخ أحمد زروق** ، في كتابه « قرة العين في شرح حكم العارف بالله ابن عطاء الله السكندري » ، **وابن عباد الرندي** ، في كتابه « غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية » ، **والشيخ عبد المجيد الشرنوبي** ، في كتابه « شرح الحكم العطائية » ، **والشيخ عبدالله الشرقاوي** شيخ الأزهر سابقًا ، في كتابه « الحكم العطائية » ، **والشيخ سعيد حوى** في كتابه « مذكرات في منازل الصدّيقين والربّانيين » ، **والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي** في كتابه « الحكم العطائية .. شرح وتحليل » ، ويقع في خمسة مجلدات ، والدكتور **محمد صحري** ، في كتابه « مراحل السلوك الصوفي من خلال الحكم العطائية » .

وقد انتقينا عددًا من هذه الشروح ، وقمنا بتلخيص شروحهم حول هذه الحكم ، وذلك بناء على اقتراح مبارك من فضيلة الأستاذ الفاضل الشيخ / طه عاشور صاحب دار الفضيلة للنشر والتوزيع - حفظه الله تعالى - ، وعلى ضوء هذا التوجيه المبارك بفضل الله تعالى تم عرض الحكم العطائية بشروح كل من الشيخ ابن عجيبة ، والخطيب الشربيني ، وأحمد زروق ، وابن عباد الرندي ، والشيخ الشرقاوي - رحمهم الله جميعًا ، وكانت خطة العمل قائمة على عرض الحكمة ثم عرض ملخص لشروحها عند هؤلاء ، بما يفيد الهدف منها ، ومقصودها عند ابن عطاء ، وذلك بحسب الترتيب الزمني لهم ، وإن كان ثمة تكرار لشرح الحكمة اكتفينا بعرض الأسبق منهم ، وذلك في محاولة لجمع أكبر فائدة للقارئ من هذه الحكم ، من خلال تقديم خلاصة تلك الشروح والتحليلات المختلفة للحكم ومفهومها ومقصودها عند هذه النخبة من العلماء ، مبتعدين عن العبارات التي قد يكون فيها مخالفة للعقيدة الصحيحة .

سائلين المولى - عز وجل - أن يبارك في هذا العمل ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويجزي القائمين على إخراج هذا العمل خير الجزاء ، وأن يجعله في ميزان حسناتهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

دكتور صلاح عبدالتواب سعداوي

أستاذ الفقه وأصوله المساعد

كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين



ترجمة ابن عطاء الله السكندري

اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام تاج الدين ، أبو الفضل ، وأبو العباس ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله ، الجذاميُّ نسبًا ، المالكيُّ مذهبًا ، الإسكندرانيُّ دارًا ، الصوفيُّ حقيقة ، الشاذليُّ طريقة .

نشأته وطلبه للعلم :

نشأ ابن عطاء الله في مدينة الإسكندرية طالبًا للعلوم الشرعية من : تفسير وحديث وفقه وأصول ، وللعلوم العربية من : نحو ولغة وبيان ، وكان يُنكر فيه على الصوفية إنكارًا شديدًا تعصبًا لعلوم الفقهاء ، ثم صحب أبا العباس المرسي ، وتصوَّف على طريقة الشاذلي بعد أن زال إنكاره وتعصُّبه لأهل علم الظاهر ، ولم ينقطع في هذا الطور عن طلب العلوم الشرعية ، بعد معرفته أن صحبة الصوفية لا تعني التجرُّد وترك الاشتغال بالعلم ، أو بأي أمر دنيوي آخر يُقصد به وجه الله تعالى .

وبعد وفاة الشيخ أبي العباس المرسي سنه (686 هـ) أصبح ابن عطاء الله وارث علمه ، والقائم على طريقته ، والدعوة لها من بعده ، وكان قبل وفاة المرسي أهلًا لتدريس الفقه بمدينة الإسكندرية ، وقد رحل من الإسكندرية إلى القاهرة ؛ ليقيم فيها ، وليشتغل بالتدريس والوعظ ، فتولى التدريس في أكبر الجامعات الإسلامية وأقدم جامعة في العالم ، وهي الجامع الأزهر الشريف ، ومن هنا كثرت شهادات العلماء له بالفضل والتقدُّم ، ومن ذلك شهادة شيخه أبي العباس المرسي ، والإمام الذهبي .

شيوخه :

تتلمذ ابن عطاء الله على كثير من مشاهير علماء الإسكندرية ، ومنهم :

1-الفقيه ناصر الدين بن المنيّر الجروي .

2-الشيخ شهاب الدين أحمد بن إسحاق الأبرقوهي .

1- المحيي المازوني .
2- الإمام الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي .
3- الشيخ محمد بن محمود المعروف بشمس الدين الأصبهاني .
4- الشيخ أبو العباس المرسي أحمد بن عمر .
5- الشيخ أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله .

تلاميذه :

من أشهر تلامذة ابن عطاء الله :

1- الشيخ داود بن عمر المعروف بابن باخلا ، خليفة ابن عطاء الله .
2- الشيخ أبو الحسن علي القرافي .

آثاره العلمية ومصنّفاته :

ترك ابن عطاء الله الكثير من المؤلفات ، منها :

1- أحكام العقيدة .
2- أصول مقدمات الوصول .
3- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس .
4- تحفة الخلان في شرح نصيحة الإخوان .
5- حزب النجاة .
6- الحكم العطائية .
7- دعاء .
8- رسالة في السلوك .
9- رسالة في الدعوة إلى التقوى ، وتنفيذ الفروض الدينية .

وفاتـه :

تـوفي ابـن عطـاء الله السـكندري في القاهـرة بالمدرسـة المنصوريـة سـنة709 هـ في شـهر جمـادى الآخـرة ، ودفـن بالقرافـة بقـرب بنـي الوفـا ، وقـبره لا يزال موجـودًا .



اسمه ونسبه :

هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم ابن يحيى بن عباد النفري الحميري الرندي ، أبو عبد الله ، المعروف بابن عباد ، متصوف باحث من أهل (رندة) بالأندلس .

نشأته وطلبه للعلم :

ابن عباد الرندي صوفي أندلسي عظيم ، ولد في مدينة رُندة قرب قرطبة في جنوب إسبانيا سنة سبعمائة وثلاث وثلاثين من الهجرة ، سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وسبعين من الميلاد ، وكان من أسرة نبيلة في المدينة جمعت بين التقوى والفقه في الدين ، فأبوه أبو إسحاق إبراهيم ، كان قاضيًا وخطيبًا دينيًّا مفوهًا ، يعظ الناس في مسجد رندة ، وقد أخذ ابن عباد عن أبيه القرآن ومبادئ العربية .

أخذ في طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى أشير إليه ، وتكلم في علم الأصول والمقامات والعلل والآفات ، وقد أخذ التصوف خصوصًا على الشيخ الصالح الورع أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر ، وأقام معه ومع أصحابه في مدينة سلا سنين عديدة .

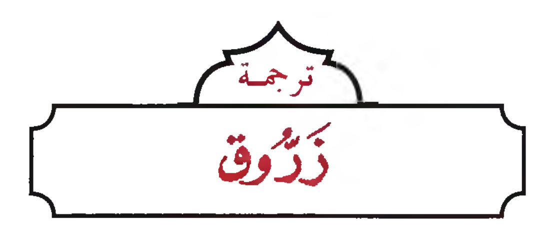
آثاره ومصنفاته العلمية :

للشيخ الرندي كتب ومصنفات ، منها : (غيث المواهب) ، و(الرسائل الكبرى) في التوحيد والتصوف ، و(متشابه الآيات) ، و(كفاية المحتاج) ، و(الرسائل الصغرى) ، و(فتح الطرفة) ، و(شرح أسماء الله الحسنى) .

وفاته :

توفي الرندي بفاس رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة للهجرة ، سنة ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين من الميلاد .

* * *



اسمه ونسبه ونشأته :

هو الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، الشهير بزرُّوق ، الفقيه المالكي ، الزاهد الصالح العارف بالله .

ولد الشيخ أحمد زرُّوق في يوم الخميس من شهر المحرم لسنة ست وأربعين وثمانمائة للهجرة .

توفيت أمه بعد ولادته بيوم واحد ، وتربى في حجر جدته لأمه ، وهي أم البنين .

شيوخه :

أشهرهم : الإمام عبد الله بن محمد بن قاسم القوري شيخ فاس ، والإمام الزاهد عبد الله بن محمد العبدوسي ، والقاضي أبو العباس الوزروالي .

تلاميذه :

أخذ عن الشيخ زرُّوق جمع غفير من الطلبة والمستفيدين ، وخصوصًا بعد استقرار الشيخ بمصراته ، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ :

- الإمام الفقيه محمد بن عبد الرحمن الحطَّاب الرعيني ، وابنه أبو البركات .
- الإمام الفقيه المتكلم شمس الدين محمد بن حسن اللقاني .
- الإمام الفقيه أحمد بن عثمان الشرنوبي ... وغيرهم كثير ممن يطول المقام بذكرهم .

آثاره العلمية ومصنفاته :

من أهم مصنفاته : (أصول القواعد) في الطريقة الصوفية ، (تعليق على صحيح البخاري) قدر عشرين كراسة ، (النصيحة الكافية) ، (رسالة في مصطلح الحديث) ، (شرح أسماء الله الحسنى) ، (شرح حكم ابن عطاء الله) ، (شرح دلائل الخيرات) ، (شرح الإرشاد) لابن عسكر في الفقه المالكي ، (شرح عقيدة الغزالي) ، (شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني) ، وهو مشهور ومتداول ، (شرح قواعد عياض) في الفقه المالكي .

وفاته :

توفي الشيخ زرُّوق في اليوم الثامن عشر من شهر صفر لسنة تسع وتسعين وثمانمائة للهجرة .



ترجمة

الشَّرقاوي

اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام العلّامة والنحرير الفهّامة الفقيه الأصولي النحوي شيخ الإسلام والمسلمين عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري الشهير بالشرقاوي ، شيخ الجامع الأزهر .

نشأته وطلبه للعلم :

ولد ببلدة تسمى الطويلة بشرقية بلبيس بالقرب من القرين في حدود الخمسين ومائة وألف من الهجرة وتربى بالقرين ، فلما ترعرع وحفظ القرآن قدم إلى الأزهر ، وسمع الكثير من الشهابيين : الملوي ، والجوهري ، والحفني ، وأخيه يوسف ، والدمنهوري ، والبليدي ، وعطية الأجهوري ، ومحمد الفاسي ، وغيرهم كثيرين ، وبآخره تدقق بالسلوك والطريقة على الشيخ محمود الكردي ، ولازمه وحضر معه الأذكار ، وتميز في الإلقاء والتحرير .

آثاره العلمية ومصنفاته :

للشيخ الشرقاوي مؤلفات دالّة على سعة فضله ، من ذلك (حاشيته على التحرير) ، و(شرح نظم يحيي العريطي) ، و(شرح العقائد الشرقية) والمتن له ، و(شرح مختصر في العقائد والفقه والتصوف) ، و(شرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد) ، و(مختصر الشمائل) وشرحه له ، ورسالة في (لا إله إلا الله) ، و(رسالة في مسألة أصولية في جمع الجوامع وشرح الحكم) .

وفاته :

توفي - رحمه الله - في ثاني شهر شوال سنة 1227 هـ .

* * *



اسمه ونسبه :

هو الإمام العلّامة المفسر أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد المعروف بابن عجيبة ، والمكنى بأبي العباس ، الحسني نسبًا ، التطواني دارًا ، الفاسي تعلمًا ، المالكي مذهبًا ، الشاذلي طريقة .

نشأته وطلبه للعلم :

ولد الإمام ابن عجيبة في قرية (أعجبيش) ، من قبيلة (أنجرة) ، التي تسكن الجبال المحيطة بمدينة تطوان ، والواقعة في أقصى شمال المغرب ، على مسافة عشرة كيلو مترات ، من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكان مولده سنة ستين أو إحدى وستين ومائة وألف هجرية .

ولد الشيخ من أبوين صالحين ، كلاهما من آل بيت النبوة ، يرجع نسبهما إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وقد نشأ الشيخ في بيت صلاح وتقوى ، وأقبل على حفظ القرآن وهو في سن مبكرة ، وقد تميز بالقدرة على التركيز العلمي ، وتوقّد القريحة ، ورحل إلى مدينة القصر الكبير وأقام فيها نحوًا من عامين ، اجتهد خلالهما في تحصيل العلم ، ثم انتقل إلى تطوان وهو ابن عشرين عامًا ، وأقام فيها ، وأقبل على تحصيل العلم في شتَّى الأبواب بكل جد ، وتنوعت مجالسه بين أئمة الفقه ، والتفسير ، والحديث ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والمنطق ، وسرعان ما ظهرت ثمار هذا الجد والاجتهاد ، فبزغ نجمه وعلا شأنه ، وجلس للتدريس في مساجد تطوان ومدارسها ، ولم يكتف بذلك بل شد الرحال إلى فاس وهو في سن الأربعين ، فسمع من علمائها ، وأخذ عنهم .

شيوخه :

تتلمذ أبو العباس على كثير من علماء عصره ، ومن أهمهم :

1- الفقيه القاضي عبد الكريم بن قريش .

2- الفقيه الشيخ أبو الحسن على بن أحمد بن شطير الحسني .

3- الفقيه العلّامة أبو عبد الله محمد بن الحسن الجنوي الحسني .

4- العلّامة المحدث أبو عبد الله محمد بن القاود بن الطالب بن سودة المري .

5- الحافظ أبو عبد الله الطيب بن عبد المجيد بن كيران .

6- العلّامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بنيس الفاسي .

7- العلّامة الصالح أبو عبد الله محمد بن علي الورزازي .

آثاره العلمية ومصنفاته :

لأبي العباس ابن عجيبة كتب كثيرة ، منها : (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) في أربعة مجلدات ضخام ، و(أزهار البستان في طبقات الأعيان المالكية) ، ولم يتمه ، و(شرح القصيدة المنفرجة) ، و(شرح صلوات ابن مشيش) ، و(تبصرة الطائفة الزرقاوية) ، و(الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) ، و(الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية) جمع فيه النحو والتصوف ، و(إيقاظ الهمم في شرح الحكم) .

وفاتـه :

توفي – رحمه الله – في منتصف القرن الثالث عشر في السابع من شوال لسنة ألف ومائتين وأربع وعشرين للهجرة ، الموافق ألف وثمانمائة وثمانٍ للميلاد بالطاعون في بيت شيخه محمد البوزيدي بقرية (غمارة) شرق مدينة تطوان ، وبها دفن ، ثم نقل إلى (الزميج) حيث أعيد دفنه هناك .





ترجمة الشَّرنُوبي

اسمه ونسبه :

هـو الفقيـه المالكـي المـصري ، العلّامـة المجيد ، واسـطة العقد الفريـد ، العمـدة الإمام ، المؤلـف المحقِّـق الهمام عبـد المجيد بـن إبراهيـم الشّرنوبي .

نشأته وطلبه للعلم :

ولد الشرنوبي في بلدة (شرنوب) التابعة لمركز دمنهور بمديرية البحيرة بمصر ، التحق الشرنوبي بالأزهر الشريف ، فأخذ عن جُلَّة من علمائه ، ثم عُيِّن بدار الكتب الأزهرية ، وعمل مصحّحًا بدار الطباعة المصرية الأميرية ، كان مشغولًا بالتدريس في الأزهر ، وتأليف الكتب ونشرها ، في الفقه ، والحديث ، والتصوف ، واللغة ، والنحو ، وغيرها .

آثاره العلمية ومصنفاته :

ترك لنا الإمام عبد المجيد الشرنوبي – رحمه الله – تآليف كثيرة ، رُزق فيها القبول ، منها :

1- إرشاد السالك شرح ألفية ابن مالك .
2- تحفة العصر الجديد ونخبة النصح المفيد .
3- تقريب المعاني على رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني .
4- دلالة السالك على أقرب المسالك .
5- ديوان خطب مثلث السجعات ، وآخر مربع السجعات والرابعة آية .
6- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية .
7- شرح حكم ابن عطاء الله السكندري ، وهو شرح موجز ملخَّص من زُبد أغلب شُرَّاحها .
8- مناهج السعادات على دلائل الخيرات .

وفاتـه :

توفي العلَّامة الشرنوبي سنة ألف وثلاثمائة وثمانٍ وأربعين – رحمه الله تعالى .



1
من علامات الاعتماد على العمل ، نقصان الرجاء عند وجود الزلل

الرندي :

الاعتماد على الله تعالى صفة العارفين الموحِّدين ، والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين ، فمن اعتمدوا على أعمالهم وسكنوا إلى أحوالهم ، إذا وقعوا في ذلة ، نقص بذلك رجاؤهم[1] .

زرُّوق :

من الناس من يعتمد على عمله ، وهذا موقفه التقصير ، وغايته التشمير ، ومقامه الإسلام ؛ لدورانه مع العمل رجاءً أو خوفًا ، فهذا ينقص رجاؤه عند وقوع الزلل منه[2] .

الشرقاوي :

من اعتمد على عمل الجوارح ، من صلوات وأوراد وأذكار وغيرها ، نقص رجاؤه في الله تعالى أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب - وإن كان من العُبَّاد - وأن يوصله إلى مطلوبه للتقدم إن كان من المريدين ، عندما تصدر منه معصية ، كزنا وغفلة عن الله وترك أوراد[3] .

ابن عجيبة :

لا يعتمد المريد على نفسه ولا على عمله ، ولا على حوله وقوته ، وإنما يعتمد على فضل ربه وتوفيقه ، فالاعتماد على النفوس من علامة الشقاء والبؤس ، والاعتماد على الأعمال من التحقق بالزوال ، والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله ، وعلامة الاعتماد على الله أنه لا ينقص رجاؤه إذا وقع في العصيان ، ولا يزيد رجاؤه إذا صدر منه إحسان[4] .

الشرنوبي :

من علامات تعويل العامل على عمله أن ينقص رجاؤه في رحمة الله عند وجود زَلَلِهِ ، ومعنى ذلك رُجْحان الرجاء عند التحلي بالعمل والتخلي عن الزلل[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الرندي : (51/1 ، 52) .
(2) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ أحمد زروق : ص 35 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله لشيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي : ص 3 ، 4 .
(4) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني : ص 11 ، 12 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء للعلّامة الشيخ عبد المجيد الشرنوبي : ص 64 .

2

إرادتـك التجريـد مـع إقامـة الله إيـاك في الأسـباب من الشـهوة الخفيـة ، وإرادتـك الأسـباب مـع إقامـة اللـه إيـاك فـي التجريـد انحطـاط عـن الهمـة العلية

الرندي :

من أراد عدم التشغال بالأسباب الدنيوية ، رغم أن الله أقامه فيها بدوام ذلك له ، وأراد الخروج منها ، فذلك من شهوته الخفية ، ومن أقامه الحقُّ تعالى في عدم التشاغل بالأسباب ، وأراد الخروج إلى الأسباب فذلك من انحطاط همته وسوء أدبه[1] .

زرُّوق :

من أراد ترك الأسباب مع إرادة الله تعالى ذلك من شهوة النفس الخفية ، ومن أراد الأسباب مع إرادة الله تعالى تركها نزول عن الهمَّة العلية ، فالاشتغال بإرادة غير ما أقيم فيه المرء إساءة أدب بدون فائدة[2] .

الشرقاوي :

ميـل نفسـك أيهـا المريـد الصـادق إلى التجريد والخـروج عـن الأسـباب الظاهريـة ، وعدم معاناتهـا ، مـع إقامـة الله إياك فيهـا ، من شـهوات النفوس ، وإرادتك التسـبب والاكتسـاب ، مع إقامة الله إياك في التجريد عن تلك الأسـباب بتيسـير القوت لك من حيث لا تحتسـب ، انحطاط عن الهمة العَليَّـة [3] .

ابن عجيبة :

من آداب الفقير إقامته فيما أقامه الحق تعالى فيه من فعل الأسباب ، حتى يكون الحق تعالى هو الذي ينقله منها ، فإرادته الخروج عن الأسباب مع إقامة الله له فيها هو الشهوة الخفية ، ومن أراد الرجوع إلى الأسباب ، من غير إرادة الله ، فهو انحطاط من الهمة العلية إلى الهمة الدنية [4].

الشرنوبي :

عزمك أيها المريد على التخلص من الأسباب التي أقامك الله فيها ، كطلب الرِّزق الحلال، والاشتغال بالعلم الظاهر ، من الشهوة الخفية ، وكذلك إرادتك الأسباب الشاغلة عن الله الكريم ، مع إقامته إياك في التجريد ورزقك من حيث لا تحتسب ، انحطاط عن الهمة العلية [5] .

---

(1) غيث المواهب : (1 / 54 ، 55) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 37 ، 38 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله لعبد الله الشرقاوي : ص 5 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 16 ، 17 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 66 ، 67 .



3

سوابق الهمم لا تخْرِقُ أسْوارَ الأقدار

الرندي :

قـوى النفـس التي تنفعـل بها بعض الموجـودات بإذن الله تعـالى ، لا تنفعل الأشـياء عنها إلا بالقضـاء والقـدر ، فيجـب الاعتقاد بأنها أسـباب لا تأثير لـها ولا فاعليـة ، وأن الفاعل هو الله وحـده ، وَجَـدَ الفعلَ عندهـا لا بها[1] .

زرّوق :

قـوى النفـس الفاعلـة في الوجـود بـلا توقف كما يكـون من السـاحر عـن عُقَـده وَنَفْثِه ، ومـن المتريـض عـن تجريد قوى نفسـه ، ومن الـولي عن تحققـه ؛ إذ لا يتوقف الانفعـال في كلٍّ عـن حركة ، وذلـك بقضاء الله وقـدره[2] .

الشرقاوي :

الهمـم السـوابق ، أي سريعـة التأثـير في الأشـياء ، وهـي قـوى النفـس التـي تنفعـل عنهـا الأشـياء ، وتكـون للـولي كرامـة ولغـيره كالسـاحر ، والـذي يصيـب النـاس بعينـه ، وهـو العائـن ، إهانـة لا تنفعـل عنهـا الأشـياء إلا بتقديـر الله تعـالى وإذنـه[3] .

ابن عجيبة :

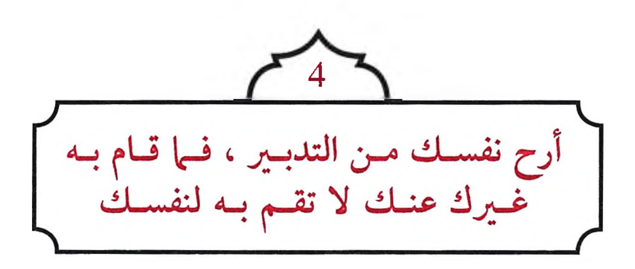
الهمم السوابق لا تخرق أسوار الأقدار ؛ أي : إذا اهتم العارف أو المريد بشيء وقويت همته بذلك ، فإن الله تعالى يكوّن ذلك بقدرته في ساعة واحدة ، حتى يكون أمره بأمر الله[4] .

الشرنوبي :

مـا قـدره الله في الأزل لا تُخَـرَقُ أسـواره المحيطـة بـه ، فضـلًا عـن أن تصـل إليـه قـوى النفـس التـي تنفعل عنها الأشـياء بـإرادة الله تعـالى ، وهي للولي كرامة ، وللسـاحر والحاسـد إهانـة ، فيجـب أن يعتقـد المريـد أن الهمـم لا تأثـير لهـا إلا بقضـاء الله تعالى وقـدره[5] .

---

(1) غيث المواهب : (1 / 59 ، 60) .
(2) حكم ابن عطاء الله للشيخ زروق : ص 39 ، 40 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 6 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 19 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 67 ، 68 .



4
أرح نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك

الرندي :

تدبير الخلق لأمور دنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم ؛ لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك ، وطلب منهم تفريغ قلوبهم منه ، ويقوموا بحق عبوديته ، ووظائف تكليفاته فقط ، فانشغال العبد بتدبير أحواله فيه تعب عظيم ، وإضاعة للعمر ، وفيه ترك للعبودية ، وربما لا يقع ما يريده ويخيب ظنه[1] .

زرّوق :

أفاد ذكره للإراحة وجود التعب فيما تُطلب الاستراحة منه وهو التدبير ؛ وذلك لما تضمنه من وجود التكدير ، ومنازعته الحكم والتقدير ، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك ؛ لأن ذلك تكلف في غير فائدة ، وعمل في غير معمل ، وتعب في غير حاصل [2].

الشرقاوي :

أرح نفسك أيها المريد من التدبير لأمر دنياك ؛ لأن الأمر مفروغ منه ، إذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى ، وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به[3] .

ابن عجيبة :

مقتضى الكلام أن التدبير على ثلاثة أقسام : قسم مذموم وهو الذي يصحبه التصميم ، لما فيه من قلة الأدب ، إذ ما قام به الحي القيوم عنك لا تقم به عن نفسك ، وقسم مطلوب : وهو تدبير ما كلفت به من الواجبات ، وما ندب إليه من الطاعات ، مع تفويض المشيئة إلى القدرة ، وقسم مباح : وهو التدبير في أمر دنيوي مع التفويض للمشيئة[4] .

الشرنوبي :

أرح نفسك من تعب التدبير المنافي للعبودية ؛ لأن الله دبَّر الأشياء في سابق علمه ، وما قام به غيرك لا تقم به لنفسك ، فإنك عاجز عن القيام به[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : ص 60 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 41 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله لعبد الله الشرقاوي : ص 7 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 20 ، 21 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 68 .



5

اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك ، دليل على انطماس البصيرة منك

الرندي :

اجتهادك في طلب الرزق الذي تكفَّل الله تعالى به ، وتقصيرك في العمل الذي يتوصل به إلى سعادة الآخرة من عبادات وطاعات ، دليل على طمس البصيرة ، وعمى القلب ، وعظم الجهل ، واتساع الغفلة ، وقلَّ أن يتنبَّه لمن يوقظه[1] .

زرُّوق :

المتأسف على الفائت ، وفقد التقوى في التحصيل ، والغفلة عن الحقوق المتأكدة في التسبب انطمست بصيرته وعمى قلبه ؛ لأنه أتى بالشيء على غير وجهه ووضعه في غير محله ؛ إذ عكس ما حقه ألا يُعكس ، وترك ما أُمر بالقيام به ، وقام بما كُفي أمره وهو المضمون[2] .

الشرقاوي :

اجتهادك فيما تكفّل الله لك به ، وهو الرزق ، تفضلًا منه وإحسانًا ، وتقصيرك في العمل الذي تتوصل به إلى مولاك من أذكار وصلوات وأوراد ، وغير ذلك من أنواع الطاعات ، دليل على عمى البصيرة وهي عين القلب[3] .

ابن عجيبة :

استفراغ الجهد والطاقة في طلب الرزق المقسوم ، والتفريط والتضييع لما هو مطلوب من الفرض المحتوم ، دليل على انطماس البصيرة التي هي ناظر القلب[4] .

الشرنوبي :

اجتهاد المريد في طلب ما تكفَّل الله له به من الرِّزق ، وتفريطه فيما طلب منه من العبادة ، دليل على عمى البصيرة ، وهي عين القلب تدرك بها الأمور المعنوية ، كما أن العين تدرك بها الأمور الحسية[5] .

---

(1) غيث المواهب : (1 / 61 : 63) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 43 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله لعبد الله الشرقاوي : ص 8 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 42 .

(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 68 .

6

لا يكن تَأَخُّرُ أَمَدِ العَطاءِ مَعَ الإلْحاحِ في الدُّعاءِ موجبًا ليأسِك ؛ فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك ، لا فيما تختارُهُ لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد

الرندي :

إذا دعا العبد وطلب من مولاه شيئًا ، يرى أن له فيه مصلحة ، أيقن بالإجابة لا محالة ، إلَّا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى يُعجلها متى يشاء ، وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاء ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعًا أو تأخيرًا ، وإن ألحَّ في دعائه وسؤاله ، وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيرًا[1] .

زرُّوق :

الإجابة مضمونة بمطلق الدعاء ، فإذا قمت بما طلب منك من الدعاء والإلحاح فيه فلا تيأس من الإجابة ؛ لأن يأسك ناشئ عن رؤية السببية بدعائك واجتهادك في حاجتك ، والله ضمن الإجابة بوعده ، وجعلها مطلقة ، إذ لم يقل بعين ما طلبتم ، ولا متى شئتم ، ولا كيف شئتم[2] .

الشرقاوي :

لا يكن تأخر زمن العطاء ، بتأخر ما يقع فيه مع الإلحاح في الدعاء ، موجبًا ليأسك من إجابة الدعاء ، فالله ضمن لك الإجابة ، فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد ، لا في الوقت الذي تريد[3] .

ابن عجيبة :

إذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة ، فارجع إلى وعد الله ، واقنع بعلم الله ، ولا تحرص ؛ ففي الحرص تعب ومذلة ، وإن كان ولابد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلبًا للحظ ، وإن تأخر عنك وقت العطاء فيه ، فلا تتهم الله من وعده ، ولا تيأس في نواله ورفده ، فإن الله ضمن لك الإجابة فيما يريد من خير الدنيا والآخرة ، وقد يمنعك لطفًا بك ؛ لكون الطلب لا يليق بك[4] .

(1) غيث المواهب العلية : (1/ 64 : 69) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 44 ، 45 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 8 ، 9 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 23 ، 24 .

الشرنوبي :

لا يكـن تأخـر وقـت العطـاء المطلـوب ، مـع المداومـة في الدعـاء ، موجبًـا ليأسـك مـن إجابـة الدعـاء ، فهـو سـبحانه ضمـن لـك الإجابة فيـما يختاره لـك ، لا فيـما تختاره لنفسـك ، فإنـه بـما يصلح لـك منك ، وكذلـك ضمن لـك الإجابة في الوقـت الذي يريـد ، لا في الوقت الذي تريـد[1] .

7

لا يُشَكِّكَنَّك في الوَعْدِ عَدَمُ وقُوع المَوْعُود ، وإن تَعَيَّن زمنُهُ ؛ لئلا يَكُون ذلك قَدْحًا في بَصِيرتك ، وإخمادًا لِنُور سَرِيرتك

الرندي :

الحق سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ، فمن وعده مولاه شيئًا ، وإن كان مُعيَّن الزمن ، ثم لم يقع ذلك الموعود ، فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه ؛ ويجوز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقًا على أسباب وشروط يعلمها الله دون العبد ، فعلى العبد أن يطمئن ولا يتشكك في ذلك ، ولا يتزلزل اعتقاده[2] .

زرُّوق :

لا يقولُ : الوعد صدق والزمان متعين ، والموعود مفقود فيتحير في ذلك ويشك ، وهذا من ضيق المعرفة ، والوقوف مع ظاهر الوعد دون نظر إلى باطن الأوصاف والأسباب والشروط التي يخفيها الله عن العبد ، فرؤية الأمر على غير الوجه المطلوب فيه من النظر لاتساع العلم ، قدحًا في البصيرة ، وإخمادًا لنور السريرة كذلك ؛ لأن نورها مستفاد من اتساع النظر ، والوقوف مع ظاهر الوعد منافٍ لذلك[3] .

الشرقاوي :

لا يُشـكِّكنَّك في الوعـد الـذي وعـدك به مـولاك في منـام أو على لسـانِ ملـكٍ ، أو بإلهام روحـاني ، عـدم وقـوع الموعـود ، وإن كان زمنـه معينًا بـأن أُلْهِمْـتَ أنه يحصل لـك في الوقتَ

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 70 . (2) غيث المواهب العلية : (1 / 69 ، 70) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 48 ، 49 .

الفـلاني فتـحٌ أو يحصـل في العـام رخـاءٌ أو غـير ذلـك ؛ لئـلا يكـون ذلـك الشـك قدحًـا في بصيرتـك ، وإخمـادًا لنور سريرتـك[1] .

ابن عجيبة :

إذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي أو الإلهام ، فلا تشك في ذلك الوعد إن كنت صديقًا ، فإن لم يتعين زمنه فالأمر واسع ، وقد يطول الزمان وقد يَقْصُر ، فلا تشك في وقوعه وإن طال زمنه ، فيكون ذلك تنقيصًا في بصيرتك ، وقد يكون سببًا في طمسها ، ويكون أيضًا إطفاء لنور سريرتك[2] .

8

إِذَا فَتَحَ لكَ وجْهةً مِنَ التَّعرُّف فَلَا تُبَال مَعَهَا أَنْ قَلَّ عَمَلُك ؛ فإنَّه ما فَتَحها لكَ إلا وهو يُريدُ أن يَتَعَرَّف إِلَيْكَ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّعرُّفَ هو مُورِدُهُ عَلَيْك ، والأعْمَال أنتَ مُهْدِيها إليه ، وأينَ ما تُهدِيهِ إليه ممَّا هُو مُوردُه عَلَيك ؟

الرندي :

معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب ؛ فإذا واجه الله تعالى عبده ببعض أسبابها ، وفتح له باب التعرف له منها ، وأوجد له طمأنينة فيها ، فذلك من النعم ، فينبغي ألا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر ، وما يترتب عليها من الأجر، وليعلم أن الله سلك به مسلك الخاصة المقربين ، من غير اكتساب من العبد ، ولا بعمل ، والأعمال التي يتمسك بها ، وهي من اكتسابه ، لا تسلم من دخول الآفات عليها ، ويطالب بوجود فيها ، وقد لا يحصل له الثواب فأين ما تهديه إلى الله من الأعمال مما هو مورده عليك ؟[3] .

زرّوق :

إذا فُتِح لك وجهة من التعريف ، وهي ما يُعَرِّفك بجلالة مولاك وحقارة نفسك ، وتعرف الدنيا وفيها ، فإذا قلَّ العمل وجب ألا تُبالي ؛ لأن الذي أمرك هو الذي قهرك ، فكما وجب امتثال أمره وجب الاستسلام لقهره ، وعلى العبد ألا يعزم على محظور ولا يفرط في مأمور ، فإن

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 10 .
(2) إيقاظ الهمم في شرح الحكم : ص 24 - 26 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 70) .

قصَّر به الحال فلا يُبالي ، فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك ، والأعمال أنت مهديها إليه ؛ لتتقرب وتنال مما لديه ؟! وأين ما تهديه إليه من أفعالك المدخولة وصفاتك الناقصة المعلولة ، مما هو مورده عليك ؟[1] .

الشرقاوي :

اعلم أن السالك لابد له في سلوكه من كثرة الأعمال ؛ ليقطع عقبات النفوس ويصل إلى حضرة الرب ، فإذا شرع في المجاهدة وطالت عليه المدة ، ربما كسل عن بعض أنواع العبادات ، فيحصل عنده غم ، وربما أراد الترك بالكلية مع كونه قد حصل عنده نوع من معرفة الله تعالى ، كأن عرف أن الله تعالى حاضر معه ، فلا يُبالي حينئذٍ بقلة العمل ، فإنه ما فتح تلك الوجهة إلا وهو يريد أن يواجهك بفضله ، ويَقْرُبَ منك ، وهذا أعظم من كثرة الأعمال الظاهرة ، ألم ترأن التعرف هو مُحَصِّله لك بطريق التفضل ، والأعمال أنت مهديها إليه ؟ وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليه ؟ فإن هدية العبيد وإن كانت جليلة هي صغيرة بالنسبة إلى هدية السيد[2] .

ابن عجيبة :

إذا تجلى لـك الحـق تعـالى باسـمه الجليـل ، أو باسـمه القهـار ، وفتـح لـك منهـا بابًـا ووجهـة لتعرفـهُ منهـا ، فاعلـم أن الله تعـالى أراد أن يُقَرِّبـك ويصطفيـك ، فالتـزم الأدب معه بالرضـا والتسـليم ، ولا تبـال بـما يفوتـك مـن الأعـمال البدنيـة ، فإنـما هـي وسـيلة للأعـمال القلبيـة ، فإنـه مـا فتح هـذا البـاب إلا وهو يريـد أن يرفـع بينك وبينـه الحجـاب ، ألم تعلم أن التعرفـات الجلاليـة هـو الـذي أوردهـا عليـك ؛ لتكـون عليـه واردًا ؟ والأعـمال البدنية أنت مهديهـا إليـه بهـا واصـلًا ، وفـرق كبـير بـين ما تهديـه أنـت مـن الأعـمال المدخولـة ، وبين ما يـورده عليـك الحـق تعـالى من تحـف المعـارف الربانيـة والعلـوم اللدنيـة[3] .

الشرنوبي :

إذا فتـح لـك الفتـاح – أيهـا المريد – جهـة من جهـات التعـرّف ، كالأمـراض ، والبلايا ، والفاقـات فإنهـا سـبب لمعرفـة الله تعالى بصفاتـه ، كاللطـف والقهـر وغيرهما ، فلا تبـال معها بقلـة عملـك ، ولا تغتـم ؛ لأنـه تعـالى ما فتح لـك تلك الجهـة إلا وهو يريـد أن يتعـرَّف إليك بواسـع فضلـه عليـك ، وهـذا أعظم من كثـرة الأعـمال التي تطالـب بالإخلاص فيهـا[4] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 51 ، 52 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 11 ، 12 .

(3) إيقاظ الهمم في شرح الحكم : ص 27 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 72 ، 73 .

9

تَنَوَّعَتْ أَجْنَاسُ ٱلْأَعْمَالِ ؛ لِتَنَوُّعِ وَارِدَاتِ ٱلْأَحْوَالِ

الرندي :

الأعمال الظاهرة تبعٌ لأحوال القلوب ، فأنواع الأعمال وأجناسها تتنوع لتنوع ما يرد على القلوب من المعارف الربانية والأسرار الروحية ، التي توجب أحوالًا حميدة[1] .

زرُّوق :

تتلون الحركات الجسمانية ؛ لتنوع الحركات القلبية ، فحركات الأجسام تبع لأحوال القلوب ، وإذا كانت كذلك فينبغي ألا تبالي بفقد الفرع ؛ لوجود أصله عند تعذر الفرع[2] .

الشرقاوي :

تنوعت أجناس الأعمال على العاملين ؛ لتنوع الواردات التي تنتج أحوالًا قائمة بقلوبهم تقتضي ميلهم إلى تلك الأعمال ، فبعض المريدين تجده مشتغلًا بالصلاة ، وبعضهم بالصيام ، فتنوع الأوراد في حق المريدين الصادقين ناشئ عن تنوع الواردات على قلوبهم[3] .

ابن عجيبة :

تنوعت أجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة ، أو أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب ، فإن ورد على القلب فيضٌ ظهر على الجوارح أثره من السكون ، وإن ورد عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة[4] .

الشرنوبي :

اختلفت أجناس الأعمال الظاهرة ؛ لاختلاف الواردات التي هي الأحوال القائمة بالقلب ، فإذا ورد على القلب العلم بفضائل قيام الليل ، توجه إليه وآثره على غيره ، فتقوم به الجوارح ، وكذلك باقي الأعمال[5] .



(1) غيث المواهب : (1 / 74) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 54 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 13 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 29 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 74 .



10

الأعمال صورٌ قائمة ، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها

الرندي :

إخلاص كل عبد في أعماله على حسب رتبته ومقامه ؛ فإخلاص كلِّ عبد هو روح أعماله ؛ فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ، ويكون فيها أهليةُ وجود القبول لها ، وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها[1] .

زرّوق :

الأعمال صورة قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها ، ولا عبرة بصورة لا روح فيها ، كما أنه لا قيام لروح دون صورتها ، والمراد بالسر قد يكون الإخلاص ، ويحتمل أن يكون الصدق المُعَبَّرُ عنه بالتبري من الحول والقوة[2] .

الشرقاوي :

الأعمال الظاهرة كالأشخاص التي ليس فيها أرواح ، فلا نفع بها ، وأرواحها التي بها حياتها ونفعها وجود الإخلاص فيها ، والإخلاص يختلف باختلاف الناس[3] .

ابن عجيبة :

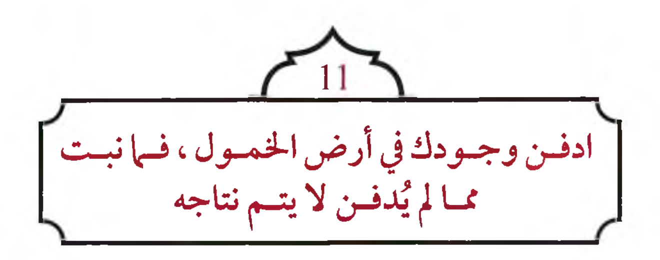
الأعمال كلها أشباح وأجساد ، وأرواحها وجود الإخلاص فيها ، فكما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح ، وإلا كانت ميتة ساقطة ، كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الإخلاص فيها ، وإلا كانت صورًا قائمة وأشباحًا خاوية لا عبرة بها[4] .

الشرنوبي :

أعمال البر أشباح ، وأرواحها التي بها حياتها وجود الإخلاص ، فمن عمل عملًا بلا إخلاص كان كمن أهدى جارية ميتة للأمير يبتغي بها الثواب ، وهو لا يستحق على ذلك إلا أنواع العقاب[5] .

---

(1) غيث المواهب : (1 / 75 ، 76) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 55 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 13 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 31 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 74 .



11

ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم يُدفن لا يتم نتاجه

الرندي :

لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت ؛ لأن ذلك من أعظم حظوظه التي هو مأمور بتركها ، ومجاهدة النفس فيها ، والجاه وإيثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو مطالب بها ، فإذا أخمل العبد نفسه وألزمها التواضع ، حينئذ تتزكى نفسه ، ويستنير قلبه بالإخلاص[1] .

زرّوق :

غيِّب ما تُذْكر به من علم وعمل وحال وغيره فيما ينفي عنك شهوة الرفعة عن عيوبك الأصلية والفرعية والعارضة ، فالزرع وما في معناه لا ينتج منه إلا ما دفن ، وما لم يدفن لا ينبت ، وإن نبت فلا ينتج ، وإن أنتج لا يتم نتاجه[2] .

الشرقاوي :

ما يُعين على الإخلاص أن تدفن نفسك في أرض الخمول ، وهو عدم الشهرة الشبيه بالأرض ، بألا تُعرِّض نَفْسَك للمناصب المُسَبِّبَة للشهرة ، فما نبت من الحَبِّ مما لم يدفن لا يتم نتاجه ، بل يكون ضعيفًا لا يُنتفع به الانتفاع التام ، وبقدر تحقق الخمول يتحقق مقام الإخلاص[3] .

ابن عجيبة :

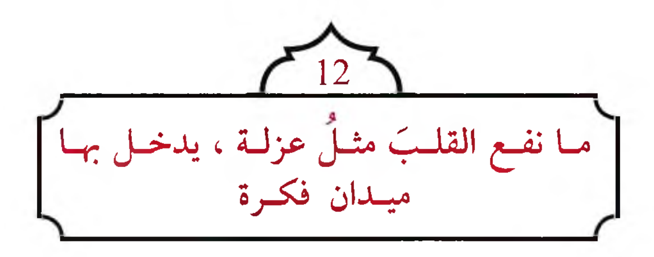
استر نفسك وادفنها في أرض الخمول حتى تستأنس به وتستحليه ، ويكون عندها أحلى من العسل ، ويصير الظهور عندها أمرّ من الحنظل ، فإذا دفنتها في أرض الخمول تجني ثمرتها ، ويتم لك نتاجها ، وهو سر الإخلاص ، وإذا لم تدفنها ماتت شجرتها أو أسقطت ثمرتها[4] .

الشرنوبي :

ادفن شهرة نفسك في الخمول ، بألا تتعاطى أسباب الشهرة ، فإن الخمول مما يعين على الإخلاص ، فإذا تعاطيت أسباب الشهرة في بدايتك ، قلَّ أن تفلح في نهايتك ، فما نبت من الحَبِّ مما لم يدفن في الأرض لا يتم نتاجه[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 76 - 79) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 56 - 57 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 14 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 33 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 73 - 74 .



12

مـا نفـع القلـبَ مثـلُ عزلـة ، يدخـل بهـا ميـدان فكـرة

الرندي :

مـداواة أمـراض القلـب واجبـة ، وتـأتي مـن وجـوه كثـيرة ، وأبلغهـا العزلة عـن الناس المصحوبـة بالفكـرة ، فبالعزلـة يتقيـد الظاهـر عـن مخالطـة من لا تصلـح مخالطتـه ، فيتخلص بالاعتـزال من المعـاصي[1] .

زرُّوق :

بالعزلـة يسـلم القلب مـن الأغيار ، وبالفكرة يسـتجلي الأنـوار ، وكل عزلـة لا تصحبها فكـرة فـإلى المحـق مآلها ، والفكـرة لا تصح بـدون العزلـة ؛ فالعزلة منـزل الفكرة[2] .

الشرقاوي :

مـا نفـع القلـب في التطهـر مـن غفلاتـه ، مثـل اعتزالـه عـن النـاس ، فمـن كان مخالطًـا للنـاس اشـتغل نظـره بالمحسوسـات ، فلا يتفكـر قلبـه إلا فيها ، فـإذا اعتزلهـم انعكس الحال وجـال القلـب في عالم الغيـب[3] .

ابن عجيبه :

لا شيء أنفـع للقلـب مـن عزلة مصحوبـة بفكرة ، والعزلـة هي تفرغ القلـب ، والمقصود مـن التفـرغ هو جـولان القلب واشـتغال الفكرة ، واشـتغال الفكرة هو تحصيـل العلم وتمكنه مـن القلـب ، وتمكن العلم بـالله من القلب هـو دواؤه[4] .

الشرنوبي :

مـا نفـع قلـبَ المريـد شيء من الأشـياء المُطهِّـرَة له مـن الغفلات مثـلُ عزلة عـن الخلق ، يتفكـر من خلالهـا في مصنوعات بـارئ الأرض والسـماوات[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 87) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 59 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 15 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 38 .

(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 77 .

13

كيف يُشرق قلْبٌ صُوَرُ الأكوان منطبعة في مرآته ؟ أم كيف يرحلُ إلى الله ، وهو مكَبَّلٌ بشهواته ؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ، وهو لم يتطهَّرْ من جَنَاية غفلاته ؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار ، وهو لم يَتُبْ من هفواته ؟

الرندي :

الجمع بين الضدين محال ؛ فإن إشراق القلب بنور الإيمان واليقين مضادٌّ للظلمة التي استولت عليه من ركونه إلى الأغيار والأكوان واعتماده عليها ، والمسير إلى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ، ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليها من جناية غفلاته التي مقتضاها الإقصاء والإبعاد ، وفهم دقائق الأسرار المستفاد من التقوى مضادٌّ للإصرار على المعاصي والهفوات[1] .

زرُّوق :

كيف يشرق قلب أعيان الموجودات مرتسمة فيه على وجه لا يقبل غيرها ، ويميل إليها ؟ وكيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته ؟ كلما أراد النهوض مالت به إلى الأرض ، وإن نهض له أمسكته عن السير ، فكلما اجتمعت له رغبة بكرةً فرقتها جنود الشهوة عشية ، فلا يصح رحيله عن عوالم طبعه إلى بساط الحق ، وحضرة الله دائرة ولايته ، ومقام اختصاصه بخواص عباده ، وهو مقام مطهر لا يدخله إلا مطهر من جناية الغفلة ، وهي الوقوع في الزلل من غير قصد ، وكيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته التي غمره رانها فأعمى قلبه عن مفهوماته ؟[2] .

الشرقاوي :

كيف يشرق قلب صور المكونات من الآدميين وغيرهم منطبعة في مرآته باعتقاده أنها تضر وتنفع ؟ وكيف يسير إلى الله مقيد بشهواته النفسية ؟ والمقيد لا يمكنه السير ، وكيف يطمع أن يدخل ذلك القلب حضرة الرب ، بأن يشاهده ، وهو لم يتطهر من غفلاته الشبيهة بالجناية ؟ فكما يُمنع الجُنب من دخول المسجد ، كذلك يُمنع من استولت عليه الغفلة من دخول حضرة الرب ، وكيف يرجو أن يفهم العلوم الدقيقة التي ترد على قلوب العارفين ، وهو لم يتب عما يصدر منه من المعاصي ، لا من قصد ؟[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 93 ، 94) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 63 ، 64 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 16 .

ابن عجيبة :

جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها وليس لها إلَّا وجهة واحدة، إذا قابلها النور أشرقت، وإذا قابلتها الظلمة أظلمت، ولا تجتمع الظلمة والنور أبدًا، فكيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان، وصور الأكوان الظلمانية منطبعة في مرآة قلبه ؟ فالضدان لا يجتمعان، فإذا أقبلت على الخلق أدبرت عن الحق، والعكس، ومادمت مقيدًا في هذا العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك الرحيل إلى ربك، فإذا رحل القلب من وطن شهوته وتطهر من لوث غفلاته، وصل إلى حضرة ربه، والحضرة مقدسة لا يدخلها إلا المطهرون، فحرام على القلب الغافل أن يدخل مسجد الحضرة، وإذا دخل القلب حضرة القدس، فهم دقائق الأسرار، وملئ بالمواهب والأنوار، فمن لم يتب من هفواته، ويتحرر من رق شهواته، فلا يطمع في فهم غوامض التوحيد[1] .

الشرنوبي :

لا يكون إشراق القلب مع انطباع صور الأكوان التي هي كالظلمة في مرآته، ولا يمكنه الرحيل إلى الله مع كونه مقيدًا بشهواته، ولا يدخل حضرة الله، أي دائرة ولايته المقتضية للطهارة، مع كونه لم يتطهر من جناية غفلاته، ولا يرجو أن يفهم دقائق الأسرار المتوقفة على التحرز من المعاصي، مع كونه لم يتب من هفواته[2] .

14

الكون كله ظُلمة، وإنما أناره ظُهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسُحب الآثار

الرندي :

العدم ظلمة، والوجود نور، فالكون بالنظر إلى ذاته عدم مظلم، وباعتبار تجلِّي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير، ثم اختلفت أحوال الناس هاهنا : فمنهم من لم يشاهد إلا الأكوان، وحُجب بذلك عن رؤية المكوِّن، فهذا تائه في الظلمات، محجوب بسُحب آثار الكائنات[3] .

(1) إيقاظ الهمم : ص 40 : 49 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 78 ، 79 .

(3) غيث المواهب العلية : ص 95 .

زرُّوق :

الظلمة لا تهدي إلى شيء بل تكف عنه ، فوجب رفضه فضلًا عن أن ينطبع في مرآة القلب ، وبذلك ينتفي الاعتماد على العمل وغيره ، وإنما كان ظلمة ؛ لأنه عدم في جميع أحواله ، أناره الله بالوجود الجائز بدلًا من العدم المجوز ، فظهر فيه سبحانه وتعالى بعلمه من حيث إتقانه ، وإرادته من حيث تخصيصه ، وقدرته من حيث إبرازه ظهور دلالة وتعريف ، لا ظهور حلول وتكييف ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده ، فقد احتاج إلى وجود الأنوار ، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار التي تغطي الحقيقة ، ومن شهده فيه فهو الكامل الأنوار[1] .

الشرقاوي :

الموجودات بأسرها عدمٌ محضٌ لا وجود له في نظر أصحاب الشهود ، وإنما أناره وأوجده ظهور الله فيه ، كظهور الشمس في الكُوّة ذات الزجاج ، فليس هناك إلا وجودٌ واحدٌ، وهو وجود الحق وبظهوره في الأشياء ، فمن رأى شيئًا من الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده ، فقد فاته وجود الأنوار الإلهية ، وحجبت عنه المعارف التي كالشموس بالآثار ، وهي الأكوان التي كالسحب[2] .

ابن عجيبة :

الكون من حيث كونيته وظهور حسه كله ظلمة ؛ لأنه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ، ولأنه سحاب يغطي شمس المعاني لمن وقف مع ظاهر حس الأواني ؛ فالكون كله ظلمة أناره تجلي الحق به وظهوره فيه ، فمن نظر إلى ظاهر حسه رآه جسمًا ظلمانيًّا ، ومن نفذ إلى باطنه رآه نورًا ملكوتيًّا ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه فقد فاته وجود الأنوار ومُنِع منها ، وحجب عنه شموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها وإشراق نورها ، لكن لابد للشمس من سحاب ، وللحسناء من نقاب[3] .

الشرنوبي :

الكون بالنظر إلى ذاته كلُّه ظلمة وعدم محض ؛ لأنه لا وجود له بذاته ، وإنما أوجده ظهور الحق تعالى فيه ظهور إيجاد وتعريف ، بمعنى أنه تجلى عليه بذاته ، وقال له كن فكان ، وهو قادر على إعدامه في الحال والاستقبال ، ثم إنَّ من الناس من حجبه الكونُ عن المكوّن تعالى فلم يشهده سبحانه ، أي : لم يشاهد تأثيره فيه ، وهو الذي فاته وجود الأنوار ، فصار محتاجًا لها ؛ لفقده عنده، وغابت عنه شموس المعارف الكاشفة عن الحقائق الموصلة إلى حضرة القدوس[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : 66 : 70 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 17 ، 18 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 50 ، 51 .

(4) شرح الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 78 : 80 .

15

مِمَّا يدُلُّك على وجود قهرِهِ ، سُبحَانه ، أن حَجَبك عَنْه بما لَيْس موجود مَعَهُ

الرندي :

أكثر الناس قد حُجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ، ودرجاتهم الأخروية ، ومقاماتهم العلوية ، فكل ذلك من الأغيار العدمية والوجودات الوهمية ، علَّمنا بذلك وجودٍ قهره ؛ ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وإرادتهم ، وبقوا بربّهم ، وكانوا عبادًا حــقًّا[1] .

زرّوق :

الخلائـق محجوبـون عنـه بهم ، وهـم عـدم ، فالعـدمُ حَجَب العـدَمَ ، وذلـك عجيب من الصنـع ، ثـم احتجـاب العـدم بالعدم دليل عـلى ظهـور الوجود بالموجـود بلا حجـب البتة ، وذلـك من أكبر شـواهد العظمـة[2] .

الشرقاوي :

ما سوى الله عدم محض ، من حيث ذاته ، لا يوصف بوجود مع الله تعالى ، ومع كون ما ذُكر عدمًا ، فهو حجاب عن الله تعالى ، فإن الناس لا يشهدون عند نظرهم للأكوان إلا هي ولا يشاهدون مكونها ، مع أنها لا وجود لها ، والوجود إنما هو له سبحانه[3] .

ابن عجيبة :

من أسماء الله تعالى : القهار ، ومن مظاهر قهره احتجابه في ظهوره ، وظهوره في بطونه ، وبطونه في ظهوره ، ومن أدلة وجوبه احتجابه بلا حجاب ، احتجب عن خلقه في حال ظهوره لهم ، وظهر في حال احتجابه عنهم ، فاحتجب عنهم بشيء ليس بموجود ، وهو الوهم ، والوهم أمر عدمي مفقود ، فما حجبه إلا شدة ظهوره ، وما منع الأبصار من رؤيته إلا قَهَّارية نوره ، فتحصل انفراد الحق بالوجود ، وليس مع الله موجود[4] .

الشرنوبي :

مما يدلك على أنه سبحانه القاهر فوق عباده ، أن حجبك عنه تعالى بالكون الذي ليس بموجود معه ؛ لأنك قد علمت أنه عدم محض من حيث ذاته ، فالوجود الحقيقي إنما هو لله تعالى ، وما سواه لا يوصف بوجود ولا فقد ، فلا يوجد معه غير لثبوت أحديته[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 98) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 71 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 18 ، 19 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 51 ، 52 .

(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 80 .

كيـف يتصـور أن يحجبـه شـيء ، وهـو الـذي ظهـر بـكل شـيء ؟
كيـف يتصـور أن يحجبـه شـيء ، وهـو الـذي ظهـر في كل شـيء ؟
كيـف يتصـور أن يحجبـه شـيء ، وهـو الـذي ظهـر لـكل شـيء ؟
كيـف يتصور أن يحجبه شـيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شـيء ؟
كيـف يتصـور أن يحجبـه شـيء ، وهـو أظهـر مـن كل شـيء ؟
كيف يتصور أن يحجبه شـيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شـيء ؟
كيـف يتصـور أن يحجبه شـيء ، وهو أقـرب إليك من كل شـيء ؟
كيـف يتصـور أن يحجبـه شـيء، ولـولاه مـا كان وجـود شـيء ؟
يـا عجبًـا كيـف يظهـر الوجـود فـي العـدم ؟
أم كيـف يثبـت الحـادث مـع مـن لـه وصـف القـدم ؟

الرندي :

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء بما أشرق عليه من نور الوجود، وقد كان في ظلمة العدم ؟! وكيف يتصور أن يحجبه شيء ، هو الذي ظهر بكل شيء حتى استدل عليه المستدلُّون بالأشياء ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت : 53] ؟! وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء ؟! إذ هو المتجلِّي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء في طور ذلك الشيء؟! ولذلك كان ساجدًا له ومسبحًا بحمده ، ولكن لا نفقه ذلك ، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟! لتحققه هذا الاسم له أزلًا وأبدًا . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء ؟! لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال . كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟! إذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء ؟! لثبوت إحاطته بك ، ووجود قيّوميته عليك . كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء ، حتى استدل به الشاهدون على الأشياء ؟! يا عجبًا ، كيف يظهر الوجود في العدم ؟ لأن العدم ظلمة ، والوجود نور ، وهما ضدّان لا يجتمعان . أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم ؟! لأن الباطل لا يثبت مع ظهور الحق[1] .

★ ★ ★

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 101 ، 102) .

زرُّوق :

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء ؟! ظهر به من حيث التعريف ؛ إذ أظهره من العدم فدل على أنه المنفرد بالكمال والبقاء والقدم . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء ؟! ظهر فيه بما أظهر عليه من آثار قدرته ، وتخصيص إرادته ، ودلائل حكمته وشواهد رحمته فكان مرآة لمعرفته . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء ؟! ظهر له بما ظهر فيه فكان عارفًا به على قدره حسب تعريفه . كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟! لأنه أظهر الأشياء فكان قبل وجودها ؛ إذ هو الأول الذي لا مفتتح لوجوده ، ولا ظهور لشيء إلا بإظهاره إياه ، فافهم ! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو ظهر من كل شيء ؟! لأنه الواجب الوجود لذاته ، وكل شيء إنما وجد بإيجاده ، وواجب الوجود أظهر للمناط العقلي أبدًا ولا غيره بوهم فيه فافهم ! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟! ليس معه شيء أبدًا كما لم يكن معه شيء أزلًا ؛ لأن الكل فعله وهو المنفرد بالكمال ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء ؟! لأنه المتصرف فيك بكل شيء ، وتصريفه سابق لك قبل وجود ذلك الشيء ، فهو أقرب إليك من نفسك . كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود شيء ؟! وذلك لافتقار كل شيء له ، وغناه عن كل شيء ، وعلة كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . يا عجبًا .. كيف يظهر الوجود في العدم ؟! مع أن العدم ظلمة ، والوجود نور ، وقد كان ذلك ، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم ؟! مع أن الحادث لا وجود له من ذاته ولا في صفاته ، والقديم لا ثبوت لشيء مع ظهور صفاته ، وقد كان ذلك ، فدل على أن الظاهر والثابت إنما هو القديم وحده ، وتلاشي الحادث وفناؤه فيه[1] .

الشرقاوي :

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء ؟! بما أشرق عليه من نور الوجود، وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم ، فبظهوره في الأشياء ظهرت ، وإذا كانت ظهور الأشياء متوقفًا عليه ، فيستحيل أن يحجبه حتى يكون خفيًّا غير ظاهر ، فإن الإظهار إنما يفيد ظهور المظهر لا خفاءه . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء ؟! وذلك لأن الأثر يدل على المؤثِّر ويعرف به ، فهذا مقام المستدلين الضعفاء . كيف يتصور أنه يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء بذاته ، أو بمحاسن صفاته وأسمائه ؟! فالأشياء كلها مجالي ومظاهر لظهور معاني أسمائه ، فيظهر في أهل العزة كونه مُعزًّا ، وفي أهل الذلة كونه مذلًّا . كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟! أي تجلَّى لكل شيء حتى عرفه ، فكل شيء عارف

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 72 : 75 .

به على قدر تجليه له . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟! لتحقق هذا الاسم له أزلًا وأبدًا. كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟! لأن الوجود أظهر من العدم على كل حال ؛ ولأن الظهور الذاتي أقوى من العرضي ، والظهور المطلق أقوى من المقيد ، والدائم أقوى من المنصرم . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟! إذ كل شيء سواه عدم لا وجود له على التحقيق ، فليس ثم شيء يحجبه ؛ إذ الوجود الحقيقي كله له ، ولا شيء منه لغيره . كيف يتصور أنه يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟! لثبوت إحاطته بك وقيوميته عليك ، فهو قريب بعلمه وقدرته وإرادته . كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ، حتى استدل به المشاهدون على الأشياء ؟! يا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدم ؟! لأن العدم ظلمة والوجود نور ، وهما ضدان لا يجتمعان، كيف يثبت الحادث مع من له وصف القِدَم ؟! لأن الحادث باطل ، والله تعالى حق ، والباطل لا يثبت مع ظهور الحق ، فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون وما بدا إلا وجه الحق[1] .

ابن عجيبة :

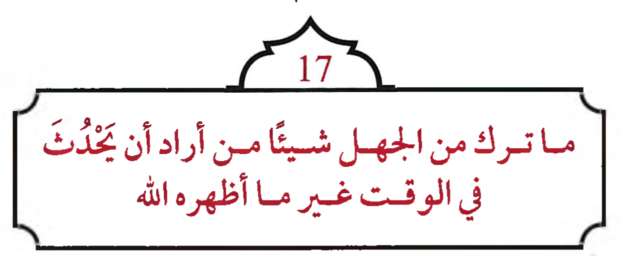
كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء ؟! والظاهر هو الباطن ، ما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة ، فحياض الجبروت متدفقة بأنوار الملكوت . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء ؟! أي تجلى بكل شيء فلا وجود لشيء مع وجوده ، فكيف يحجبه شيء ، والغرض ألا شيء ؟! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء بقدرته وحكمته ؟! فالوجود كله بين قدرة وحكمة ، وبين جمع وفرق . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر لكل شيء ؟! أي المتجلي لكل شيء بأسرار ذاته وأنوار صفاته ، ولما تجلى لكل شيء ، وعرفه في الباطن كل شيء ، وسبح بحمده كل شيء ، فلم يحجبه شيء عن شيء . كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ فكل ما ظهر فمنه وإليه ، فكان في أزله ظاهرًا بنفسه ، ثم تجلى لنفسه بنفسه ، فهو الغني بذاته عن أن يظهره بغيره أو يحتاج إلى من يعرفه غيره . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء ؟! إذ لا وجود للأشياء مع وجوده ، ولا ظهور لها مع ظهوره ، وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها ، فلولا ظهوره في الأشياء ما وقع عليها إبصار . كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء ؟! وقربه تعالى قرب علم وإحاطة وشهود ، لا قرب مسافة ؛ إذ لا مسافة بينك وبينه . كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه لما ظهر وجود كل شيء ؟! فكل ما ظهر في عالم الشهادة ، فهو فائض من عالم الغيب، وكل ما برز في عالم الملكوت فهو فائض من بحر الجبروت ، فلا وجود للأشياء إلا منه ، ولا قيام لها إلا به ، ولا نسبة لها معه . يا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدم ؟! أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القِدَم ؟! فالوجود والعدم

(1) شرح ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 19 : 24 .

ضدان لا يجتمعان ، والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان ، وقد تقرر أن الحق واجب الوجود، وكل ما سواه عدم على التحقيق ، فإذا ظهر الوجود انتفى ضده وهو العدم ، فكيف يتصور أن يحجبه وهو عدم ؟! فالحق لا يحجبه الباطل[1] .

الشرنوبي :

الحكمة والأدلة التي تدل على أنه سبحانه لا يحتجب بالأكوان ، فكيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟! حيث إنه هو الذي أوجده بعد العدم ، وما كان وجوده متوقفًا عليه لا يصح أن يحجبه ، فهو الذي ظهر بكل شيء من حيث إن كل شيء يدل عليه ، فإن الأثر يدلُّ على المؤثر ، وظهر في كل شيء من حيث إن الأشياء كلها مجالي ومظاهر لمعاني أسمائه ، فيظهر في أهل العزة معنى كونه معزًّا ، وفي أهل الذلة معنى كونه مذلًّا ، وظهر لكل شيء ، أي : تجلَّى لكل شيء حتى عرفه وسبحه ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ، أي : فهو الذي وجوده أزلي وأبدي ، فوجوده ذاتي ، والذاتي أقوى من العرضي ، فلا يصح أن يكون حاجبًا له ، وهو أظهر من كل شيء ؛ لأن الظهور المطلق أقوى من المقيد ، وإنما لم يُدرك للعقول مع شدة ظهوره ؛ لأن شدة الظهور لا يطيقها الضعفاء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؛ لأن كل ما سواه في الحقيقة عدم محض ، وهو أقرب إليك من كل شيء ، بعلمه وإحاطته وتدبيره ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ، وهو بمعنى قوله أولًا : وهو الذي أظهر كل شيء ، ولكون المقصود المبالغة في نفي الحجاب لم يضر هذا التكرار ؛ لأن المحلَّ مَحَلُّ إطناب . يا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدم ، أي : يجتمع معه وهما ضدان ؟! أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القِدَم ، حتى يكون حجابًا للعظيم المنَّان ؟![2] .



الرندي :

إذا أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمُّها الشرع ، وسخط تلك الحال وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه ، وأراد أن يحدث غيرها أظهره الله تعالى ، فقد بلغ

(1) إيقاظ الهمم : ص 54 ، 58 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 82 : 84 .

غاية الجهل بربه ، وأساء الأدب في حضرة مولاه ، فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها ، وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها[1] .

زرُّوق :

الوقت هنا الزمان الذي لا يقبل غيرما أظهره الله فيه بحكم التصريف ، وإرادة غيرما أظهره الله فيه بالتلهف على عدم موافقته للغرض النفساني ونحوه ، والسلامة من ذلك بوجود الاستسلام ، فالوقت كالسيف ، فكما أن السيف قاطع ، فالوقت بما يقتضيه الحق تعالى ويجريه حاكم ، فمن استسلم لحكمه نجا ، ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى[2] .

الشرقاوي :

إذا كان المريد في حال بدني أو قلبي لايذمه الشرع لزمه حسن الأدب في اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه ، فإذا كان متجردًا وتعلق قلبه بالتكسب ، أو كان في صنعة وأراد الانتقال عنها لغيرها ، كان قليل الأدب مع مولاه ، جاهلًا بما يناسب حضرته ، وكذا إن كان في حال قبض وأراد الانتقال عنه إلى البسط[3] .

ابن عجيبة :

من أراد أن يَظْهر في الوقت غيرما أظهره الله تعالى في نفسه أو في غيره ، فقد جمع الجهل كله ، ولم يترك منه شيئًا ، حيث عارض القدر ونازع القادر ، فمن آداب العارف الحقيقي أن يقر الأشياء في محلها ويسير معها على سيرها[4] .

الشرنوبي :

من حسن الأدب أن يكون المريد راضيًا بما أقامه الله فيه ، فإن سخط المريد الحالة التي يكون عليها ، وتَشَوَّف إلى الانتقال عنها بنفسه ، وأراد أن يُحْدِث غير ما أظهره الله تعالى ، فقد بلغ غاية الجهل بربه ، وأساء الأدب في حضرته[5] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 102 ، 103) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 80 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 25 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 61 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 84 .



18
إِحَالَتُـكَ الأَعْـمَالَ عـلى وجُـود الفَـرَاغِ مِـن رُعُونَـاتِ النّفـس

الرندي :

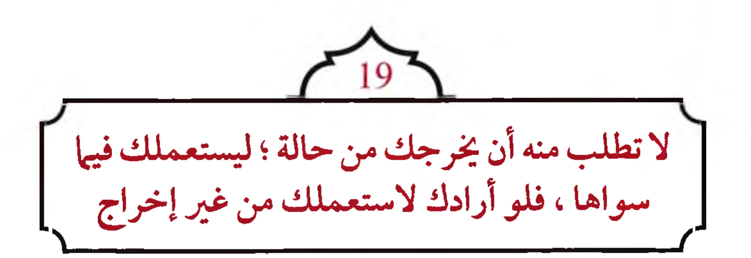
إذا كان العبـد متلبسًـا بحـال مـن أحـوال دنيـاه ، وكان لـه فيها شـغل يمنعه مـن العمل بالأعـمال الصالحـة ، وأحـال ذلـك العمل عـلى فراغه من تلك الأشـغال ، وقـال : إذا فرغتُ عملـتُ ، فذلك ضرب مـن الحماقة[1] .

ابن عجيبة :

مـن آداب العـارف أن يكـون كامـل العقـل ثاقـب الذهـن ، ومن علامـة العقـل انتهاز الفرصـة في العمـل ، ومبـادرة العمر بغير تسـويف ولا أمـل ، فإحالتك الأعـمال ، وتأخيرها إلى الوقـت الـذي تكـون فيـه فـارغ القلـب أو القالب مـن علامات الحمـق وهو غـرور[2] .

الشرنوبي :

إحالتك الأعمال الصالحة على وجود الفراغ من أشغال الدنيا ، تُعدُّ من حماقتها[3] .



19
لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ؛ ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج

الرندي :

إذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه ، كانت متعلقة بالدين أو الدنيا ، لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه ، ويعارض حكم وقته ، فيحدث فيه غير ما أظهره الله فيه ، فينبغي ألا يُعارض حكم الوقت ، ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها ، فإن ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى ، فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك ، فتعطى ما طلبت وتُمنح الراحة فيه[4] .

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 104) .
(2) إيقاظ الهمم : ص 62 : 63 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 84 ، 85 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 106 ، 107) .

زرُّوق :

لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، بل قم فيما أقامك الله فيه طالبًا الاستقامة معه من غير زائد على ذلك ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج ، وذلك بأن يُحَصِّل لك فوائد التجريد مع الأسباب وفوائد الأسباب مع التجريد ، وذلك عليه سبحانه يسير لا امتناع فيه ولا عسر ، فكم من متجرد أوسع عليه الرزق حتى أسعف وأوسع ، وكم من متسبب بسط له الزمان ووسع عليه وقته حتى جمع بين العبادة والتسبب[1] .

الشرقاوي :

لا تطلب منه أن يخرجك من حالة دنيوية كصناعة ، أو دينية كطلب علم ؛ ليستعملك فيما سواها ، لتوهمك أن ما أنت فيه عائق عن نهوضك لحضرته ، فلو أرادك ، أي : أحبك وكنت من أهل الإرادة لاستعملك استعمالًا محبوبًا عنده ، بأن يوفقك للأعمال الصالحة ، ويشغل قلبك به ، مع بقائك على حالتك التي أنت عليها[2] .

ابن عجيبة :

من آداب العارف الاكتفاء بعلم الله والاستغناء به عما سواه ، فإذا أقامه الله تعالى في حالة من الأحوال فلا يستحقرها ، ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى ، فلو أراد الحق تعالى أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله من غير أن يطلب منه أو يخرجه ، بل يمكث على ما أقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذي يتولى إخراجه كما تولى إدخاله[3] .

الشرنوبي :

لا تطلب – أيها المريد – من الله تعالى أن يخرجك من حالة موافقة للشرع دنيوية أو دينية ؛ لتوهمك أن غيرها أرقى منها ؛ لأنه تخيير على مولاك ، ولا خيرة لك في ذلك ، فلو جعلك من أهل إرادته وخاصته ، لاستعملك استعمالًا محبوبًا عنده من غير إخراج من الحالة التي أنت عليها ، وأما لو كانت الحالة غير موافقة للشرع ، فإنه يجب عليك المبادرة ، وطلب الإخراج منها ، والانتقال إلى غيرها[4] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 84 ، 85 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 26 ، 27 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 63 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 85 .

20

ما أرادت همةُ سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادتهُ هواتفُ الحقيقة : « الذي تطلبُ أمامك » ، ولا تبرجت له ظواهر المكوّنات إلا ونادته حقائقُها : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : 102]

الرندي :

السائر إلى الله تعالى تتجلى له في أثناء سلوكه أنوار ، وتبدو له أسرار ، فإن أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك ؛ لاعتقاده أنَّه وصل إلى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة : المطلوب الذي تطلبه أمامك ، فجدّ في السير ولا تقف ، فإن تزينت له ظواهر المكونات بزينتها فمال إلى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : 102] ، وغمِّض عينيك عن ذلك ولا تلتفت إليه ، ودم على سلوكك وسيرك ، واعلم أنه مادامت لك همَّة وإرادة فأنت بعيد في الطريق لم تصل ، فلو فنيت عنها لوصلت[1] .

زرّوق :

متى أراد المريد أن يقف بهمته عندما كشف له من العلوم والمعارف نُودي : إن الذي تريده من معرفة الحق أمامك فجدَّ في الطلب ولا تكاسل ، وإذا تزينت له ظواهر المكوَّنات ؛ لقصد الاستمالة ، وليس ذلك إلا بخرق العوائد وتحصيل الفوائد ، فإذا ظهر شيء من ذلك أولعت النفس به فأرادت الوقف معه فيناديه لسان حالها : « **إنما نحن فتنة** » أي : اختبار لك ، هل تقف معنا فتحجب عن ربنا أو تنظر لمنته ، فتشكر نعمة الله تعالى فينا ؟ فلا تكفر نعمة الله عليك فينا بوقوفك معنا[2] .

الشرقاوي :

ما أرادت همَّة سائر إلى الله تعالى أن تقف عندما كُشف لها ، في أثناء السلوك من المعارف والأسرار والأنوار بأن يرى أن ما وصل إليه من المعرفة وذوق الأحوال ، وهو الغاية القصوى ، فتقف همته عنده ، ويتعشقه ويحبه ، أو يرى أن ما فوقه أعظم منه ، لكنه يقنع بذلك ، ويرى أن فيه الكفاية ، فلا يرقى بهمته ، أو يرى قصور هامته عن الرقي لما فوقه ، وإلا نادته الهواتف التي تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الإلهية : سِرْ وجدَّ في السير ولا تقف ، فإن الذي تطلب أمامك فلا تقف ، ولا تبرجت ظواهر المكونات كتسخير الخلق لك وإقبالهم عليك ، والتوسعة في الدنيا ، وأظهرت لك محاسنها ، إلا نادته حقائقها ، أي : بواطنها : إنما نحن ابتلاء واختبار ، فلا تفتن بنا[3] .

---

(1) غيث المواهب : (1 / 106) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 87 ، 88 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 27 ، 28 .



طلبك منه اتهام له ، وطلبك له غيبة منك عنه ، وطلبُك لغيره لقلة حيائك منه ، وطلبك من غيره لوجود بُعدك عنه

الرندي :

طلب العبد من الله تهمة له ؛ إذ لو وثق به في إيصال منافعه إليه من غير سؤال لما طلب منه شيئًا ، وطلبه له غيبة عنه ؛ إذ الحاضر لا يُطلَب ، وطلبه لغيره قلَّة حياء منه ، إذ لو استحيا منه انقبض عمّا يكرهه له من طلبه لغيره ، ومن حقّ الحياء منه ألا يذكر معه غيره ، ولا يؤثر عليه سواه ، وطلبه من غيره لوجود بعده عنه ، إذ لو كان قريبًا منه لكان غيره بعيدًا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحِّدين معلول ، إلا ما كان من الطلب على وجه التأدب فحينئذٍ تزول العلة[1] .

زرُّوق :

سؤالك ما تريده من الحوائج منه تعالى ، على جهة التسبب بالطلب ، من اتهامه تعالى في علمه ورحمته ووعده ؛ لأنك لو وثقت بعلمه بحالك لم تحتج لسؤالك ، ولو وثقت بوعده ما كنت تطلب منه شيئًا قسمه لك قبل وجودك ، وطلبك له معناه طلبك الوصلة به من وجود الغيبة عنه ؛ لأنه ليس بغائب ولا بعيد ، وطلبك لغيره معناه طلبك الوصلة بغيره من أمر الدنيا والآخرة ، من قلة الحياء منه تعالى ، وطلبك من غيره الحوائج لوجود بعدك عنه ؛ لأنك لو شاهدت قربه منك عرفت أن الأمور كلها بيده ، فالطلب كله معلول إلا ما كان على وجه العبودية والقيام بحق الربوبية[2] .

الشرقاوي :

المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه من مولاه من الأعمال الصالحة ، ولا يشغل قلبه بالطلب لشيء من الأشياء ؛ لأن ذلك مذموم قاطع عن الله ، فإن طلبك منه أن يرزقك بالقوت تهمة منك له بأنه لا يرزقك ، وطلبك له بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك غيبة منك عنه ؛ إذ الحاضر لا يُطلَب ، وطلبك لغيره ، من الأعراض الدنيوية لقلة حيائك منه ؛ إذ لو حصل لك حياء منه لما التفتَّ إلى غيره ، وطلبك من غيره ، بأن توجهت إلى بعضِ الناس لتطلب منه شيئًا من أعراض الدنيا غافلًا في حال الطلب عن مولاك ؛ لوجود بُعدكَ عنه ، إذ لو كنت قريبًا منه لكان غيره بعيدًا عنك ، ولو كنت مشاهدًا لقربه منك لا كتفيت به عن سائر خلقه[3] .

---

(1) غيث المواهب : (1 / 109) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 89 ، 90 .

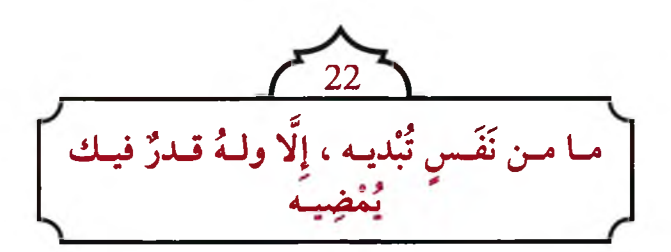
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 29 ، 30 .

ابن عجيبة :

طلبك منه تهمةٌ له ؛ لأنك إنما طلبته مخافة أن يهملك أو يغفل عنك ، فإنما ينبه من يجوز منه الإغفال ، وإنما يذكر من يمكن منه الإهمال ، وطلبك له دليل على غيبتك عنه بوجود نفسك ، فلو حضر قلبك وغبت عن نفسك ووهمك لما وجدت غيره ، وطلبك لمعرفة غيره فلقلَّة حيائك منه ، وطلبك من غيره فلوجود بعدك ، إذ لو تحققت بقربه منك ما احتجت إلى سؤال غيره وهو لئيم ، فالأدب هو الاكتفاء بعلم الله ، والتحقق بمعرفة الله ، والاستغناء به عما سواه[1] .

الشرنوبي :

طلبك منه تعالى حوائجك معتمدًا على الطلب اتهام له تعالى بأنه لا يرزقك إلا بالطلب ، ولو كان الطلب على وجه التعبد لا يكون معلولًا ، وطلبك منه الوصول إليه بعملك غيبة منك عنه ؛ إذ الحاضر لا يُطلب ، وهو تعالى أقرب من حبل الوريد ، وكذلك طلبك لغيره من الأعراض الدنيوية لقلة حيائك منه ، وكذلك طلبك من غيره تعالى ، غافلًا في حال الطلب عن مولاك ، إنما يكون لوجود بعدك عنه ؛ إذ لو كان قريبًا منك لكان غيره بعيدًا عنك[2] .



الرندي :

الأنفـاس أزمنـة دقيقـة تتعاقـب علـى العبـد مـادام حيًّا ، فـكلُّ نَفَـس يبدو منـه ظروفٌ لقـدر مـن أقـدار الحـق تعالى ينفـذ فيـه كائنًا مـا كان[3] .

زرُّوق :

النَّفَـسُ أدق الحـركات النفسـانية فـي عالـم الملـك والشـهادة ، ومرجعه لأزمنـة دقيقة يجـري بهـا وجـود الإنسـان فتظهـر علـى وجـوده ، ويبـدو معهـا ما يقضيـه الحـق للعبد من الأمـور العاديـة وغيرهـا ، فهـي مراتب للأحـكام الجاريـة على العبـاد[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 67 : 69 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 88 .

(3) غيث المواهب : (1 / 110) .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 91 .

الشرقاوي :

كل نفس من أنفاسك تظهره بقدرة الله تعالى ، لا تبديه إلا وله تعالى فيك أمر مقدر عليك من طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية ، يبرزه بقدرته في ذلك النَّفس ، فكل نفس يبدو منك ظرفٌ لقدرٍ من أقدار الحق ينفذ فيك كائنًا ما كان[1] .

ابن عجيبة :

إذا علمت أيها الإنسان أن أنفاسك قد عمها القدر ، ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به علمه وجرى به قلمه ، لزمك أن ترضى بكل ما يجري به القضاء ، فأنفاسك معدودة وطرفاتك ولحظاتك محصورة ، فإذا انتهى آخر أنفاسك رحلت إلى آخرتك[2] .

الشرنوبي :

ليس من نفس من أنفاسك تبديه إلا وله تعالى أمر مقدر ينفذه كائنًا ما كان ، فأنت رهين القضاء والقدر في كل نفس وفي كل طرفة عين ، فكن عبدًا لله في كل شيء[3] .



الرندي :

إذا أقام الله تعالى عبدًا في وقت من الأوقات فعليه أن يؤدي حقه فيه ، ولا يترقب وقتًا آخر يكون فيه فارغًا ، فإن تأميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الأول[4] .

زرّوق :

لا تنتظر بعملك فراغًا من الأشغال والأفكار ، فإن ذلك التوقف قاطع لك عن عبودية الوقت وحكمه ، ولكن قم له بما تقدر عليه[5] .



---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 30 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 69 ، 70 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 88 ، 89 .

(4) غيث المواهب العلية : (1 / 110) .

(5) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 92 .

الشرقاوي :

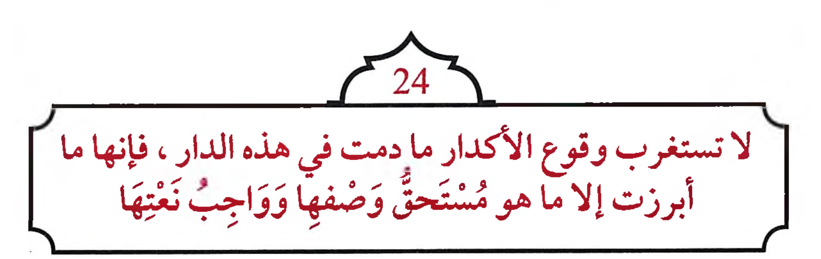
لا ترقب فروغ قلبك من الظلمات الواردة عليه ، والتي تحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه ، فإن ذلك يقطعك من الأعمال التي تتوصل بها إليه ، فالمطلوب المواظبة على ما أنت فيه ومراقبة المولى في ذلك ، ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة ونور[1] .

ابن عجيبة :

لا تنتظر فراغ شغل يدك من كل ما يشغل عن الحضرة ويُغيّر القلب عنها ، فيفوتك وجود المراقبة في الحال التي أقامك الحق فيها ، فيكون في حقك سوء أدب ، وتضييع للوقت وخلوه من معاملة الحق ، وصرف الأوقات لا يمكن قضاؤها[2] .

الشرنوبي :

لا تنتظر انتهاء الشواغل التي منها ما أقامك فيه الحق ، بل راقبه فيما تترقب فراغه ، فإن تأميلك للوقت الثاني يمنعك من القيام بحق الوقت الذي أنت فيه[3] .



24

لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار ، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مُسْتَحِقٌّ وَصْفِهَا وَوَاجِبُ نَعْتِهَا

الرندي :

من ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها ، فتقع الأحزان والأكدار بسبب ذلك ، فحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس إليها ، فتكدّر عيشهم ولم يحصلوا على كلية أغراضهم ، فالذي ظهر منهما هو مُسْتحِقٌّ وصفها ونعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها[4] .

زرُّوق :

لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار ، فإنها ما أظهرت إلا ما هو

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 31 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 85 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 89 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 111، 112) .

يستحق وصفها ؛ لأنها موصوفة بالدناءة والخساسة ، فعمرها قصير ، ومتاعها قليل ، وآفاتها غزيرة[1] .

الشرقاوي :

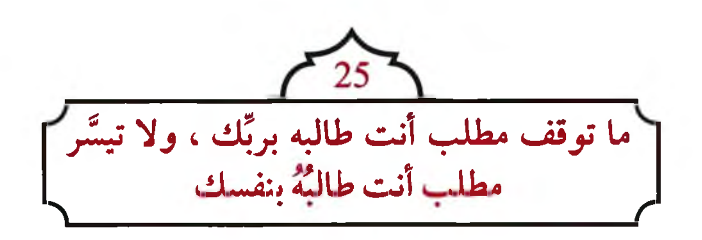
لا تستغرب وقوع الأكدار الموجبة للأغيار ، بل الأغيار في ذاتها أكدار ، مادمت في هذه الدنيا ، فإنها ما أبرزت إلا وصفها المُسْتحق ونعتها الواجب اللازم ، فمن ضرورياتها وجود المكاره والمشاق فيها[2] .

ابن عجيبة :

من آداب العارف أن لا يستغرب شيئًا من تجليات الحق ، ولا يتعجب من شيء منها ، فإن نزلت به نوازل قهرية أو وقعت في هذه الدار أكدار فلا يستغرب وقوع ذلك ؛ لأن هذه الدار دار أهوال ، فلا تستغرب وقوع الأكدار بحيث لا تحزن ولا تخف ولا تجزع[3] .

الشرنوبي :

لا تعُدَّ وقوع الأكدار أمرًا غريبًا مدة كونك في هذه الدار الدنيوية ، فإنها ما أبرزت إلا وصفها المستحق لها وواجب نعتها ، فمن ضرورياتها وجود المكاره فيها مع الانهماك عليها[4] .



الرندي :

من أنزل حوائجه بالله والتجأ إليه ، وتوكَّل في أمره كله عليه ، كفاه كل مؤنة ، ومن سكن إلى علمه وعقله ، واعتمد على قوته وحوله ، وكله الله إلى نفسه[5] .



---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 93 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 31 ، 32 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 86 ، 87 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 90 .
(5) غيث المواهب العلية : (1 / 117) .

زرُّوق :

الطلب بالله تعالى هو الاستناد إليه في تيسير المطلب ، وعلامته التفويض في المراد ، والتوكل في التحصيل ، والاستقامة في التوجه ، فإذا تمت هذه فالمطلب متيسر ، والطلب بالنفس هو الاستناد إليها في تحصيل المراد ، فالمطلب وإن تيسر بها صورةً ، فهو حرمان في الحقيقة[1] .

الشرقاوي :

ما تعسر مطلب من مطالب الدنيا والآخرة أنت ملاحظٌ في حال طلبه ربَّك ، حاضر القلب معه ، معتمدًا عليه في تيسير ذلك المطلب ، ولا تيسر مطلب كنت غافلًا عنه معتمدًا على حولك وقوتك ، فمن أنزل حوائجه بالله كفاه كل مؤنة ، ومن سكن إلى علمه وعقله لم تنجح مطالبه ، ولم تتيسر مآربه[2] .

ابن عجيبة :

إذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة ، وأردت أن تُقضى سريعًا فاطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك ، فإنك إذا طلبتها بالله تيسَّر أمرها وسهل قضاؤها ، وإن طلبتها بنفسك صعب قضاؤها وتعسر أمرها[3] .

الشرنوبي :

ما تعسَّر مطلب من مطالب الدنيا والآخرة أنت طالبه بربِّك ، وذلك بالاعتماد عليه والتوسُّل إليه ، فمتى أنزلت حوائجك به فقد تمسَّكت بأقوى سبب ، وفزت بقضائها ، ولو اعتمدت على حولك وقوتك تعسَّرت عليك المطالب[4] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 95 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 32 ، 33 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 88 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 92 .

26

من علامات النُّجْح في النِّهايات الرجوع إلى الله تعالَى في البِدَايَات

الرندي :

للمريد بداية ونهاية ، فبدايته حال سلوكه ، ونهايته حال وصوله ؛ فمن صحح بدايته بالرجوع إلى الله تعالى ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، أفلح ونجح في نهايته ، وأُمِن عليه من الرجوع والانقطاع[1] .

زرُّوق :

من علامة الخسران في النهايات الرجوع إلى النفس في البدايات ؛ لأنها إذا كانت البداية بالله كانت النهاية إلى الله ، وإذا فوَّض له شكر في العطاء ورضاء في المنع ، وكان ناظرًا لما عنده أولًا وآخرًا فهذا غاية الفوز والنجح ، والعكس للعكس[2] .

الشرقاوي :

بداية المريد حال سلوكه ، ونهايته حال وصوله ، فمن صحح بدايته بالرجوع إلى الله والتوكل عليه والاستعانة به أن يوصله إليه لأعلى أعماله المعلولة ، نجح في نهايته ، أي حصل له الوصول وأمن عليه من الرجوع من الطريق ، ومن لم يصحح ذلك بما ذكرنا انقطع ورجع من حيث جاء[3] .

ابن عجيبة :

إذا توجهت همّتك أيها المريد إلى طلب شيء ، وأردت أن ينجح أمره فارجع إلى الله في بداية طلبه وانسلخ من حولك وقوتك ، وإن طلبت شيئًا بنفسك معتمدًا على حولك وقوّتك كان ذلك علامة على عدم قضائها[4] .

الشرنوبي :

من العلامات الدالة على النُّجح ، الرجوع إلى الله تعالى بالتوكل عليه والاستعانة به في بدايته ، فمن صَحَّح بدايته بالرجوع إلى الله والتوكل في جميع أموره عليه ، نجح في نهايته التي هي حال وصوله إلى مطلوبه ، وأما من لم يصحح بدايته لم يبلغ في نهاية أمره المأمول[5] .

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 117) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 96 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 33 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 89 ، 90 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 92 .



27
من أشرقت بدايته أشرقت نهايته

الرندي :

إشراق بداية المريد برجوعه إلى الله تعالى في مُهماته وثقته به في ملماته ، وإشراق نهايته الوصول إلى قربته والحصول في حضرته[1] .

زرُّوق :

من أشرقت بدايته بالرجوع إلى الله أشرقت نهايته بالوصول إلى الله ، ومن أشرقت بدايته بإحكام أصولها أشرقت نهايته بالعثور على محصولها[2] .

الشرقاوي :

من أشرقت بدايته ، أشرقت نهايته بإفاضة الأنوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفوس الحائلة بينه وبين مولاه على وجهٍ أتم ، وعكسه بعكسه[3] .

ابن عجيبة :

إشراق البداية هو الدخول فيها بالله ، فمن كان في بدايته جادًّا في طلب الحق معرضًا عن الأنس بالخلق ، كانت نهايته مشرقة وعاقبته محمودة ، ومن كان مقصرًا في طلب مولاه لم يخرج عن نفسه وهواه ، فنهايته الحرمان وعاقبته الخذلان[4] .

الشرنوبي :

من عمَّر أوقاته في حال سلوكه بأنواع الطاعة وملازمة الأوراد ، أشرقت نهايته بإفاضة الأنوار والمعارف ، حتى يَظْفَرَ بالمراد ، وأما من كان قليل الاجتهاد في البداية ، فإنه لا ينال مزيد الإشراق في النهاية[5] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 118) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 97 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 33 ، 34 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 91 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 93 .



28
مـا اسْـتُودِعَ فـي غَيْـبِ السَّـرائِرِ ظَهَـرَ فـي شَـهَادَةِ الظَّوَاهِـرِ

الرندي :

مـا اسـتودعه اللـه القلوبَ والأسـرار من المعـارفِ والأنـوار ، لابدَّ وأن تظهـر آثار ذلك علـى الجوارح ، فَيسـتَدِلُّ بشـاهد العبـد على غائبه مـن أراد صحبته ، والوُصلـة به[1] .

زرُّوق :

مـا اسْتُودع في غيـب السـرائر من معرفـة الله ، ظهـر في شـهادة الظواهـر بالعمل على مقتضـى مـا هنـاك ، فمـن كان غيـب سـره أتـمَّ كان ظاهـره أحكـم ؛ لأن ظواهر الأمـور تدل علـى حقائـق الصدور والأسـرَّة تـدل على السـريرة[2] .

الشرقاوي :

مـا اسـتودع فـي القلـوب غيـر المشـاهدة بالأبصـار مـن المعـارف والأنـوار الإلهيـة ، ظهـر فـي الظواهر الحاضـرة ، فما اسـتودعه اللـه تعالى في القلوب والسـرائر مـن المعارف والأنـوار ، لابـد أن يظهـر أثـره على الوجـه والجـوارح[3] .

ابن عجيبة :

مـا اسـتودع اللـه سـبحانه فـي القلـوب وجعلـه فيهـا مـن خيـر أو شـر ، مـن نـور أو ظلمـة ، مـن علـم أو جهـل ، مـن رحمـة أوقسـوة ، أو غيـر ذلك مـن الأخـلاق المحمودة أو المذمومـة ، لابـد أن يظهـر آثـار ذلك علـى الجوارح مـن أدب وتهذيب وغيـر ذلك من الأحـوال القلبيـة والقالبيـة ، فأفعـال الجـوارح تابعـة لأحوال القلـوب[4] .

الشرنوبي :

هذه علامات يُعرف بها حال المريد السالك ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، فمن طابت سريرته حُمِدتْ سيرتُه ، فما في القلب من محمود أو مذموم يظهر على الجوارح[5] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 118) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 98 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 34 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 91 ، 92 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 93 .

شتان بين من يستدلُّ به أو يستدلُّ عليه ، المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ، وإلا فمتى غاب حتى يستدلَّ عليه ، ومتى بَعُدَ حتى تكونَ الآثارُ هي التي توصلُ إليه

الرندي :

المريدون السالكون إلى الله تعالى في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار ، فالآثار والأكوان ظاهرةٌ لهم وموجودة لديهم ، والحق تعالى غيبٌ عنهم فلم يروه ، فهم يستدِلون بها عليه في حال ترقّيهم ، والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم الأكرم ، وتعرّف إليهم فعرفوه به ، فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الأغيار عنهم فلم يروها ، فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم ، وهذان الفريقان بَعُدَ ما بينهما ؛ وذلك أن المستدل به على غيره عَرَفَ الحق الذي هو الوجود الواجب لأهله ، وهو المختصّ بوصف القِدم[1] .

زرُّوق :

فرق بين من يستدل به ، ويستدل عليه ، وإن اجتمعا في طلب الحق ومعرفته ، فلا يستوي من ينظر بنور الأكوان وبين من ينظر بنور المكوِّن ، المستدل به عرف الحق الذي هو النظر لواجب الوجود قبل جائز الوجود لأهله الذي هو واجب الوجود لذاته ، فإنه أظهر في الجائز لدلالة العقل عليه ؛ إذ إنما يعرف وجود ثم يحمل عليه موجود لا يفهم في وجوده إلا أنه مطلق غير مقيد ، وذلك يقتضي كماله بكل وجه ، ثم من كمال الأوصاف ظهور آثارها ، فعرف الموجود في وجود ، وعرف الأوصاف من ذلك الموجود ، ثم عرف الأفعال من الأوصاف ، فنظر الأمر على وجهه وأثبت الأمر الذي هو وجود الكون وما يجري عليه من وجود أصله ، الذي هو إيجاد الخلق بكرم الحق وفضله ، وظهورهم على أثر وصفه بفعله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ؛ لأنه لا يستدل إلا على الأمر الخفي أو الغائب ، ولا خفاء ولا غيبة مع الوصول ، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه ؟! ومتى بعد حتى تكون الآثار هي الموصلة إليه ؟! وإن لم يكن الاستدلال من عدم الوصول فليس إلا من البعد والغيبة ، والحق تعالى ليس بغائب ولا بعيد ، فتبين أن الاستدلال عليه دليل الغيبة والبعد[2] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 122) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 99 : 101 .

الشرقاوي :

بَعُدَ ما بين من يَسْتَدِلُّ به على الأشياء ، وهم المرادون المجذوبون إليه الذين هم من أهل الشهود ، وهم العارفون ؛ فإنهم لا يشهدون غير مولاهم ويستدلون به على الأشياء ، وبين من يَسْتَدِلُّ عليه ، وهم المريدون السالكون إلى الله تعالى ، فالمستدلُّ به على غيره عرف الحق ، وهو الوجود الواجب لأهله ، وهو الله تعالى ، أي لم يثبت الوجود إلا له سبحانه ، وأما الحوادث فهي عدم مَحْض ، فأثبت الأمر ، وهم الحوادث العدمية من وجود أصله ، وهو الله تعالى ، أي جعل وجودهم مستفادًا من وجود الله تعالى ، فالمسْتَدِلُّ بغيره عليه على العكس مما ذُكِرَ ؛ لأنه استدلَّ بالمجهول على المعلوم ، وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الأسباب ، وإلا نُقِل أنه من عدم الوصول ، (فمتى غاب) ؟ أي : فلا يصح ؛ لأنه : متى غاب حتى يُستدلَّ عليه بالأشياء الحاضرة ؟! ومتى بَعُدَ حتى تكون الآثار هي التي يُستدلُّ بها عليه ؟![1] .

الشرنوبي :

بعُد ما بين من يستدل به تعالى على المخلوقات ، وهم المرادون أهل الشهود، وبين من يستدل عليه تعالى بالمخلوقات ، وهم المريدون أهل السلوك ، فأحوال هذين الفريقين متفاوتة في الرتبة ، فالمستدل به تعالى على غيره عَرَف الحق ، وهو الوجود الذاتي لأهله ، وهو الله تعالى ، وأثبت وجود الحوادث من وجود أصله ، وهو الله تعالى ، أي : جعل وجودهم مستفادًا من وجوده ؛ إذ لولا إيجاده لهم لما وجدوا ، وهؤلاء هم العارفون بربهم ، فلا يشهدون غيره ؛ ولذلك يستدلون به على الأشياء في حال تدليهم ، وأما الاستدلال عليه تعالى ، فلا يكون إلا من عدم الوصول إليه ؛ لأن السالك يكون محجوبًا بالآثار ، فيستدل بها على مَنْ كوَّر الليل والنهار ، فيكون من الاستدلال بالمجهول على المعلوم ، فمتى غاب الحق حتى يُستدلَّ بمخلوقاته عليه ؟! ومتى بَعُدَ حتى تكون الآثار الناشئة عن قدرته هي التي توصل إليه ؟![2] .



---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 35 ، 36 .   (2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 94 .

30

ليُنفق ذو سعة من سعته : الواصلون إليه ، ومن قُدر عليه رزقه : السائرون إليه

الرندي :

الواصلون إلى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار ، اتسعت مسافة نظرهم فأنفقوا من سعتهم ، وتصرّفوا في عوالمهم كيف شاءوا ، والسالكون إليه مقدور عليهم في أرزاق العلوم والفهوم ، محبوسون في مضيق الخيالات والرسوم ، ينفقون ممّا آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدّر المضيق[1] .

زرُّوق :

العارفون وسعت عليهم أرزاق العلوم والمعارف فأنفقوا على مقدار ما وصل إليهم إذا استدلوا به ، وذلك حكم وقتهم ، والسالكون ضيقت عليهم أرزاق العلوم فأنفقوا على قدر ما عندهم ؛ ولذلك استدلوا عليه وذلك حكمهم ؛ إذ لا يكلف الله نفسًا إلا ما أتاها ، وفضل الله مرجو للجميع[2] .

الشرقاوي :

الواصلون إليه لما خرجوا من سجن رؤية الأغيار إلى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار ، اتسعت مسافة نظرهم ، وأُفيضَ عليهم علومٌ وأسرارٌ إلهيَّة ، فصاروا يمدون الغير ، والسائرون إليه مقدور عليهم أرزاق العلوم والفهوم ، محبوسون في مضيق الخيالات والرسوم ، ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المُقَدَّرِ الضيِّق على غيرهم ، ويتصرفون في عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله تعالى[3] .

ابن عجيبة :

الواصلون إليه لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان إلى فضاء الشهود والعيان ، اتسعت عليها دائرة أرزاق العلوم ، فأنفقوا من سعة غناهم جواهر العلم المكنون ، والسائرون إلى الله لما كانوا باقين في ضيق الأكوان وفي عالم الأشباح ، مسجونون في سجن الوهم لما يفتح لهم شيء من مخازن الفهم ، مضيق عليهم في العلوم ومقتر عليهم في سائر الفهوم[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 123 ، 124) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 102 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 37 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 94 .

الشرنوبي :

لينفق الفريق صاحب السَّعَة في المعرفة وعلوم الأسرار من سَعَته ، وهم الواصلون إليه تعالى ، فيفيضون على غيرهم مما آتاهم الله ، والفريق الذي ضُيِّق عليه رزقه من ذلك فلينفق على قدر ما أعطاه الله ، وهم السائرون إليه تعالى[1].

31

اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه ، والواصلون لهم أنوار المواجهة ، فالأولون للأنوار ، وهؤلاء الأنوار لهم ؛ لأنهم لله ، لا لشيء دونه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : 91]

الرندي :

أنوار التوجه : هو ما صدر منهم إلى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات ومجاهدات ، وأنوار المواجهة : هو ما صدر من الله لهم متى تعرّف وتقرّب وتودّد وتحبّب ، فالأولون عبيد الأنوار ؛ لوجود حاجتهم إليها في الوصول إلى مقصودهم ، والآخرون الأنوار لهم ؛ لوجود غناهم عنها بربّهم ، فهم لله لا لشيء دونه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : 91] ، فإفراد التوحيد بعدم ملاحظة الأغيار هو حق اليقين ، ورؤية ما سوى الله خوضٌ ولعب ، وهما من صفات الكاذبين والمنافقين[2] .

زرُّوق :

أنوار التوجه : أنوار العمل والمعاملة ، وأنوار المواجهة : ما يرد من حقائق المواصلة ، ومعنى الرحلة من هؤلاء انتقالهم من عوالم الحس والخيال بمفارقة الوهم والضلال والوصلة في حق الآخرين تحقق العلم واليقين ، والتمكن في منازل العارفين . فالأولون للأنوار عبيد ومِلْكٌ ، فلا يقدرون على مفارقتها ، وإن فارقوها حزنوا ، وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم مملوكة ؛ لأنها عندهم تابعة ؛ لأنهم بالله لا بشيء سواه فلا التفات لهم لغيره[3] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 96 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 124) .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 104 ، 105 .

الشرقاوي :

اهتـدى السـائرون إليـه بالأنـوار الحاصلـة مـن العبـادات والرياضـات التـي توجَّهوا بهـا إلـى حضـرة المولـى ، والواصلـون لهـم الأنـوار التـي أُفيضَـتْ عليهـم حتـى عرفـوه سـبحانه ، فالأولـون للأنـوار عبيـد لهـا ، ومحتاجـون إليهـا للتّوسُّـل بهـا إلـى مطلوبهم ، والواصلـون الأنـوار ثابتـة لهم مـن غير معاناة ومشـقة مـع فنائهم عنهـا بربهـم ؛ لأنهم لله لا لشـيء دونـه قـال تعالـى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : 91] أي : توجـه إليه ، ولا تُحَـلْ إلى أنوار ولا غيرهـا ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : 91] فإفـراد التوحيـد بعـد فنـاء الأغيار هو حـق اليقيـن ، ورؤيـة ما سـوى اللـه خوض ولعـبٌ ، وذلـك من صفـات المحجوبيـن[1] .

ابن عجيبة :

المريد مادام في السير فهو يهتدي بأنوار الإسلام والإيمان مُفْتَقِرًا إليها لسيره بها ، فإذا وصل إلى مقام المشاهدة حصلت له أنوار الإحسان ، وأنوار الفكرة والنظرة ، وأنوار الشريعة والطريقة ، فلم يفتقر إلى شيء ؛ لأنه لله لا لشيء دونه ، فالراحلون وهم السائرون للأنوار لافتقارهم إليها وفرحهم بها ، وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم لاستغنائهم عنها بالله ، فهم لله وبالله ، ثم تلا الشيخ هذه الآية على طريق أهل الإشارة والمعنى : قل الله بقلبك وروحك ، وغب عما سواه ، ثم اترك الناس لا عبين في الهوى[2] .



الرندي :

حكـم المريد أن يتشـوف إلـى معرفة ما غاب عنه مـن معايب نفسـه ويتطلبها ، ويبحث عنهـا ، فـإن ذلـك هـو حق اللـه تعالـى منه ، أمـا طلبـه للغيـوب المحجوبـة عنـه ، فإنه حظ نفسـه ، لا حـقَّ عليـه فيـه لله تعالى ، فلا يُشـغل بهـا عقلًا ولا حسًّـا[3] .

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 38 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 95 ، 96 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 125 ، 126) .

زرُّوق :

العيوب : ما أوجب نقصًا فيمن نُسِب إليه معصية في الأفعال أو الأخلاق أو الآداب متعلقًا بالله أو بعباده . **والغيوب** : ما استتر عن الخلق ، فالاشتغال بالعيوب حق الأدب ، ويجر لكمالٍ ، وهو أداء حق الربوبية ، والاشتغال بالغيوب قد يجر إلى العطب ، والضلال ، وتفويت حق العبودية[1] .

الشرقاوي :

تَوَجُّه هِمَّتِكَ إلى زوال ما بطن فيك من العيوب كالرياء وسوء الخلق ، بالرياضة والمجاهدة ، وطلب التخلص منه ، خير من تشوفك إلى ما حُجِبَ عنك من خفايا القدر ، والأسرار الإلهية ؛ لأن ذلك حظ نفسك ، وليس لمولاك شيء معه[2] .

ابن عجيبة :

تشوفك أيها الإنسان إلى ما بطن فيك من العيوب ، أفضل من تشوُّفك إلى ما حجب عنك من الغيوب كالاطلاع على أسرار العباد ، وما يأتي به القدر من الوقائع المستقبلة[3] .



الحق ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر إليه ؛ إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده

الرندي :

الحجاب على الحق تعالى محال ، والحجاب على العبد واجب من حيثُ ذاتُه ؛ إذ هو عدم كما تقدّم ، ولا نسبة بين العدم والوجود ، فإن أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف يشاء متى شاء رأى مَن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وهذا مما يجب اعتقاده[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 109 ، 110 .
(2) شرح حكم ابن عطاء للشرقاوي : ص 39 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 97 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 127) .

زرُّوق :

الحق ليس بمحجوب وقد تقدم على ذلك براهين ، وأما أنك المحجوب عن النظر إليه فلا يحتاج إلى دليل ، ولكن الحجاب حجاب بصر ولا يزول إلا في الآخرة ، فلا رؤية به إلا هناك وحجاب البصيرة ، فإذا زال كشفت لك الحقيقة ، والحجاب ساتر ، والساتر حاصر ؛ لأنه يحصر المحجوب في جهة منه ، وكل حاصر قاهر ، والرب تعالى قاهر غير مقهور[1] .

الشرقاوي :

ليس الحجاب وصفًا له سبحانه ، إنما المُتَّصِف بالحجاب أنت بصفاتك النفسانية عن النظر إليه ، فإن أردت الوصول إليه والدخول في حضرته ، فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل إليه وتشاهده ببصيرتك ، ولو كان له ساتر لكان لذاته حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ؛ لأنه يمنعه مما وراءه ، ويقصره على محله ، ويجعله في أسر قبضته وتحت حكمه ، وذلك لا يصح في حقه تعالى[2] .

ابن عجيبة :

الحق تعالى محال في حقه الحجاب ، فلا يحجبه شيء ؛ لأنه ظهر بكل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، فلا ظاهر معه ، ولا موجود في الحقيقة سواه ، فهو ليس بمحجوب عنك ، وإنما المحجوب عن النظر إليه أنت ؛ لاعتقادك الغيرية ، وتعلُّق قلبك بالأمور الحسيَّة ، فلو تعلق قلبك بطلب المولى وأعرضت عن رؤية سواه ، لنظرت إلى نور الحق ساطعًا في مظاهر الأكوان[3] .



---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 111 ، 112 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 40 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 98 .

34

اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك ؛ لتكون لنداء الحق مجيبًا ، ومن حضرته قريبًا

الرندي :

صلاح القلب إنما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كُلِّها ، دَقِيقِها وَجَلِيلِها ، وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية ، وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق ، فإذا قام بذلك المريد طهر قلبه ، وتزكت نفسه ، واتصف بمحاسن الصفات التي تزيّنه بين العباد ، وينال بها من قرب ربّه غاية المراد[1] .

زرُّوق :

أوصاف البشرية : ما لا يكون البشر بشرًا إلا به من العوايد والأسباب والأخلاق وغيرها ، وهي قسمان : **أوصاف موافقة للعبودية** : كالطاعة ، والعفة ، **وأوصاف مناقضة للعبودية** : كالمعصية ، والشهوة ، فالخروج من المناقضة بالعمل بالموافقة ؛ لتكون لنداء الحق مجيبًا ، ومن حضرته قريبًا[2] .

الشرقاوي :

اخرج بالرياضات والمجاهدات من أوصاف بشريتك المذمومة ، سواءً أكانت تلك الأوصاف ظاهرة كالغيبة والنميمة ، أو باطنة كالكبر والرياء ؛ لأنك إذا خرجت عن تلك الأوصاف المذمومة اتصفت بمحاسن الصفات كالتواضع والخشوع لله ، فحينئذٍ يناديك نداءً معنويًّا ، **فيقول لك** : يا عبدي ، **فتجيبه بقولك** : لبيك ؛ فتكون صادقًا في إجابتك ، وتكون من حضرته قريبًا ، فَتُحْفَظ من الأوزار[3] .

ابن عجيبة :

أوصاف البشرية هي الأخلاق التي تناقض خلوص العبودية ، ومرجعها إلى أمرين : **أحدهما** : تعلُّق القلب بأخلاق البهائم ، وهي شهوة البطن والفرج ، **والثاني** : تخلّقه بأخلاق الشياطين كالكبر والحسد ، فإذا خرج المريد من أخلاق البهائم تخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع ، وإذا خرج من أخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين ، وأصبح عبدًا خالصًا لمولاه حرًّا مما سواه ، وكان لندائه مجيبًا ومن حضرته قريبًا[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 127 : 129) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 113 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 41 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 99 .

35

أصل كُلِّ مَعْصِيةٍ وَغَفْلَةٍ وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه ؟! وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه ؟!

الرندي :

الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة، وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة، فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن إليها، ومن استحسن حال نفسه وسكن إليها استولت عليه الغفلة، ومن لم يرض عن نفسه ولم يستحسن حالها كان متيقظًا ولم يسكن إليها، وصحبة من يرضى عن نفسه، وإن كان عالمًا، شرٌّ محضٌ؛ لأن علمه غير نافع، وصحبة من لا يرضى عن نفسه، وإن كان جاهلًا، خيرٌ محض؛ لأن جهله غير ضار[1].

زرُّوق :

أصلُ كل مخالفة لأمر الله الواجب، والاسترسال مع النفس في طلب المستلذات، وإهمال الحقوق المندوبة والواجبة بالاسترسال مع دواعي الهوى، رُؤْية الحق لنفسه، والسفقة عليها، وتزكيتها من حيث إنه يرى قبيحها حسنًا، وأصلُ كل طاعة وعفة ويقظة اتهامُ النفسِ والحذر من آفاتها، وحملها على المكاره في عموم أوقاتها، وَلَأَنْ تصحب جاهلًا شيخًا أو قرينًا أو تابعًا، خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه ؟! وأي جهلٍ لجاهلٍ لا يرضى عن نفسه ؟![2].

الشرقاوي :

أصل كل مخالفة لما أمر الله به ونهى عنه، وغفلةٍ للقلب عن حضرة الرب، وشهواتِ النفس بالتعلق مما يشغل عن الله، الرضا عن النفس، وأصل أي موافقة للأمر والنهي ودخول في حضرة الرب وتنبهٍ لما يرضيه، وعلو همةٍ عن الشهوات، عدم الرضا عنها، والله لأن تصحب جاهلًا بالعلوم الظاهرية لا يرضى عن نفسه، بأن يسخط عليها ويعتقد نقصها، خيرٌ لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه[3].

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 132 : 137) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 111 : 117 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 42 ، 43 .

الشرنوبي :

النظر إلى النفس بعين الرضا يوجب تغطية عيوبها ، ويُصَيِّر قبيحها حسنًا ، والنظر إليها بعين السخط يكون بضد ذلك ، فمن رضي عن نفسه استولت عليه الغفلة ، ومن لم يرض عن نفسه تنبه لما يرضي الله تعالى ، ولَصُحْبَتُك جاهلًا لا يرضى عن نفسه خير لك في تحصيل فائدة الصحبة ، التي هي الزيادة في حالك ، من أن تصحب عالمًا بالعلوم الظاهرية ، يرضى عن نفسه[1] .

36

شُعَاعُ البَصِيْرةِ يُشهِدُكَ قُرْبَه منك ، وعين البصيرة يُشهدُكَ عدَمك لوجوده ، وحق البصيرة يُشهِدُكَ وجودَهُ لا عَدَمَك ولا وجودك

الرندي :

شعاع البصيرة : نور العقل ، **وعين البصيرة** : نورُ العلم ، **وحق البصيرة** : نورُ الحق ، فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربَّهم قريبًا منهم ، أي بالعلم والإحاطة ، والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدمًا في وجود ربهم ، والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه[2] .

زرُّوق :

الله تعالى قريب أبدًا ، وشهود العباد له على قدر أنوار بصائرهم ، ونور العقل هو الهادي إلى الإيمان ، وإذا تم الإيمان وانفتحت عين البصيرة لعين اليقين انطوى القرب في عموم التعريف ، فشهدت الحقيقة عدمَ كلِ شيءٍ لوجود الحقِّ ؛ إذ لا وجود لشيء إلا منه ، ولا قيام لشيء إلا به ، فنور الحقيقة القاضي بالتحقيق بحقائق العلم بقرب الحق هو حق البصيرة ، وبه يظهر أن الكون لا نسبة له في عدم ولا في وجود ، وأن العبرة إنما هي بوجود الحق سبحانه وحده[3] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 99 : 101 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 138) .

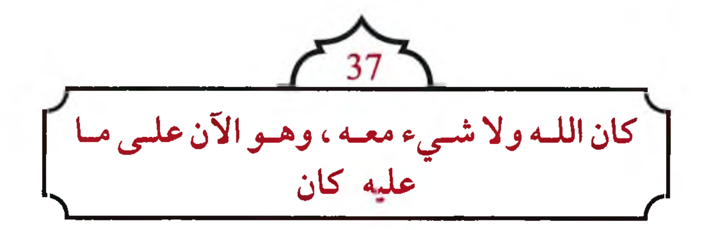
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 120 ، 121 .

الشرقاوي :

شعاع البصيرة ، ويعبَّر عنه بنور العقل وبعلم اليقين ، يُشهِدكَ قربَه منك ، وعين البصيرة ، ويعبَّر عنه بنور العلم وبعين اليقين ، يُشهدُك عدَمَك لوجوده ، وحقُّ البصيرة ، ويعبر عنه بنور الحق وبحق اليقين ، يُشهدُك وجوده لا عَدَمَك ولا وجودك ، والحاصل أن السالك يهتف على قلبه أنوار إلهية يُعَبَّرُ عنها بهذه العبارات ، ويترتب على كل واحدٍ ثمرات وفوائد[1] .

ابن عجيبة :

شعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك ، أي يوجب لك شهود قرب نور الحق منك ، وعين البصيرة يشهدك زوالك بزوال وهمك لوجوده ، أي وجود الحق ، فإذا زال عنك الوهم وفنيت عن وجودك ، شهدت ربك بربك ، وهو علامة فتح البصيرة وعلاج السريرة ، وحق البصيرة يشهدك وجود الحق وحده لا وجودك ؛ لأنك مفقود من أصلك ، ولا عدمك ؛ إذ لا يعدم إلاّ ما ثبت له وجود ، ولم يكن مع الله موجود[2] .



الرندي :

الأزمنة ها هنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق ، والمقصود أن الله لا شيء معهُ ؛ لثبوت أَحَدِيَّته[3] .

زرُّوق :

لا شيء مع الله في أبده ، كما لم يكن معه شيء في أزله ؛ لأنه الواحد الأحد أزلًا وأبدًا[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 44 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 101 : 104 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 138) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 122 .

الشرقاوي :

الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى ، وغيره لا وجود له ، هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع ، وعدم إدراك ذلك له قبل ذلك إنما هو لوجود الحجاب ، **فقوله** : (وهو الآن) ، أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف (على ما عليه كان) ، أي هو متصف به في الواقع ، **وقيل** : إدراك هذا المشاهِد له ، لكن عدم إدراكه ذلك إنما هو للحجاب القائم به[1] .



38

لا تتعدَّ نيَّة هِمَّتِك إلى غيره ؛ فالكريم لا تتخطاه الآمال

الرندي :

الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها إلى غير كريم ، ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى[2] .

زرُّوق :

لا تتجاوز بقصد همتك إلى غير مولاك بطلب ذلك الغير ، ولا الطلب منه ، بل اجعله مكان همتك اكتفاء به ، واقتصارًا على ما عنده ، فالكريم ذاتًا ووصفًا وفعلًا لا تتخطاه آمال المؤمِلين إلى غيره[3] .

الشرقاوي :

لا تتوجه إلى غيره لتحصيل حاجتك ، بل اطلب حوائجك منه ، فالهمة العالية تأنف من رفع حوائجها إلى غير كريم ، ولا كريم على الحقيقة إلا الله[4] .

ابن عجيبة :

إذا تعلقت همّتك أيها المريد بشيء تريد تحصيله فردها إلى الله ، ولا تتعلق بشيء سواه ؛ لأنه سبحانه كريم على الدوام ، ونعمه سحاء على مر الليالي والأيام ، والكريم لا تتخطاه الآمال ، وهو يحب أن يسأل فيجيب السؤال[5] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 45 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 138) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 125 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 46 .
(5) إيقاظ الهمم : ص 105 .

39

لا ترفعنَّ إلى غيره حاجةً هو موردها عليك ؛ فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعًا ؟! من لا يستطيع أن يرفع حاجة من نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعًا ؟!

الرندي :

إذا أورد الله تعالى عليك حاجة ، أو أنزل بك نازلة ، فاعلم أنه لا رافع لها سواه ؛ إذ يستحيل أن يرفع غيره ما كان هو له واضعًا ، لثبوت توحيده في أن لا فاعل سواه ؛ إذ هو غالب على أمره ، لا يغالبه أحدٌ ، ويستحيل أيضًا أن يرفعها عن نفسه لو نزلت به ، لثبوت عجزه وضعفه ، ومن المحال تعلُّقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك[1] .

زرُّوق :

إنه هو الذي أورد عليك الاحتياج ، وقد عرفت أنه غني قدير قوي ، ومن سواه لا غنى له ولا قوة ولا قدرة ، وإذا كان الأمر كذلك فرفعها للعاجز الفقير الضعيف لا يصح ، فمن كان عاجزًا عن الرفع والنفع في حوائجه فهو عن غيره أعجز[2] .

الشرقاوي :

لا ترفعنَّ أيها المريد إلى غيره فاقة أو نازلة نزلت بك ، فإنه هو الذي أنزلها بك ، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعًا ؟! إذ هو الغالب الذي لا يغلبه شيء ، ومن لم يستطع أن يرفع حاجة عن نفسه إذا نزلت به ، فيستحيل أن يكون لها عن غيره رافعًا ؛ لثبوت عجزه وضعفه[3] .

ابن عجيبة :

إذا أنزل الله بك حاجة كفاقة أو شدة فأنزلها بالله ، ولا تلتفت إلى ما سواه ، فمن قلة حياء الإنسان أن يرفع إلى غيره ما أنزله عليه الحق تعالى من أحكام قهره ، مع علمه تعالى بإحسانه وبرّه ، وعدم انفكاك لطفه عن قدره ، ومَنْ عجز عن إصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره؟![4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 139 ، 140) .

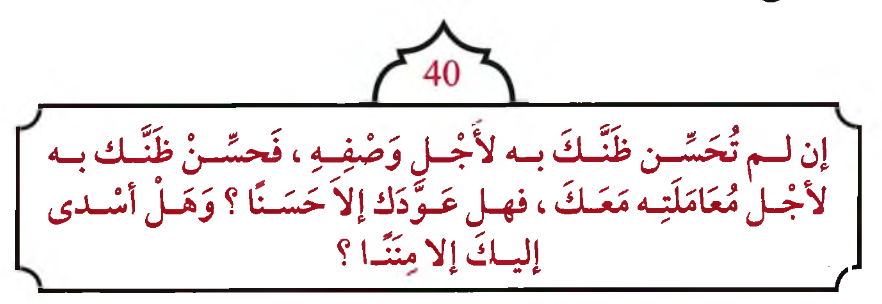
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 126 ، 127 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 47 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 105 ، 106 .

الشرنوبي :

لا ترفع إلى غير الله تعالى حاجة ، كفقرٍ أو نازلة هو موردها عليك اختبارًا ، بل ارفع ذلك إليه فإنه سبحانه يحب أن يُسأل ، ومن المحال أن يرفع غيره سبحانه ما كان له واضعًا ، فإن الله غالب على أمره ، والعبدُ شأنه العجز عن رفع النازلة عن نفسه ، فكيف يستطيع أن يرفعها عن غيره ؟![1] .



40

إن لم تُحَسِّن ظَنَّك به لأَجْلِ وَصْفِهِ ، فَحسِّنْ ظَنَّك به لأجْلِ مُعَامَلَتِه مَعَكَ ، فهل عَوَّدَك إلاَّ حَسَنًا ؟ وَهَلْ أسْدى إليكَ إلا مِنَنًا ؟

الرندي :

حسن الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين ، **والناس فيه على قسمين** : خاصة ، وعامة ، **فالخاصة** حسّنوا الظنَّ به لما هو عليه من النعوت السنيّة ، والصفات العلية ، **والعامة** حسّنوا الظنَّ به لما هم فيه من سبوغ النعم ، وشمول الفضل والكرم ، وحسن الظن يطلب من العبد في أمر دنياه بأن يكون واثقًا بالله تعالى في إيصال المنافع والمرافق إليه من غير كدّ ، وفي أمر آخرته بأن يكون قويّ الرجاء في قبول أعماله الصالحة وتوفية أجوره عليها ، فحسن الظن بالله في أمر الدنيا يُوجب سكونًا وراحة قلبية ، وفي أمر الآخرة يوجب المبادرة لامتثال الأمر ، والتكثير في أعمال البرّ[2] .

زرُّوق :

حسن الظن به تعالى لأجل وصفه : أن تنظر لكماله في جلاله وجماله فتعلم أنه جميل ، والجميل لا يفعل إلا جميلًا ، فتقطع الآمال عن سوى فضله ، وحسن الظن به لمعاملته معك : هو أن تنظر إلى إحسانه السابق وإفضاله اللاحق فتجدك مغموسًا في منته مغمورًا في إكرامه ورحمته ، فيحملك ذلك على حسن الظن به فيما تؤمله منه ، وتأمل تجد ما منه إليك إنما هو إحسان من أفضاله، وعطاء من امتنانه[3] .

---

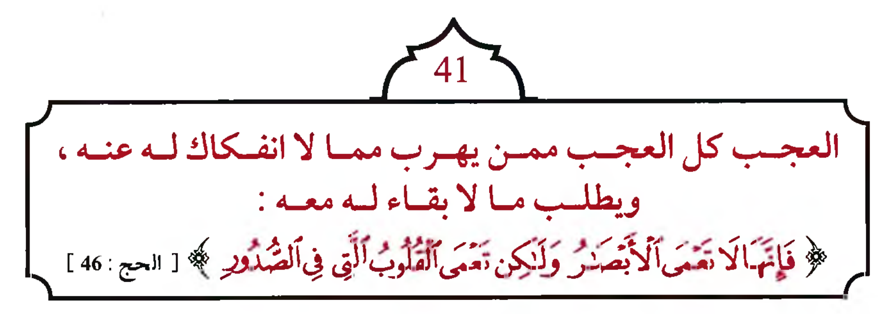
(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 103 ، 104 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 142 ، 143) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 128 .

ابن عجيبة :

الناس في حسن الظن بالله على قسمين : خواص وعوام ، أما **الخواص** فحسن ظنهم بالله تعالى ناشئ عن شهود جماله ورؤية كماله ، فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله ؛ لأن اتصافه تعالى بالرحمة والرأفة والكرم والجود لا ينقطع . وأما **العوام** ، فحسن ظنهم بالله ناشئ عن شهود إحسانه وحسن معاملته وامتنانه ، فإذا نزلت بهم شدة نظروا إلى سالف إحسانه فتلقوا ما يرد عليهم بالقبول والرضا ، فإن لم تقدر أيها المريد أن تحسن ظنك بالله لشهود وصفه بالرأفة والرحمة ، فحسِّن ظنك به لوجود معاملته معك بلطفه ومننه ، فهل عوّدك الحق تعالى إلا برًّا حسنًا ولطفًا جميلًا ؟ وهل أسدى إليك إلا مننًا كبيرة ونعمًا غزيرة ؟[1].


41

العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ، ويطلب ما لا بقاء له معه :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : 46]

الرندي :

هرب العبد من مولاه بإقباله على شهواته ومتابعة هواه ، وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود جهله بربه ؛ لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ، ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني[2] .

زرُّوق :

ما لا انفكاك له عنه : هو مولاه ، وما كان المرجع إليه بخبر الصادق من الآخرة وما فيها . **وما لا بقاء له معه** : هم الخلائق ، والدنيا التي إن لم يفارقها بالحياة فارقها بالممات ، وإنما **عجب منه لثلاث** : تركه المهم مع اشتغاله بالباطل ، وإعراضه عن مولاه بما لا حقيقة له ، وعدوله بما لا يغنيه بدلًا مما لا غنى له عنه ، ثم ذلك إنما هو من عمى البصيرة ؛ إذ وضع الشيء في غير محله وأتى به على غير وجهه ، فقدم ما حقه التأخير ، وأخر ما حقه التقديم[3] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 107 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 146) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 130 .

الشرقاوي :

العجب كل العجب لمن يهرب من الله تعالى، بأن لا يفعل ما يُقَرِّبه إليه، ويطلب الدنيا وكل شيء سوى المولى، بأن يُقبل على شهواته ويتبع هواه، وذلك ناشئ من عمى قلبه ووجود جهله بربه؛ لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه، ولو كانت له بصيرة لعكس الأمر[1] .

ابن عجيبة :

ما لا انفكاك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره، وما لا بقاء له هو الدنيا، أو ما تدبره النفس وتقدره، فمن العجب أن يفر العبد من مولاه، ويتوجه بالطلب لما سواه، وهو لا محيد له عنه، إذ لا وجود له إلّا منه، فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته، والتقرب به بامتثال أمره واجتناب نهيه، ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا، فاطلب ما يبقى دون ما يفنى[2] .

الشرنوبي :

العجب الكامل من العبد الذي يهرب من ربه الذي لا انفكاك له عنه؛ بأن لا يفعل ما يقرِّبه به إليه، مع تواري إحسانه عليه، ويطلب ما لا بقاء له معه، وهو الدنيا وكل شيء سوى الله، بأن يُقبل على شهواته، ويتبع شيطانه وهواه، وهذا إنما سيكون من عمى البصيرة التي هي عين القلب، حيث استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير[3] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 49 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 108 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 106 .

42

لا تَرْحَـلْ مِـنْ كَـوْنٍ إلى كَوْنٍ ، فَتَـكُونَ كَحِمَارِ الرَّحى يسـير ، والذي ارْتَحَـلَ إليـه هـو الـذي ارْتَحَـلَ منـه ، ولكن ارحـل من الأكـوان إلى المُكَـوِّن ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : 42] ، وانظـر إلى قوله ﷺ : « فمن كانـت هجرتـه إلـى اللـه ورسـوله فهجرته إلـى اللـه ورسـوله ، ومن كانـت هجرتـه إلى دنيـا يصيبهـا أو امـرأة يتزوجهـا ، فهجرتـه إلى ما هاجـر إليـه »[1] فافهـم قولـه - عليـه الصـلاة والسـلام - ، وتأمَّـل هذا الأمـر إن كنـت ذا فهـم ، والسـلام .

الرندي :

العمـل علـى طالـب الجـزاء والدرجـات ، أو نيل الرتـب العلية والمقامـات نقصان في الحـال ، وشـوب فـي إخـلاص الأعمـال ، وهو معنـى الرحيل من كـون إلى كون ، وسـبب ذلـك بقـاء اعتبـار النفـس فـي أن تحصـل لهـا رتبة أو تنـال بسـعيها موهبـة ، وهـذه كلها من الأكـوان والأكـوان كلها متسـاوية في كونهـا أغيـارًا ، وإن كان بعضها أنـوارًا ، وتمثيله بحمار الرحـى مبالغـة في تقبيح حـال العاملين علـى رؤية الأغيـار ، وتلطف في دعائهم إلى حسـن الأدب بيـن يـدي الواحـد القهار حتـى يكون سـيرهم إليه ، وعكـوف قلوبهـم عليـه ، من غير التفـات إلـى النفـس ، فهـذا هـو تحقيـق الإخـلاص ، وفي الحديـث النبـوي تنبيه علـى هذا المعنى المذكـور[2] .

زرُّوق :

لا تنتقـل عـن نفسـك لمثلهـا لا في طلب ذلـك المثل ، ولا فـي الطلب منـه ، فإن فعلت كنـت كحمـار الطاحونـة في سـير دائـم ، وتعب متصل مـن حيث خـرج إلى ثم عـاد ، لا هو اسـتراح ، ولا قطـع المسـافة ، وهـو يـرى أنه عمـلٌ يعـود عليه بالنفـع ، ولكـن ... ارحل من الأكـوان إلـى المكـوِّن بـأن لا تريد سـواه ، ولا تعرف في الدنيـا والآخرة إلا إيـاه ، فلا تطلب إلا هـو ، ولا تطلـب إلا منـه ، فمنتهـى كل شـيء إليـه ، وكما جـاء في الحديـث : اعمل على ذلـك بـأن تهاجر إلـى الله ورسـوله ، فـلا تتوجه إلى غيـره[3] .

---

(1) رواه البخاري : ح (2) ، ومسلم : ح 1907 .

(2) غيث المواهب : ص (1 / 147 ، 148) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 133 : 135 .

الشرقاوي :

العمـل المصاحـب للرياء ونحـوه مذموم غيـر مُعْتَدٍّ به شـرعًا ، فإذا جاهد المريدُ نفسـه حتـى خَلُـصَ من ذلك ، ولكـن قصَدَ به الدرجـات أونَيْل الرتـب العلية والمقامـات ، لم يزل مذمومًـا أيضًـا عنـد العارفين ، والمحمـود أن يقصد به وجـه الله تعالى ، ثم شـبه الرحيل من كـون إلـى كـون بحمـار الطاحونـة ، وكذلـك الميل لطلـب الجزاء فيـه رحيل من كـون وهو الريـاء ونحـوه إلى كـونٍ وهو ما ذُكِرَ مـن طلب الجزاء ، وسـببه بقايا النفـس ، فتطلب بعملها رتبـة عنـد اللـه ، وكل ذلك من الأكـوان ، والأكوان كلها متسـاوية فـي كونها أغيـارًا ، ولكن تُخلِـص عملـك لمـولاك وحـده دون حـظ عاجـلٍ أو آجـلٍ ، فمـن عمـل لأجـل الدرجات أو المقامـات فهـو عبـدٌ لهـا ، ومـن عمـل للـه فهـوَ عبدٌ للـهً ، وهـو راحل مـن الأكـوان إلى المُكَـوِّنِ ، أي : فقـد انتهـى سـيرُهُ إلى اللـه ، ومن قصد بهجرتـه الله ورسـوله ، فهي محمودة مُعْتَـدٌّ بهـا ، ومـن قصـد غير الله ورسـوله فـلا نصيب له مـن الوصول والقـرب[1] .

ابن عجيبة :

الرحيل من الكون إلى الكون هو الرحيل من السوى إلى طلب السوى ، وذلك كمن زهد في الدنيا وانقطع إلى الله يطلب بذلك راحة بدنه ، وإقبال الدنيا عليه ، وكمن زهد فيها يطلب الخصوصية كإقبال الخلق والعز وتربية المهابة في قلوب الناس ، أو زهد فيها يطلب الكرامة وخوارق العادات ، فهذا مثله كحمار الطاحونة يسير الليل والنهار وهو في موضعه ، فمن كانت همته الحظوظ النفسانية فحاله حال حمار الساقية ، والتشبيه بالحمار دليل على بلادته وقلّة فهمه ؛ إذ لو فهم عن الله لرحل قاصدًا مولاه ، والحديث استدلال على طلب رفع الهمة إلى الله ، فمن هاجر من وطن المعصية إلى وطن الطاعة قاصدًا رضا الله ورسوله ، فهجرته موصلة له إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى حظوظ نفسه وهواه ، فقد خاب قصده ومسعاه[2] .

الشرنوبي :

لا تطلب بأعمالك الصالحة عوضًا ، ولو في الآخرة ، فإن الآخرة كَونٌ كالدنيا ، والأكوان متساوية في أنها أغيار ، بل اطلب وجه الكريم المنان ، الذي كوَّن الأكوان ، ووفاءً بمقتضى العبودية ؛ وقيامًا بحقوق الربوبية ؛ لتتحقق بمقام ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم : 42] ، وهذا مقام العارفين الذين رغبوا عن الثواب ، ومحضوا النظر إلى الكريم الوهَّاب ، فتحققوا بمقام الإخلاص ، وأمّا مَنْ فرّ من الرياء في عبادته ، وطلب بها الثواب ، فهو كحمار الرحى ، يسير ولا ينتقل عمَّا سار منه[3] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 49 : 51 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 109 : 111 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 107 ، 108 .

43

لا تصحبْ من لا ينهضُك حاله ، ولا يدلُّك على الله مقالُه

الرندي :

إنهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ، ومعنى الحال المنهضة أن تكون همته متعلقة بالله تعالى ، لا يلجأ إلا إلى الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، وسقط اعتبار الناس من عينه فلا يرى منهم ضرًّا ولا نفعًا ، فصحبة من هذه حاله ، وإن قلَّت عبادته ، مأمونة الغائلة ، محمودة العاقبة ، جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية[1] .

زرُّوق :

الذي لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله هو الذي لم ينازل الحقائق ، ولا رفع همته عن الخلائق ، بل هو الراضي عن نفسه ، والذي ينهض حاله ويدل على الله مقاله : هو الذي رفع همته عن الخلائق ، وامتلأ قلبه بمشاهدة الحقائق ، فإذا نظرت إليه وجدته مشغولًا بالله ، وإذا تكلم فإنما يدُلُّك على الله ، ومن آفات صحبة من لا ينهض حاله ، ولا يدل على الله مقاله ، رؤية المرء نفسه بعين الكمال[2] .

الشرقاوي :

لا تصحب من لا يكون حاله وهمّته متعلقة بالله ، ومقاله لا يدل عليه ، وإن كان من العُبّاد والزُّهاد ، فصحبته للمريد منهيٌّ عنها ، بخلاف صحبة من ينهضك حاله ، ويدلك على الله مقاله ، بأن تكون همَّته متعلقة بالله مرتفعة من المخلوقين ، فصحبة من هذه حاله ، وإن قلَّت ، عبادته ونوافله جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية[3] .

ابن عجيبة :

لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ، بل اصحب من ينهضك حاله ، وهو الذي إذا رأيته ذكرت الله ، فقد كنت في حال الغفلة فلما رأيته نهض حالك إلى اليقظة ، ولوكنت في رغبة نهض حالك إلى الزهد ، ولو كنت في معصية نهض حالك إلى التوبة ، وهو الذي يدلك على الله مقاله ، أي : يتكلم بالله ويدل عليه ، فصحبة هذا إكسير يقلب الأعيان[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : ص 149 .

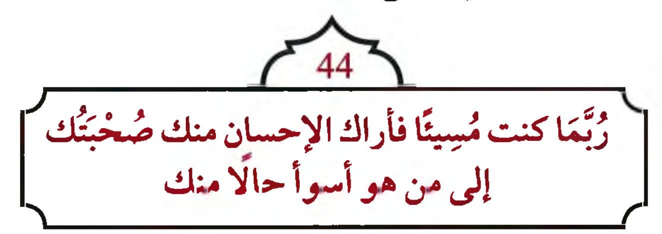
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 139 ، 140 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 51 ، 52 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 112 .

الشرنوبي :

لا تصحب من لا يرقِّيك حاله الذي هو عليه لعدم علو همته ، فإن الطبع سرَّاق ، بل اصحب شيخًا عارفًا ينهضك حاله ، بأن تكون همته متعلقة بالله تعالى ، فلا يلجأ في حوائجه إلا إليه ، ولا يتوكل في جميع أموره إلا عليه ، ويدلك على الله مقاله[1] .


44

رُبَّمَا كنت مُسِيئًا فأراك الإحسان منك صُحْبَتُك إلى من هو أسوأ حالًا منك

الرندي :

هذه أعظم آفة تدخل على من خالف ما ذكره ، وصحب من هو دونه في الحال ، وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك إلى رضاه عن نفسه ، ورؤيته لإحسانها ، وهو أصل كلِّ شرٍّ كما تقدم[2] .

زرُّوق :

إنك إذا صحبت من هو أسوأ حالًا منك ، ربّما رأيت بذلك الإحسانَ من نفسك ؛ لما جُبِلت عليه النفوس من استشعار فضيلتها عند مشاهدة من هو دونها[3] .

الشرقاوي :

صحبة من هو دونك ضرر محض ؛ لأنها تُغَطِّي عنك عيوبك وتبين لك كمالك ، فتحسن الظن بنفسك ، وتُعْجَب بأعمالك وتقنع بأحوالك ، والرضا عن النفس أصل كل شر ، فإن أردت أن تصحب فاصحب مثلك حتى تكون في صحبته لا لك ولا عليك[4] .

ابن عجيبة :

إذا صحبت من هو أسوأ حالًا منك أراك من نفسك الإحسان ؛ لما ترى ما يصدر منها من الإحسان ، ومن المصحوب من التقصير والنقصان فتعقد المزية عليه ؛ لأن النفس مجبولة على رؤية الفضل لها ومشاهدة التقصير من غيرها[5] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 108 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 154) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 141 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 52 .
(5) إيقاظ الهمم : ص 113 .

الشرنوبي :

انضمامـك إلـى مـن هو أسـوأ حالًا منك سـبب لتغطيـة عيوب نفسـك ، ورؤيـة كمالها بالنسـبة لغيـرك ، فتقع في مهـاوي الإعجاب والزَّهْو بالأعمـال التي ربما كانـت في الحقيقة كسراب[1] .



45

ما قَلَّ عملٌ برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب

الرندي :

مقاديـر الأعمـال على حسـب قلـوب العمّـال ، فما صـدر عـن الزاهدين فـي الدنيا من عمـل طاعـة ، وإن كان قليـلًا فـي الحِسِّ ، فهو كثيـر على التحقيـق ، وما صدر عـن الراغبين فيهـا مـن عمـل بـرٍّ ، وإن كان كثيرًا فـي الحسِّ ، فهـو قليل علـى التحقيق[2] .

زرُّوق :

العمـل القليـل مـن الزاهـد ليـس بقليـل ؛ لفـراغ قلبـه وسـلامة وقتـه ، وحضـوره فـي عبادتـه ، والعمـل الكثيـر مـن غيـر الزاهـد ليـس بكثيـر ؛ لمزاحمتـه بالأضـداد ؛ لأن حقيقة الزهـد بـرودة الدنيـا علـى القلـب ، وذلـك مـن أصل الثقـة بالله[3] .

ابن عجيبة :

عمـل الزاهـد فـي الدنيا كله عظيمٌ كبيـرٌ في المعنى عنـد الله ، وإن كان قليـلًا في الحس عنـد النـاس ، وعمـل الراغـب في الدنيـا قليل فـي المعنـى ، وإن كان كثيرًا في الحـس ؛ إذ لا عبـرة بحركة الأشـباح ، وإنما العبرة بخضـوع الأرواح[4] .



(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 108 ، 109 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 154) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 142 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 115 .

46

حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال ، وحسن الأحوال من التحقيق في مقامات الإنزال

الرندي :

حسن الأعمال : توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى ، لا لطلب حظٍّ عاجل ، ولا لثواب آجل . **وحسن الأحوال** : أن تكون سالمة من العلل والدعاوي موسومة بسمة الصدق ، **والتحقيق في مقامات الإنزال** : هو ارتواء القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف ، بحيث ينتفي عنه كل شك وريب[1] .

زرُّوق :

حُسن الأعمال : جمالها وكمالها ، وكذلك حسن الأحوال ، **والأعمال** عبارة عن الحركات الجسمانية ، **والأحوال** عبارة عن الحركات القلبية ، **ومقامات الإنزال** عبارة عما نازل من القلب من المعارف ونحوها ، فمن كانت معرفته أتمَّ كان حاله أحكم ، ومن كان حاله أحكم كان عمله أكمل[2] .

الشرقاوي :

حسن الأعمال بخلوها مما يعوقها عن القبول من الرياء وغيره ، وحضور القلب مع الله في حال فِعْلِها ، وعدم اشتغاله بغيره ، نتائج حسن الأحوال القائمة بالقلوب من الزهد في الدنيا والإخلاص لله تعالى ، وحسن الأحوال ناشئٌ من التحقق في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين ، وهي معارف إلهية يوردها الله تعالى على القلوب ، تجعل المريد لا يقصد بعمله غير الله ، فبذلك يتخلص العمل مما يعوقه عن القبول[3] .

ابن عجيبة :

الأعمال حركة الجسم بالمجاهدة ، والأحوال حركة القلب بالمكابدة ، والمقامات سكون القلب بالطمأنينة ، مثال ذلك مقام الزهد مثلًا فإنه يكون أولًا عمله مجاهدة بترك الدنيا وأسبابها ، ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالًا ، ثم يسكن القلب ويذوق حلاوته فيصير مقامًا[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 156 ، 157) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 143 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 54 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 117 .

الشرنوبي :

الأعمال الحسنة : إنما هي نتائج الأحوال الحسنة القائمة بالقلب ، من الزهد في الدنيا ، والإخلاص لله تعالى ، لا لطلب حظٍّ عاجل ، ولا ثواب آجل ، وحسن الأحوال ناشئ من التمكن في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين ، وهي المعارف الإلهية التي يوردها الله تعالى على قلوبهم ، فتكون سببًا في رفع الدعوى ، وعدم التعلق بغير المولى[1] .

47

لا تترك الذكر ، لعدم حضورك مع الله فيه ؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره أشدُّ من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكرٍ مع وجود غفلة ، إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكرٍ مع وجود يقظة ، إلى ذكر مع وجود حضورٍ ، ومن ذكر مع وجود حضورٍ ، إلى ذكرٍ مع غيبة عما سوى المذكور ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : 20]

الرندي :

الذكر أقرب الطرق إلى الله تعالى ، وهو علم على وجود ولايته ، فينبغي للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ، ويستغرق فيه جميع أوقاته ، ولا يغفل عنه ، ولا يتركه لوجود غفلته فيه ، فإن تركه له وغفله عنه أشدُّ من غفلته فيه ، فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلًا فيه ، فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود اليقظة ، وهذا نعت العقلاء ، ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه إلى الذكر مع وجود الحضور ، وهذه صفة العلماء ، ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور ، وهي مرتبة العارفين المحققين من الأولياء[2] .

زرُّوق :

اذكر الله في حال الحضور وفي حال الغفلة باذلًا مجهودك في الأمر حسبما أمر الله تعالى به ، ولا يتقيد ذكره بحضور ولا غيبة ، فإن في وجود ذكره إقبالًا بوجه ما ، والغفلة عنه

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 109 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 157 : 159) .

إعراضًا بالكُلِّيَّة ، وفي ذكره تزيين جارحة بالعبادة ، والغفلة عنه تفويت لذلك ، وفي وجود ذكره تعرُّضٌ لنفحات رحمته أن يرفعك مما هو أدنى لما هو أعلى ، وفي الغفلة عن ذكره إهمالٌ لذلك ، ولا يشك عاقل في أن الإقبال ولو ضعيفًا خير من الإدبار بالكلية[1] .

الشرقاوي :

لا تترك أيها المريد الذكر ، بل لازمه وداوم عليه ، فإنه أقرب الطرق إلى الله تعالى ، فمن وُفِّق للذكر أعطى منشور الولاية ، فلا تتركه لعدم حضور قلبك بأن كان مشتغلًا بالوساوس الشيطانية والأغراض الدنيوية ؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره بأن تتركه أشد من غفلتك الحاصلة في وجود ذكره ؛ لأن ترك الذكر فيه بُعْدٌ عن الله بالقلب واللسان ، بخلاف الذكر ، فإنك إن بَعُدْتَ عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك ، فعليك أن تذكر الله به ، وإن كان قلبك غافلًا حال الذكر ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود الغفلة عن المولى إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع دخول القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وهو الله ، بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج من الذكر من غير قصد ، وحينئذٍ يكون الحق لسانه الذي به ينطق[2] .



48

مِنْ عَلَامَاتِ مَوْتِ القلب عَدَمُ الحزن على ما فاتك من المُوَافِقَات ، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزَّلات

الرندي :

القلب إذا كان حيًّا بالإيمان حزن على ما فاته من الطاعات ، وندم على ما فعله من الزلات ، ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ، ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات ، فإذا لم يكن العبد بهذا الوصف ، وعدمَ الحزن على ما فاته ، والندم على ما أتاه فهو ميت القلب[3] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 145 ، 146 .

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 162) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 55 .

زرُّوق :

القلب الحيّ هو الذي يتألم بالمعاصي ، ويتلذذ بالطاعة ، ويطلب هذه ، ويفرّ من هذه لما أحسَّ به من ألم أو ملاءمة ، ووجده من مرارة وحلاوة ، فيحزن لما فاته من الموافقات على حسب همّته ، ويندم على ما فعله من وجود الزلات ، كذلك والميت لا يحس بشيء من ذلك فلا يقع له حزن ولا ندم[1] .

الشرقاوي :

من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الطاعات ، وترك الندم على ما فعلته من الزلات التي توجد منك ، وعلامة حياته الأنوار الإلهية ، وإن لم تدركها لِغِلَظ حجابك[2] .

ابن عجيبة :

موت القلب سببه ثلاثة أشياء : حب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله ، وإرسال الجوارح في معاصي الله . وسبب حياته ثلاثة أشياء : الزهد في الدنيا ، والاشتغال بذكر الله ، وصحبة أولياء الله . وعلامة موته ثلاثة أشياء : عدم الحزن على ما فات من الطاعات ، وترك الندم على ما فعلت من الزلات ، وصحبتك للغافلين الأموات ، وذلك لأن صدور الطاعة من العبد عنوان السعادة ، وصدور المعصية علامة الشقاوة[3] .

الشرنوبي :

إنَّ عدم حزنك على ما فاتك من الطاعات الموافقة للشرع ، وترك ندمك على ما فعلته من وجود المعاصي التي توجد منك ، علامة موت قلبك ، ويُفهم منه أن سرورك بالطاعة ، وحزنك على المعصية ، علامة حياته ، فإن الأعمال الحسنة علامة على رضا الحق ، ورضاه يقتضي السرور ، والأعمال السيئة علامة على غضبه ، وغضبه يقتضي الحزن[4] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 151 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 56 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 122 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 112 ، 113 .

49

لا يَعْظُم الذَّنْبُ عندك عظمةً تصُدُّك عن حُسْن الظَّنِّ بالله تعالى ، فإنَّ من عَرَف رَبَّهُ استصغر في جنب كرمه ذنبه

الرندي :

عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين : **أولهما** : أن يَعْظُمَ عنده عظمة تحمله على التوبة منه والإقلاع عنه ، فهذه عظمة محمودة ، **والثاني** : أن تعظم عنده عظمة تُوقعه في اليأس والقنوط ، وسوء الظن بالله تعالى ، فهذه عظمة مذمومة قادحة في الإيمان ، وهي شرٌّ عليه من ذنوبه ، ولو كان عارفًا بالله حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله ، فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه استعظامًا يُيئسه من روح الله ، بل عليه أن يتوب إلى ربه ويرجع إليه[1] .

زرّوق :

الحزن والندم منشأهما عظمة الذنب ، وذلك قد يُفرِط فينتهي بالعبد إلى اليأس والقنوط ، وهما من الإعراض عن حسن الظن بالله ، وهو من كبائر القلوب ، وقد لا يفرط فيوجب ذلك الانزعاج من الذنب دون اليأس والتفريط ، ومن عرف ربَّه أعظمَ لأجل حق إجلاله ذنبَه ، فكان معتدلًا بين الحالين بلا ميل لأحدهما[2] .

ابن عجيبة :

الناس في الخوف والرجاء ثلاثة : أهل البداية الذين غلَّبوا جانب الخوف فجدّوا في العمل فبذلك تشرق نهايتهم ، وأهل الوسط الذين اعتدلوا بين الخوف والرجاء ، وأهل النهاية الذين يغلبون جانب الرجاء ، فنظرهم إلى حلمه وعفوه وإحسانه أكثر من نظرهم إلى بطشه وقهره ، ومن عرف ربه غاب عن رؤية ذنبه لفنائه عن نفسه بشهود ربه ، فإن صدر منه فعل يخالف الحكمة غلب عليه شهود النعمة ، والحاصل أن العارف لا يقف مع معصية وإن جلّت ، ولا مع طاعة وإن عظمت[3] .

الشرنوبي :

الندم على المعصية هو الندم الذي لا يؤدي لليأس من رحمة الله تعالى ، فالمطلوب أن تكون خائفًا راجيًا ، فالخوف يحملك على التوبة من الذنب ، والرجاء يُطمِّعك في القبول ، فإن من عرف ربه باللطف والفضل والامتنان ، استصغر في جنب كرمه ذنبه أيًّا كان[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 164) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 153 ، 154 .

(3) إيقاظ الهمم : (1 / 125 ، 126) .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 113 .



50

لا صغيــرة إذا قابلــك عدلــه ، ولا كبيــرة إذا واجهــك فضلــه

الرندي :

إذا ظهـرت الصفـات العليّـة بطلـت أعمـال العامليـن ؛ فـإذا ظهـرت صفة العـدل على مـن أبغضـه ومَقَتَه بطلت حسـناته وعـادت صغائره كبائـر ، وإذا ظهر وصف الكـرم والفضل علـى من أحبـه اضمحلت سـيئاته ورجعـت كبائره صغائـر[1] .

زرُّوق :

لا صغيـرة إذا قابلـك عدلـه ، ولا كبيـرة إذا واجهـك فضلـه ، فانظـر لعدلـه وفضلـه ، لا لذنوبـك وعيوبـك سـواء كانـت صغائـر أو كبائر ، وبحسـب هذا فلا ميـل ؛ إذ لا علـم لنا بما يواجـه ولا بمـا يقابل[2] .

ابن عجيبة :

الصغيرة : هي الجريمة التي لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث ، **والكبيرة** : هي التي تَوعّد عليها بالعذاب أو الحدّ في القرآن أو في السنة ، وقيل غير ذلك ، فإذا قابلك الحق سبحانه وتعالى بعدله وجلاله لم تبق لك صغيرة ، وعادت صغائرك كبائر ، وإذا واجهك الله تعالى بفضله وكرمه وإحسانه وجماله لم تبق لك كبيرة ، وعادت كبائرك صغائر[3].

الشرنوبي :

لا صغيـرة مـن ذنوبـك ، بـل كلُّهـا كبائـر ، إذا قابلك عدلـه تعالـى ، فإن صفة العـدل إذا ظهـرت علـى مـن أبغضه الله تلاشـت حسـناته ، وعـادت صغائـره كبائـر ؛ لأنـه يعذبه على أصغـر ذنـب ، ولا كبيـرة إذا واجهـك فضلـه ، وهـو إعطـاء الشـيء بغيـر عوض ، فـإن صفة الفضـل إذا ظهـرت لمن أحبـه اضمحلّـت سـيئاتُه ، وبُدِّلَت حسـناتٍ[4] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 166) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 155 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 126 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 114 .



51
لا عَمَلَ أرْجَى للقبول من عَمَلٍ يغيب عنك شُهُودُهُ ، ويُحْتَقَرُ عِنْدَكَ وجُودُهُ

الرندي :

سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله ؛ لأن صاحبه متّقٍ لله تعالى ، وإنما يسلم العمل من الآفات باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه ، فيغيب عنه إذ ذاك شهوده ، ويُحتقر عنده وجوده ، فلا يساكنه ولا يعتمد عليه ، فإن لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرًا إليه مستعظمًا له ، غائبًا عن شهود مِنَّة الله تعالى عليه في توفيقه له ، أوقعه ذلك في العُجب ، فحبط لذلك عمله وخاب سعيه[1] .

زرُّوق :

لا عمل أرجى للقلوب قبوله وحصول النفع به من عمل يغيب عنك شهوده بشهود مدبِّره ، وهو الله تعالى ؛ حتى لا ترى لنفسك نسبة فيه ، بل لا تدري له وجودًا في ذاته ، ويُحتقر عندك وجوده لما هو عليه من نقص وعيب ظاهر أو خفي منه ، فمن يرى نفسه قصَّر فيه ، يرى منع تقصيره مِنَّة الله عليه[2] .

الشرقاوي :

لا عمل أرجى لقبول الله له من عمل تشهد أن الذي وفَّقكَ له هو الله تعالى ، ولولاه ما صدر منك ذلك العمل ، ويُحتَقَرُ عندك وجودُه ، بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور ، كالوصول إلى الله والقرب منه ؛ لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامةٍ من الآفات المانعة من قبوله[3] .

ابن عجيبة :

لا عمل أرجى لحياة القلوب من عمل يكون بالله ولله ، غائبًا فيه عما سواه ، غير ملاحظ فيه حظوظه وهواه ، متبرئًا فيه من حوله وقواه ، فإذا أظْهَرَتْهُ عليه القدرة غاب عن شهوده ، وصغر في عينه صورة وجوده ؛ لِمَا تجلَّى في قلبه من عظمة مولاه فصغر عنده كل ما سواه ، فمثل هذا العمل تحيا به القلوب[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 167 ، 168) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 157 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 58 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 127 .

الشرنوبي :

لا عمل من أعمال البر أكثر رجاءً للقبول عند الله ، منْ عمل يغيب عنك شهوده ؛ لأنك إن غبت عن شهود عملك ، فقد بقيت حينئذٍ بربك ، وصار وجود العمل محتقرًا عندك ؛ لاتهامك لنفسك في القيام بحقه[1] .



52

إِنَّمـا أَوْرَدَ عَلَيْكَ الْـوَارِدَ لِتَكُونَ بِـهِ عَلَيْـهِ وَارِدًا

الرندي :

الوارد عبارة عمّا يرد على القلب عن المعارف الربانية ؛ ليطهره بذلك ويزكّيه ، حتى يصلح بذلك للورود عليه ، والدخول إلى حضرته ؛ لأن الحضرة منزّهة عن كل قلب متكدّر بالآثار متلوّث بأقذار الأغيار ، فإذن إنما أورده عليك ؛ لتكون به عليه وارادًا[2] .

زرُّوق :

الوارد هنا ما ينزل بالقلب فيخرجه عن معتاده ، ويرفعه عن مراده من موارد الحق ومعارفه ، ومقصوده إرجاع العبد لمولاه ، وانقطاعه لما به تولاه ، فيكون العبد به - أي بالوارد - واردًا على مولاه ، أي بمولاه واردًا على مولاه[3] .

الشرقاوي :

يُطلق الوارد على ما يُتْحفُ الله به عبدَهُ من العلوم الوَهْبِيّة والأنوار العرفانية التي ينشرح بها صدرُهُ ، ويستنيرُ بها قلبه ، فيرى الحق حقًّا والباطل باطلًا ، ويُطلَقُ على تَجَلٍّ إلهي يَرِدُ على القلب ، وإن لم يشعر به العبدُ لغلظ بشريته ، وهذا الوارد الذي يورده عليك لتكون مقبلًا على الدخول في حضرته[4] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 114 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 168) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 158 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 59 .

ابن عجيبة :

الوارد نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده ؛ لتكون بسببه واردًا عليه ، وسائرًا إليه ، ولو لم يورد عليك هذا الوارد لبقيت في وطن غفلتك[1] .



الرندي :

الآثار والأغيار غاصبة ومسترقة لك ، وذلك لوجود حبك لها وسكونك إليها ، واعتمادك عليها ، فإنما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ، وليحررك من ملكية من استرقّك ، فمن سلم من يد الأغيار ، وحُرِّر من رق الآثار ، كان سَالَمًا لله – عز وجلَّ[2] .

زرُّوق :

معني يتسلمك : يأخذك من المخلوقات ، بحيث لا يبقى لك إليها استناد ، ولا عليها اعتماد ، ولا منها استمداد ، ولا فيها شهود ولا إشهاد ، بل تكون لمولاك وحده بلا علَّة منك ولا تشوف لغيره ، وذلك عين التحرر من رق العبودية لها ؛ إذ تصير تابعة لا متبوعة ، ومحكومة لا حاكمة ، وبذلك تقع الراحة الأبدية[3] .

الشرقاوي :

الأغيار والآثار هي الأعراض الدنيوية وشهوات النفوس ، فهي غاصبة لك ؛ لحبِّك لها ، وسكونك إليها ، واعتمادك عليها ، فأورد عليك الوارد ليتسلَّمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقَّك ، فلا يكون للمخلوق فيك نصيب ولا شركة ، وتكون سالمًا لله – عز وجل[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 128 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 168 ، 169) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 159 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 59 ، 60 .

ابن عجيبة :

إنما أورد عليك وارد الإقبال ؛ ليؤنسك بذكر الكبير المتعال ، فإذا اشتغلت بذكره أنقذك مِنْ يد مَنْ شدوا أوثاقك بحبل هواك وسجنوك في سجن حظوظك ومناك ، ويعتقك من رقّ الآثار بعد أن ملكتك ، فإذا تسلمت من يد الأغيار أفضت إلى شهود الأنوار ، وإذا تحررت من رقّ الآثار ترقّيت إلى شهود الأسرار[1] .

الشرنوبي :

الأغيار والآثار التي هي أعراض الدنيا وشهوات النفس ، غاصبة لك ؛ لحبك لها ، وسكونك إليها ، فأورد عليك الوارد ليستلمك قهرًا من يد من غصبك ، فتكون صالحًا لعبوديته ، ومشاهدًا لعظمة ربوبيته[2] .



الرندي :

سجن وجوده : هو شهوده لنفسه مراعاته لحظِّه ، **وفضاء شهوده** : أن يغيب عن ذلك بشهوده عظمة الله تعالى وجلاله ، ورؤية قيام حركاته وسكناته به[3] .

زرُّوق :

وذلك أنك مسجون بمحيطاتك ، ومحصور في هيكل ذاتك ، ما لم تفتح لك ميادين الغيوب ، ومتى طلع عليك نور الوارد ، لاح لك من حقائق الوجود ما تعرف به الدنيا والآخرة وغيرهما[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : (1 / 128) .
(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 115 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 169) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 160 .

الشرقاوي :

أورد عليك الوارد ليخرجك من صفاتك القائمة به المانعة لك من شهود مولاك ، كالسجن المانع للمسجون من الخروج ، إلى فضاء شهودك للمولى الشبيه بالفضاء ؛ لعدم وجود شيء يحول عن الرؤية[1] .

ابن عجيبة :

إنما أورد عليك وارد الوصال ، بعد أن أهبّ عليك نفحات الإقبال ؛ ليخرجك من سجن رؤية وجودك إلى فضاء شهودك لربك ، فرؤيتك وجودك مانعة لك من شهود ربك ؛ إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه[2] .

الشرنوبي :

إن وجودك الشبيه بالسجن هو شهودك لنفسك ومراعاتك لحظك ، وشهودك الشبيه بالفضاء في السعة هو أن تغيب عن ذلك بمشاهدتك عظمة ربك ؛ ولذا **قال بعضهم** : سجنك نفسُك ، إذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد[3] .



55 الأنوار مطايا القلوب والأسْرار

الرندي :

أنوار الإيمان واليقين مطايا حاملة لأسرار القلوب إلى حضرة علَّام الغيوب[4] .

زرُّوق :

الأنوار : هي الظلال الواقعة في الصدور من المعاني التي أتت بها الواردات ، وهي مطايا القلوب بإيضاح الفهم إلى حضرة علَّام الغيوب ، ومطايا الأسرار ببيان العلم إلى حضرة الملك الجبَّار ، فمن طلع النور في قلبه سار على مطيَّة فهمه ،

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 60 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 128 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 115 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 170) .

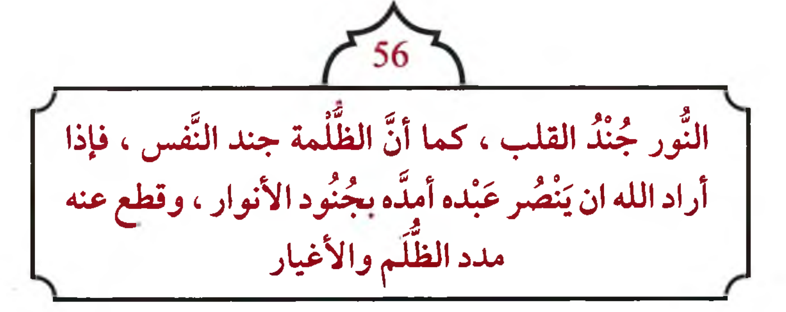
ومـن طلـع فـي أفـق سـره سـار بمطيـة علمـه ، وإذا كانـت الأنـوار مطايـا الحـق فـلا تحمل عليهـا شـيئًا مـن الباطـل[1] .

الشرقاوي :

الأنـوار الإلهيـة التـي تَـرِدُ علـى قلـب المريد مـن حضـرة الـرَّبِّ ، وتحصـلُ غالبًا من الأذكار والرياضـات (مطايـا القلـوب) ، توصلهـا إلـى مطلوبهـا ، وهـو دخولهـا حضـرة الـرب والقرب منـه[2] .

ابن عجيبة :

إذا أراد اللـه تعالـى أن يوصـل عبـده إلى حضرة قدسـه ، ويحملـه إلى محل أنسـه ، أمدّه بـواردات الأنـوار كالمطايـا ، فيحمـل عليهـا فـي محفة العنايـة مروّحًـا عليه بنسـيم الهداية ، محفوفًـا بنصـرة الرعايـة ، فترحل الـروح من عوالم البشـرية إلى عوالـم الروحانية حتى تصير سـرًّا من أسـرار الله لا يعلمهـا إلا الله[3] .



الرندي :

نـور التوحيد واليقين ، وظلمة الشـرك والشـك جنـدان للقلب والنفـس ، والحرب بينهما سـجال ، فـإذا أراد اللـه نصـر عبده أمدَّ قلبـه بجنوده ، وقطع عن نفسـه مـدد جنودهـا ، وإذا أراد خـذلان عبـده فعلـى العكـس ، فإذا مـال القلب إلى العمـل بأمر محمـود مؤلم في الحـال ملتذٌّ بـه فـي المـآل ، ومالـت النفس إلى العمل بأمـرٍ مذموم ملتذٌّ به فـي الحال مؤلم فـي المآل ، فإن سـبقت للعبـد من الله سـابقة السـعادة ، اهتدى القلب بنور اللـه تعالى ورغب فـي الآجلة ، وإن سـبقت مـن الله الشـقاوة ، ذهـل القلب عـن النور ، وأعمتـه الظلمة عـن منفعة الآجـل ، واغترّ بلـذة العاجل ، وعمـل بما مالت إليـه النفس[4] .

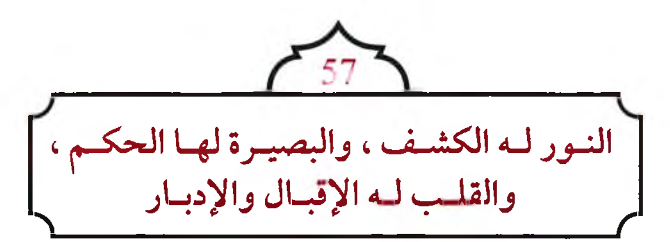
(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 161 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 61 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 29 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 170) .

زرّوق :

النـور جنـد القلـب ؛ لأن النـور يحصل به الكشـف والعلـم والتحقيـق ، والظلمـة جندُ النفـس ويحصـل بهـا الجهـل والتلـف والتخبيـط ، فـإذا كانـت هـذه غَلَـب الهـوى وذهب الحـقُّ ، وإذا كانـت الأولـى ذهـب الهوى وثبـت الحـق ، وإذا أراد الله نَصْر عبده على نفسـه وهـواه بالجنـود التـي هـي الأنـوار ، فيحصـل لـه العلـم ، الذي بـه يُقْبِل القلب علـى الحق ويدبـر عمَّا سـواه[1] .

الشرقاوي :

النـور جنـدُ القلـب يتوصـل به إلى مـا يقصده وهـو حضرة الـرب ، كمـا أن الظلمة وهي طبيعـة العبـد جندُ النفس تتوصل بها إلـى مقصودها وهي الشـهوات ، فإذا أراد اللـه أن يُعين عبـده على نفسـه أمد قلبـه بالأنوار الشـبيهة بالجنـود ، التي يُـدْرك بها قُبح الشـهوات ، وقطع عنـه مَـدَدَ الظلـم والأغيـار ، وإذا أراد خذلانـه فعلـى العكس من ذلـك ، فإذا مـال القلب إلى عمـل صالـح والنفـس إلـى شـهوة تنازعـا ، وسـارع النـور إلى نصـرة القلـب ، والظلمـة إلى نصـرة النفس ، ولا سـبيل للعبـد إلا فزعه إلـى الله[2] .



57

النـور لـه الكشـف ، والبصيـرة لهـا الحكـم ، والقلـب لـه الإقبـال والإدبـار

الرندي :

النـور يفيد كشـف المعانـي المغيَّبـات حتى تتَّضـح وتُشـاهد ، والبصيرة التـي هي ناظر القلـب تفيـد الحكـم ، وهـو صحـة مـا شـاهدته ، والقلـب لـه الإقبـال عمـلًا بمقتضـى مـا شـاهدته البصيـرة ، ولـه أيضًـا الإدبـار تـركًا للعمـل بمقتضـى ما شـاهدته البصيـرة[3] .

زرّوق :

إذا كان النـور تامًّـا كشـف الشـيء علـى مـا هـو عليـه ، وإذا كانـت البصيـرة مسـتقيمة حكمـت بـه علـى وجهه ، فأقبـل القلب في محـل الإقبال وأدبر فـي محل الإدبـار ، وإذا كان

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 162 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 61 ، 62 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 171) .

النـور مفقـودًا أو ناقصًـا أقبل القلـب في محل الإدبـار ، وأدبر فـي محل الإقبال ، فكان شـبه حـال الأعمـى تـارة يخطـئ وتـارة يصيـب ، وإن أصاب فعلـى غير أصـل ولا حقيقـة ، فنور القلـب هـو الأصل ومـا بعده تبـع[1] .

الشرقاوي :

النور الذي يفيضه الله على قلب المريد له كشف المعاني والمُغَيَّبات كحُسن الطاعة وقُبح المعصية ، والبصيرة التي هي ناظر القلب لها إدراك ذلك ومشاهدته ، والقلب له الإقبال والإدبار على ما كُشِفَ للبصيرة ، فإذا كُشِفَ لها حسن الطاعة وقبح المعصية ، أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح ، وأدبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح[2] .

ابن عجيبة :

النـور مـن حيـث هو مـن شـأنه أن يكشـف الأمـور ويوضحها حتـى يظهر حسـنها من قبيحهـا ، ومـن شـأن البصيـرة المفتوحـة أن تحكـم علـى الحسـن بحسـنه ، وعلـى القبيـح بقبحـه ، والقلـب يقبـل علـى مـا يثبت حسـنه ويدبـر عن مـا يثبت قبحـــه[3] .



الرندي :

الفـرح بالطاعـة علـى وجهيـن : فـرحٌ بهـا من حيـث شـهودُها من اللـه تعالـى نعمة منه وفضـلًا ، فهـذا هـو الفـرح المحمـود ، وفـرحٌ بهـا مـن حيـث ظهورهـا مـن العبـد باختياره وإرادتـه وحولـه وقوّتـه ، فهـذا هو فـرح مذموم منهي عنـه ، وهو كفـران النعمـة ، فالفرح بها علـى هـذا الوجه فـرح بلا شـيء[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 164 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 62 ، 63 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 131 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 172) .

زرُّوق :

الفرح بالطاعة فرح بها من حيث ما يُرجى من ثوابها أو يخشى من عقاب فَوْتِها ، وفرحٌ بها من حيث وجودُها ، وفرح بها من حيث أن الحق ذكرهُ بالتوفيق لها ومَنَّ عليه بوجود تحصيلها ، مع تحصيل العبودية وامتثال الأمر بها ، وهذا الوجه أحسن من الأول والأول خير من الذي بعده[1] .

ابن عجيبة :

الفرح بالطاعة على ثلاثة أقسام : قسم فرحوا بها لما يرجون عليها من النعيم ويدفعون لها من عذابه الأليم ، وقسم فرحوا بها من حيث إنها عنوان الرضا والقبول وسبب في القرب والوصول ، فهي هدايا من الملك الكريم لا يرون لأنفسهم تركًا ولا فعلًا ، ويرون أنهم محمولون بالقدرة ، فأهل القسم الأول عبادتهم لله ، وأهل القسم الثاني عبادتهم بالله وبقدرة الله ، وبينهما فرق كبير[2] .

الشرنوبي :

لا يكون فرحك بالطاعة لأجل كونها برزت منك ، فإنك إذا فرحت بها من هذه الحيثية ، أورثتك العُجب المحيط بها ؛ لأنك شاهدت أنها بحولك وقوتك ، وإنما يكون فرحك بها لأجل كونها برزت من الله إليك ، وتفضّل بها عليك[3] .



59

قَطَعَ السائرينَ لَهُ والوَاصِلينَ إليه عَنْ رُؤْيَةِ أعْمَالِهم وشُهُود أَحْوَالِهِم ، أما السَّائِرُون ؛ فلأنَّهم لم يتحقَّقُوا الصِّدْق مع الله فيها ، وأما الواصِلون ؛ فَلأنَّه غَيَّبَهُم بِشُهُودِهِ عَنْها

الرندي :

فقد أسبغ الله نعمته على الفريقين ؛ حيث فعل معهم ذلك ؛ لأنه أبقاهم معه ، ولم يَدَعْهم لسواه ؛ فالواصلون فعل ذلك بهم طوعًا منهم ، والسالكون فعل ذلك بهم كرهًا ، فالواصلون قَطَعَهم عن ذلك بشهودهم له في حضرة قُربِه ، ومن شاهده لم يشهد معه غيره ؛ إذ محال أن يراه

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 165 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 133 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 117 .

ويشهد معه سواه ، والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق أو البراءة من الدعوى ، فهم أبدًا متّهمون لِأنفسهم في توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم[1] .

زرُّوق :

إنما قطعهم عن ذلك ؛ ليكونوا له بلا علَّة ، كما كان لهم ولا علَّة ، وليسلموا من آفة الإعجاب ورؤية النفس في جميع الأحوال ؛ ليتم لهم الإنعام بالشكر والافتقار ، أمَّا السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله في أعمالهم ، فهم محتقرون ؛ لوجودها من حيث ما اشتملت عليه من النقائص والدعاوى ، وبذلك يزيد افتقارهم لمولاهم واضطرارهم له ، أمَّا الواصلون فهم لا يرون أنفسهم عمَّالًا لأعمالهم ، ولا مستحقين للثواب بها ، وإنما هي رسم عبودية جرى بتوجّه المنة ، بل بإجراء الحق سبحانه بلا علَّة[2] .

الشرقاوي :

حجب السائرين له ، والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم الظاهرية ، وشهود أحوالهم القلبية ، لكن السبب في انقطاع الطائفتين عن ذلك مختلف ، أما السائرون ، فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها ، وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور قلوبهم مع الله حال فِعْلِها ، فهم دائمًا مُتَّهِمون نفوسهم في توفية أعمالهم حقَّها ، وفي صفاء أحوال قلوبهم ، فكان ذلك سببًا في البراءة من رؤيتها وشهودها ، أما الواصلون فنسبوا أعمالهم إلى الله وتبرءوا من حولهم وقولهم وقوتهم ، وقد أسبغ الله النعمة على الفريقين ، حيث عافاهم من التعلق بأعمالهم وأحوالهم ، إلا أنه فعل ذلك بالسالكين كرهًا ، وبالواصلين طوعًا[3] .

ابن عجيبة :

الحق تعالى غيّب السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم الظاهرة وشهود أحوالهم الباطنة ؛ أما السائرون فلأنهم يتهمون أنفسهم على الدوام ، فمهما صدر منهم من إحسان ولاح لهم يقظة أو وجدان رأوها في غاية الخلل والنقصان ، فاستحيوا من الله أن يعتمدوا عليها ، واعتمدوا على فضل ربهم ، فالصدق هو لبُّ الإخلاص وسِرُّه ، أي لم يتحققوا بسر الإخلاص فيها فلم يروها ولم يركنوا إليها أما الواصلون فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله ومِنَ الله وإلى الله ، فإن ظهرت عليهم طاعة أو صدر منهم إحسان شهدوا في ذلك الواحد المنان[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 172) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 167 ، 168 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 64 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 134 .

الشرنوبي :

الله تعالى حجب السائرين له عن رؤية أعمالهم ، ومنع الواصلين إليه عن شهود أحوالهم ، فهو لفٌّ ونشْر مرتب ، وخصَّ الواصلين بالأحوال ، وإن كانت لهم أعمال ؛ لأن تلك الأحوال أفضل من الأعمال الظاهرة ، فعبر في جانبهم بالأفضل ، كما أنه عبر في جانب السائرين بالأعمال ، وإن كانت لهم أحوال أيضًا ؛ لمناسبة ذلك لهم ، فالسائر إلى الله لا يرى شيئًا من أعماله اتهامًا لنفسه بعدم كماله ، فلا يشهد مع الله سواه ، فقد أسبغ الله نعمته على الفريقين ، وأعطى الفريق الثاني أفضل المنزلتين[1] .



الرندي :

الطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة في عبوديتها ، بل هو أصل جميع الآفات ؛ لأنه محض تَعَلُّق بالناس ، والتجاء إليهم ، واعتمادٍ عليهم ، وعبوديةٍ لهم ، وفي ذلك من المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه ، ولا يحلُّ للمؤمن أن يذلَّ نفسه[2] .

زرُّوق :

من ثبت طمعه طال ذله ، فاستعار البذر للطمع ؛ لأنه أصل الذل ، والذل غصنه ؛ لأنه فرعه ، وطول ذلك باتصاله واتساعه ، **فالمعنى** : مَنْ طَمِعَ ذَلَّ على قدر طمعه[3] .

الشرقاوي :

لا تغرس بذر الطمع في قلبك فيخرج منه شجرة الذل ، وتتشعب أغصانها وفروعها[4] .

ابن عجيبة :

الطمع هو أصل الذلِّ ؛ لأن صاحب الطمع ترك ربًّا عزيزًا ، وتعلق بعبد حقير فَاحْتُقِرَ مثله ، والعبد إذا طمع في شيء كان عبدًا له ، وإذا رفع همته عن شيء تحرر منه[5] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 118 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 174) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 171 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 65 .
(5) إيقاظ الهمم : ص 136 .



61

مَا قادَك شيءٌ مِثْلَ الوَهْم

الرندي :

الوهـم : أمـرٌ عدمـي ، وهـو ضـد الحقيقـة الوجوديـة ، والنفـس الناقصـة انقيادهـا إلى الأمـور الوهميـة الباطلة أشـد من انقيادهـا إلى الحقائـق الثابتة ؛ لوجـود المناسـبة بينهما[1] .

زرُّوق :

الوهـم هنـا التخيـل والحسـبان « الظـن » ، ولا شـك أن غالب النفـوس في قيـاده ، فإذا تخيلـوا شـيئًا أو ظنـوه عملـوا عليـه فحصـل لهـم منـه الطمـع وغيـره ، فيوقعهـم فـي الذل والحرمـان والتعـب ظاهرًا وباطنًـا[2] .

الشرقاوي :

الوهـم هو السـبب فـي الطمع في النـاس ، وذلك كافٍ فـي قُبحه ؛ لأن الوهـم الذي هو أصلـه أمـر عَدَمِـيٌّ ، إذ هـو عبارة عـن التخيل والحسـبان التقديـري ، لكن النفـوس منقادة له أتم مـن انقيادها إلـى العقل[3] .

ابن عجيبة :

مـا حرك شـيء وقـادك إلـى الطمع فـي الخلـق والتملـق لهـم والتذلّـل لما فـي أيديهم شـيء مثـل الوهـم ، أي توهـم النفـع والضـر لمـا فـي أيديهـم يوقـع الطمـع فيهـم ومـن ثم التذلـل لهـم ، ولـو حصـل لـك اليقيـن أن أمرهـم بيـد اللـه لقطعت اليـأس منهـم[4] .

الشرنوبي :

انقيـاد النفـس إلـى الأمـور الوهميـة الباطلـة أشـد مـن انقيادهـا إلـى الحقائـق الثابتـة ، فتوهُّـم النفـع مـن المخلوقيـن هـو السـبب فـي الطمع فـي النـاس ، وهو فـي الحقيقـة مبني علـى غيـر أسـاس ؛ لأن الطمـع تصديـق الظـن الـكاذب ، والطمـع فيهم في غيـر مَطْمَـع[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 182) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 172 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 66 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 138 .

(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 120 .



الرندي :

الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط الاحتياج إلى نيله ، وذلك عبودية له ، كما أن اليأس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه ، وذلك حرية منه ، فالطامع عبدٌ ، واليائس حرٌّ[1] .

زرّوق :

أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع ؛ لأن ما أنت له طامع آخذ بقلبك فأنت له بِكُلِّك ، وما أنت عنه آيس أنت عنه معرض بقلبك ، فليس له شيء من وجودك[2] .

الشرقاوي :

أنت حر من كل ما أنت آيس منه ، وعبدٌ لكل ما أنت طامعٌ فيه ، فالطمع في الشيء عبودية ، كما أن اليأس من الشيء حرية منه ؛ لأنه يدل على فراغ القلب منه وغناه عنه[3] .

ابن عجيبة :

إنما كان الإنسان حرًّا مما أيس منه ؛ لأنه لما أيس من ذلك الشيء رفع همته عنه ، وعلَّقها بالملك الحق ، فلما علَّق همَّته بالملك الحق سَخَّرَ الحق تعالى له سائر الخلق ، فكانت الأشياء كلها عبيدًا له وسخرة لأمره[4] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 183) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 173 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 67 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 140 .



الرندي :

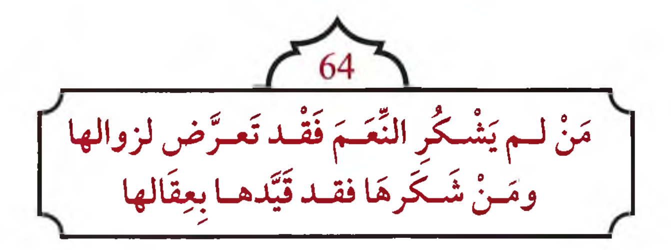
النفوس الكريمة تُقبل على الله بملاطفات إحسانه ، وموالاة فضله وامتنانه ، والنفوس اللئيمة لا تنقاد إلا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب في الأموال والأبدان[1] .

زرّوق :

من لم يفرد وجهه لمولاه اعتبارًا لإحسانه السابق واللاحق ، الذي لا طفه به حتى لا يطمع في غيره ولا يرجو سواه ، سَلَّط عليه البلايا والمحن حتى يقوده إليه بها كرهًا ؛ إذ لم يرجع إليه طوعًا[2] .

ابن عجيبة :

السابقون قد أقبلوا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته ، وهم في ذلك على قسمين : قسمٌ أقبل على الله بملاطفة إحسانه وقيامًا بشكر إنعامه وامتنانه وهم أهل مقام الشكر ، وقسم أقبل على الله بسلاسل الامتحان وضروب البلايا والمحن وهم أهل مقام الصبر[3] .



الرندي :

شكر النِّعم مُوْجِبٌ لِبقائها والزيادة منها ، وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 186) .

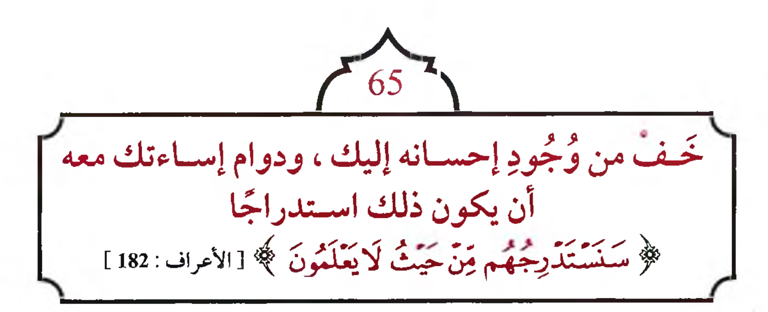
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 175 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 143 .

(4) غيث المواهب العلية : (1 / 186) .

زرّوق :

شكر النعمة ضامن لثلاثة أشياء : حفظها عن الزوال وتغيير الحال بالانتقال ، وزيادتها في الحال وبركتها في المآل ، واتصال العبد بمولاه على وجه العافية بلا إخلال ، وعدم الشكر ضامن للسلب وتشويش القلب ومقت الرب[1] .



65

خَفْ من وُجُودِ إحسانه إليك ، ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجًا

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : 182]

الرندي :

الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المؤمنين ، وعدم الخوف منه مع الدوام على الإساءة من صفات الكافرين ، فمِن أمارات الاستدراج : ركوب السيئة ، والاغترار بزمن المهلة ، وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة[2] .

زرّوق :

خوف الاستدراج في النعمة يبعث على التشمير لشكرها والرجوع إلى الله فيها وبها ، واستشعار ذلك بذكر أفعالك السيئة مع جري إحسانه ؛ إذ الاستدراج كُمونُ المحنة في عين المنة بغير خوف الفتنة ، **والمستدرج** : هو الذي تؤخذ منه النعمة شيئًا بعد شيء وهو لا يشعر ، **ومعنى الآية** : نأخذهم بالنعم وهم لا يشعرون[3] .

الشرقاوي :

خف من وجود إحسانه إليك مع دوام مخالفتك له أن يكون ذلك تدريجًا شيئًا فشيئًا حتى يأخذك بغتة ، والمقصود بالآية **قيل** : نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها ، فإذا ركنوا إلى النعم وحُجبوا عن الشكر أُخذوا[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 176 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 189) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 178 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 68 .

ابن عجيبة :

خف من دوام إحسان الحق إليك ، بالصحة والفراغ وسعة الأرزاق ودوام الإمداد الحسيَّة أو المعنوية ، مع دوام إساءتك معه بالغفلة والتقصير وعدم شكرك للملك الكبير ، أن يكون ذلك استدراجًا منه تعالى[1] .

66

مِنْ جَهْلِ المريد أن يُسيءَ الأدب ، فَتُؤَخَّرَ العُقُوبَةُ عنه ، فيقول : لو كان هذا سُوء أدب لقطع الإمداد ، وأوجب الإبعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يَشْعُرُ ، ولو لم يكن إلا منع المزيد ، وقد يُقَام مقام البُعْدِ وهو لا يدري ، ولو لم يكن إلا مَنْعَ المزيد ، وقد يُقَام مقام البُعْدِ وهو لا يَدْري ، ولو لم يكن إلا أن يُخَلِّيَاكَ وما تُريدُ

الرندي :

سوء أدب المريد موجبٌ لعقوبته ، ولكن العقوبات منها معجّلة ، ومنها مؤجلة ، ومنها جليَّة ومنها خفية ، **فالجلية** : العقوبة بالعذاب ، **والخفية** : العقوبة بوجود الحجاب ، فالعقوبة بالعذاب لأهل الخطايا والذنوب ، والعقوبة بالحجاب لأهل إساءة الأدب بين يدي علّام الغيوب ، وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية المعجلة ، ومثال العقوبة الخفية قطع المدد عنه ، وإقامته في مقام البُعد عنه ، وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب ، فإذا ابتلي به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى ، كان ذلك موجبًا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه[2] .

زرُّوق :

هذا لا يتصور مع جريان ما له من الله من علوم وأحوال ، بحيث تخفى عليه المحنة بجريان المنة ، وفي الآداب الخفية لا الجلية ؛ لأن مثل هذا التأويل لا يجري فيمن بان غيه وظهر نقصه : هذا غاية الاستدراج ، فوجب على المريد التحفظ في مواقف الأدب بالاحتياط أبدًا وترك التأويل رأسًا ، وذلك بأن يجعل الأولى نصب عينه فلا يقتصر على الواجب إلا إذا لم يجد مساغًا للأولى ، ويقدم الحقيقة على الأسباب في موضع الإباحة لا في موقف الطلب الشرعي ، فيتحفظ على ظاهره بالشريعة وباطنه

(1) إيقاظ الهمم : (1 / 147) .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 190) .

بالحقيقة ، ويفر من مواقف النقص بينه وبين مولاه ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ، بصرفه عن التحقق بما علم إلى الاتساع في علمه ومعارفه ، وإبقائه في حاله مع عدم الشعور بنقصه ، وبتيسير مراداته من غير تأييد عليها بما يقع به الزيادة في حاله فيشتغل بمراده عن مولاه ، وبذلك يتحقق الاستدراج حتى يرى الشر في موضع الخير ، وبالعكس[1] .

الشرقاوي :

من جهل المريد أن يُسيء الأدب ، إما مع الله تعالى كالاعتراض عليه ، وتعاطي التدبير معه ، والتضرر بأحكامه المؤلمة له في نفسه أو غيره وتصريح لسانه بالشكوى إلى الخلق ، أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه ، فتؤخَّرُ العقوبة عنه ، بألا يُعاقَبَ في ظاهره بالبلايا والأسقام ، ولا في باطنه بحسب زعمه ، **فيقول** : لو كان هذا سوء أدب لقُطع الإمداد الوارد عليَّ من حضرة الحق ، وأوجب بعدي عنه بعدم حضوري معه ، وهذا لازم لما قبله ، إنما كان ذلك من الجهل ؛ لأنه يُقطَعُ المدد عنه من حيث لا يشعُر ، ولو لم يكن من قطع المدد عنه إلا منع الزيادة من المدد ، لكان ذلك كافيًا في قطع الإمداد وقطعه مبدأ الحجاب ، وقد يُقام مُقام البعد وهو لا يدري ، ولو لم يكن من إقامته مقام البُعد إلا أن يخليك وما تريد ، بأن يُسَلِّط نفسك عليك ويمنع نُصرتك عليها ، لكان كافيًا في البُعد[2] .

ابن عجيبة :

من الأمور المؤكدة على المريد الصادق أن يرعى الأدب مع الله في كل شيء ، فإن أساء الأدب فليبادر بالتوبة والاعتذار ، فإن تأخر انقطعت عنه الأمداد واستوجب الطرد والبعاد ، وقد لا يشعر بذلك في الحين فيحتج لنفسه **ويقول** : لو كان هذا سوء أدب لانقطع عني المدد ، وهذا منه جهل قبيح لانتصاره لنفسه وقت سوء أدبه ، فقد يقطع عنه المدد وهو لا يشعر ، ولو لم يكن من العقوبة إلّا منع المريد من السير والترقي لكان كافيًا ؛ لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، فقد يقام مقام البعد وهو يظن أنه في محل القرب ؛ لأن مراتب القرب والبعد لا نهاية لها ، ولو لم يكن ذلك البعد إلَّا أن يتركك مع ما تريد ، لكان كافيًا في الطرد والبعد[3] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 181 : 183 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 69 ، 70 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 149 .

67

إذا رأيت عبدًا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد ، وأدامه عليها مع طول الإمداد ، فلا تَسْتَحْقِرَنَّ ما منحه مولاك ؛ لأنك لم تر عليه سِيمَاء العارفين ، ولا بهجة المُحبِّينَ ، فَلَولا وَارِدٌ ما كان وِرْدٌ

الرندي :

إذا رأيت عبدًا لله أقامه الله تعالى في أعمال البر الظاهرة ، ومواصلة الأوراد المتواترة ، وأمدّه في ذلك بالمعونة والتيسير ، فذلك من اختيار الله تعالى له ، فلا تحتقرنَّ ذلك لأجل أنك لم تر عليه سِيماء العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والإرادات بين يدي المريد المختار ، ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم ، فلولا الوارد الإلهي الذي أورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله ووِرده[1] .

زرُّوق :

معنى **أقامه** : استعمله مع الدوام وحصول الفوائد ، والأوراد ما ترتب من العبادات في الأوقات ، **والإمداد هنا** : حصول المنافع والفوائد ، **ومنحه** : أعطاه عن تفضل وإكرام . ولا شك أن من اتصلت أوراده وتواترت مخصوص من مولاه بعناية ، فيجب تعظيمه واحترامه ويتعين توقيره وإكرامه ، ولا يتحقر ما هو عليه لكونه قاصرًا عن درجة أهل الكمال من العارفين والمحبين ؛ إذ لم تر عليه سيماء الأولين من الاستسلام ، والرضا ، والسكون عن جريان القضاء ، فلولا وارد من الحق يقتضي تعظيم جنابه ما كان ورد يقتضي الوقوف ببابه[2] .

الشرقاوي :

إذا رأيت عبدًا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد بأن أخطرها منه ، وجعله مداومًا عليها ، مع المعونة والتيسير وصرف الشواغل التي تشغله عن القيام بها ، بطول ذلك توليه عليه مع طول الزمان ، وهذه صفة العباد والزهاد ، فلا تستحقرن ما منحه مولاه ، لكونك لم تر عليه علامات العارفين ، من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ ، ودوام الحضور بين يدي الله ، ولا بهجة المحبين ، فلولا وارد إلهي أورده الله على قلبه ما كان ورد ، وهو ما يكسب العبد من أنواع العبادات[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 211 ، 212) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 185 ، 186 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 71 ، 72 .

الشرنوبي :

اعلم أن عباد الله المخصوصين علي قسمَّين : منهم من أقامه الحق في أنواع العبادات وأظهرها منه ، وهؤلاء هم العُبَّاد والزهاد الذين عملوا لرفع الدرجات في عليِّ الجنَّات ، فعملوا لحظوظهم ، ومنهم من لم يطلبوا إلا وجه ربهم ، وهم العارفون والمحبون ، فإذا رأيت عبدًا من الفريق الأول أقامه الله في أنواع العبادات مع إمداده بالمعونة والتيسير ، فلا تستحقرن ما أعطاه مولاه ؛ لأنك لم تر عليه علامات ترك الحظوظ والإرادات ، ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم من غير نظر إلى عليِّ الجنات ، فلولا تجلٍّ إلهي أورده الله على قلبه ما كان ورد ، فلا تستقل ما منحه مولاه ، فإن كل فريق قام بحق المقام الذي أقامه الحق فيه وتولاه[1] .



الرندي :

الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة ، فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته ، وهم الزاهدون العابدون ، وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا لقربه والدخول إلى حضرته ، وهم العارفون والعلماء[2] .

زرُّوق :

الذين أقامهم الله لخدمته : العباد الذين يعملون بتحقيق العمل لقصد تحصيل الأمل ، والزهَّاد الذين يفرون من وجود الخلائق في الظاهر ؛ لينفرد همهم لمولاهم على الأوراد بالغدو والآصال ، والذين اختصهم بمحبته : المحبون الذين يُؤثرونه على كل شيء ، والعارفون من يشهدونه في كل شيء ، والواصلون من يغنون به عن كل شيء ، وهم أهل الاجتباء والاختصاص ، والآية تشير إلى أن الكل من عطائه تعالى[3] .

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 124 ، 125 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 212) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 187 .

الشرنوبي :

قوم اختارهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنَّته ، وهم العابدون ، وقوم اختصهم بمحبته حتى صلحوا لدخول حضرته ، وهم العارفون والمحبون ، والكل منتسبون إلى خدمته ، لكن خدمة الأوَّلين أكثرها بالجوارح ، والآخرين أكثرها بالقلوب ، فإذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الإقامة ، رجع عن الاحتقار ، فإن ذلك من الجهل بحكمة العزيز الغفار[1] .



69

قَلَّما تكون الواردات الإلهيَّةُ إلا بغتةً لئلا يدعيها العُبَّادُ بوجود الاستعداد

الرندي :

الواردات الإلهية هدايا من الله تعالى يكرم بها عباده ؛ لئلا تكون في الغالب إلا فجأة ؛ لئلا يدّعوها ، ويروا أنفسهم أهلًا لها بوجود استعدادهم وتهيئتهم[2] .

زرُّوق :

قليلًا ما تكون التنزيلات العرفانية على القلوب الموجب لتأثيرها بورودها إلا فجأة ، دون روية ولا استعداد ولا توقيت ؛ صيانة لها عن أن يدعيها العباد بوجود الاستعداد[3] .

ابن عجيبة :

قلَّ ما تكون الخواطر المحمودة مما لا يكون للعبد فيه تحمل ، والوارد الإلهي لا يأتي باستعداد ولا يذهب بسبب ، ولا يأتي على نمط واحد ، ولا في وقت واحد ، وهو نفحات إلهية يهبُّ نسيمها على القلوب والأرواح فتغيب القلوب في حضرة علَّام الغيوب ، ولا تكون الواردات إلا بغتة ؛ لأنها لا تنال باكتساب ، وإنما هي فتح من الكريم الوهَّاب ، ولو كانت تنال بجد واجتهاد ، لا دعاها العباد والزهاد بوجوب التأهب والاستعداد[4] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 125 .

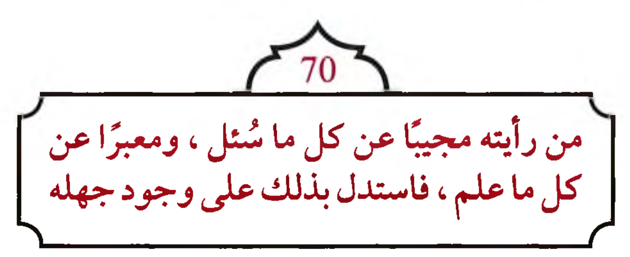
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 213) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 193 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 159 .

الشرنوبي :

الأسـرار العرفانيـة يقـل حصولها غيـر فجأة من غير اسـتعداد لهـا بعبادة ؛ لئـلا يدعيها العُبّـاد بوجـود الاسـتعداد لهـا ، فـإن تُحَـف اللـه تعالـى وهداياه مقدّسـة عـن أن تُعلـل بالأعمـال ؛ لأنهـا مـن مواهـب الغنـي المفضـال ، فحصولهـا بغيـر اسـتعداد كثيـرٌ ، وأمـا حصولهـا بالاسـتعداد فنـزرٌ يسـير[1] .



الرندي :

الإجابـة عـن كل سـؤال ، والتعبيـر بـكل مشـهود ، والذكـر لـكل معلـوم أمـارات على وجـود جهـل مـن اتصف بهـا ؛ لأن ذلـك يقتضي منـه الإحاطة بجميـع المعلومـات ، وذلك محـال فـي حقـه ، فكيـف يتصور منـه الإجابـة عن كل سـؤال لـولا وجود جهلـه[2] .

زرُّوق :

جهله من وجوه ثلاثة : **أحدها** : عدم اعتبار المراتب في أنفسها ، فليس كل سائل يستحق الجواب ، ولا كل علم يذكر لكل أحد ، ولا كل مشهود يعبر عنه لكل شاهد . **الثاني** : تعذر الإحاطة في الجواب بالعلم ، وإضاعة العلم ببذله في غير محله ، وقصور العبارة عن مدارك الشهود . **الثالث** : أن المحال والأوقات مختلفة ، فرب مسألة يليق ذكرها في وقت دون وقت[3].

الشرقاوي :

مـن رأيتـه من المريديـن والعارفيـن مجيبًا عن كل ما سُـئل عنـه من العلـوم التي يفيضها اللـه علـى قلـوب السـالكين والمواهـب اللدُنيَّـة التـي يخـص بهـا العارفيـن ، ومعبـرًا عـن كل مـا شـهده وذاقـه بباطنـه وهـي تلـك العلـوم والمواهـب ، وذاكـرًا لـكل ما علـم من تلك العلـوم ، فاسـتدِلَّ بذلـك على وجود جهلـه ؛ لأن إجابته عن كل سـؤال تقتضـي إحاطته بكل المعلومـات ، وذلـك مُحـال في حقـه[4].

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 125 ، 126 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 213 ، 214) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 193 : 195 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 74 .

إنما جعل الدار الآخرة محلًّا لجزاء عباده المؤمنين ؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ، ولأنه أجلّ أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها

الرندي :

إنما جعل ثواب المؤمنين في الدار الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين : **أحدهما** : أن الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعيم حسًّا ومعنى . **الثاني** : أن الله تعالى أجَلَّ أقدار عباده المؤمنين ، فلم يجعل لهم الجزاء على طاعتهم في دار فانية ، منقضية ، منصرمة ؛ لأن كلَّ ما يفنى وإن طالت مدته كلَا شيء ، بل أعطاهم الخلود في النعيم ، والبقاء الدائم في الملك المقيم[1] .

زرُّوق :

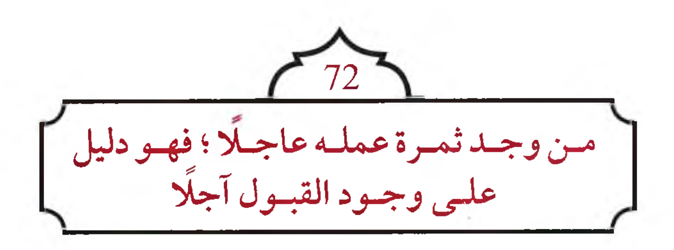
ذكر هنا حكمتين في تأخير جزاء المؤمنين للدار الآخرة : إحداهما اتساع عطائه وذلك في الصفة والمقدار ، ودليله قوله عليه السلام : « **يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ...** ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : 17] »[2] ، وكونه كاملًا ببقائه لا يزول ولا يحول ؛ لأن الآتي قطعًا كالموجود في الحال ، وما كان مآله إلى الزوال فكأنه قد زال[3] .

ابن عجيبة :

لا شك أن الله تعالى وسم هذه الدار بدار الغرور ، وحكم عليها بالهلاك والثبور ، فهي دار دنية دانية زائلة فانية فلذلك سمّيت الدنيا ، فهي ضيقة الزمان والمكان ، ووسم الآخرة بدار القرار ومحل ظهور الأنوار وانكشاف الأسرار ، ودوام النعمة والسرور ، فلذلك جعلها الحق تعالى محلًّا لجزاء عباده المؤمنين ، ومقعد صدق للنبيين والصدِّيقين ، ولم يرض سبحانه أن يجازيهم في دار لا بقاء لها ، ضيقة الزمان والمكان ومحل الأكدار والأغيار[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 215 ، 216) .
(2) رواه البخاري : ح (3072) ، ومسلم : ح (7310) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 196 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 163 .



72

مـن وجـد ثمـرة عملـه عاجـلًا ؛ فهـو دليل علـى وجـود القبـول آجلًا

الرندي :

ثمـرة العمـل : وجـدان الحـلاوة فيـه والنعيـم بـه ، ويتصـور ذلـك فـي أكثـر الأعمـال بالمواظبـة عليـه حـال تَكَرُّهٍ واسـتثقال له ، هذا هو غالـب الأمر ، والحـلاوة والنعيم إنما هما ثمـرة الأعمـال الصحيحة المسـتقيمة السـالمة مـن الرياء والدعـوى ، والأعمـال الموصوفة بهـذه الصفـات مقبولة بفضـل الله تعالـى[1] .

زرُّوق :

ثمـرة العمـل : مـا ينشـأ عنـه مـن الفوائـد الدينيـة والدنيويـة ، **وذلك يـدور علـى ثلاثة** : حصـول البشـارة بزوال الخوف والحزن ، وظهور سـر الخلافة بتسـخير الكائنـات وانفعالها ظاهـرًا وباطنًـا ، والحيـاة الطيبة بالرضـا والقناعة ، فهـذه الثمرة دليل القبـول ؛ لأن الكريم إذا أعطـى ظاهـرًا كمل باطنًـا ، وإذا وعـد أمرًا أقـوى اليقين فيه بمبشـراته[2] .

ابن عجيبة :

ثمـرة العمـل هي لذيـذ الطاعة وحـلاوة المناجـاة وأنس القلـب بالمراقبة وفـرح الروح بالمشـاهدة ، ودليـل وجـود هذه الثمرة النشـاط في النهـوض إليها والاغتباط بهـا والمداومة عليهـا وزيـادة المـدد فيهـا ، وهـي علامـة حلـول الهداية فـي القلـب ، فمـن كان فـي زيادة الأعمـال والترقـي فـي الأحـوال ، فهذا بشـارة له علـى قبولها[3] .

الشرنوبي :

مـن وجـد ثمرة عملـه الصالح عاجلًا ، من اسـتئناس مكاشـفات وحلاوة مناجـاة ، فهو دليل على وجـــود القبـول آجلًا[4] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 216 ، 217) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 198 ، 199 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 164 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 127 ، 128 .

73

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْـرِفَ قَـدْرَكَ عِنْـدَهُ فَانْظُرْ في مـاذا يُقيمُك

الرندي :

هـذا ميـزان صحيـح ، وقـد قال صلى اللـه عليه وسـلم : « **مـن أراد أن يعلـم منزلته عند اللـه فلينظـر كيـف منزلـة الله تعالى مـن قلبه ، فـإن الله – عز وجـل – ينزل العبـد عنده حيث أنزلـه العبـد مـن نفسـه** »[1] ، وهذا الإنـزال المذكـور المنسـوب إلى العبـد هو معنـى الإقامة المذكـورة ؛ إذ العبـد لا فعـل له علـى التحقيق[2] .

زرُّوق :

لأن المنازل على قدر مراتب النازل ، فإن وجَّهك للدنيا فقد أهانك ، وإن أشغلك بالخلق عنه فقد صرفك ، وإن وجَّهك للعمل فقد أعانك ، وإن فتح لك باب العلم فقد أرادك ، وإن فتح لك بابًا إلى مناجاته فقد قربك ، وإن واجهك بالبلاء فقد هداك ، وإن صرفك عن الأغراض فقد أدبك ، وإن رضيت به ورضيت عنه فقد فتح لك باب الرضا[3] .

الشرقاوي :

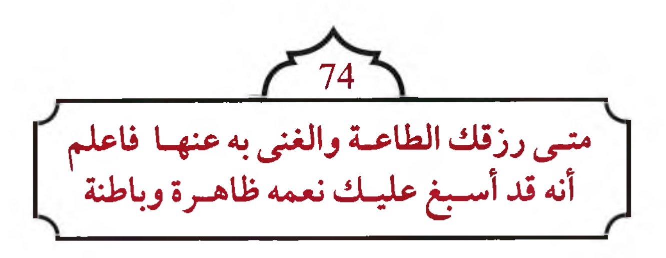
إن أردت أن تعـرف هـل أنت من المقبولين السـعداء أو من المردودين الأشـقياء ؟ فانظر فـي مـاذا يُقيمـك مـن طاعة أو ضدهـا ، فمـن كان من أهـل السـعادة والقبول استعمله مولاه فيمـا يرضيـه ، ومن كان من أهل الشـقاوة اسـتعمله فيما يسـخطه عليه ، فـإن أردت أن تعرف منزلتـك عنـده ، فانظر فـي ماذا يقيمك ، أي : يـورده علي قلبك مـن إدراك جلالته وعظمته[4] .

ابن عجيبة :

إن أردت أن تعـرف نفسـك هـل أنـت من أهل الشـقاوة أو مـن أهل السـعادة ؟ فانظر في قلبـك ، فـإن كنـت تصدِّق بوجـود ربّك وتوحّـده في ملكه ، فأنت ممن سـبقت له الحسـنى ، وإن كنـت تنكـر أو تشـك في ربك أو تشـرك به فأنـت من أهل الشـقاء[5] .

---

(1) ضعيف أخرجه أبو يعلي : ح (1865) ، والطبراني في « الأوسط » : ح (2674) ، والحكم : (1 / 494 ، 495) .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 220) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 200 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 77 .
(5) إيقاظ الهمم : ص 165 .



74

متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة

الرندي :

المطلوب من العبد شيئان : إقامة الأمر في الظاهر ، والتعلُّق بالله في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره ؛ فإذا رزق الله تعالى العبد هذين الأمرين ، فقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة[1] .

زرُّوق :

صورة ذلك أن تعمل بأمر الله لا لشيء ، وترجو من الله خير الدنيا والآخرة لا بشيء ، فتكون له به لا لعلة ولا لسبب ، والمقصود أن أتم النعم وأكملها وأعلاها وأفضلها القيام بالعبودية في عين مشاهدة الربوبية ، أو إقامة الشريعة مع موافقة الحقيقة[2] .

الشرقاوي :

متى رزقك الله امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي في ظاهرك ، والغنى به عنها ، بأن لا تركن إليها في نيل مطلوبك ، بل تُعَلِّق قلبك بمولاك ، وغيب عنك كل شيء سواه ، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة ، وهي تلك الطاعة ، وباطنة ، وهي معرفتك التي أوجبت لك الغيبة عنها وعدم رؤيتها[3] .

الشرنوبي :

متى رزقك الله الطاعة التي هي امتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات في ظاهرك ، والغنى به عنها ، بأن لا تركن إليها بباطنك ، فاعلم أنه قد أتم عليك نعمه ، ظاهرة وهي تلك الطاعات ، وباطنة وهي معرفتك التي باعدتك عنها ، وأوجبت لك رفيع الدرجات[4] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 321) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 202 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 78 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 129 .



75

خيـر مـا تطلبـه منـه مـا هـو طالبـه منـك

الرندي :

إن كان لا بدّ من الطلب منه فاطلب ما هو طالبه منك ، من الاستقامة على سبيل العبودية له ، فذلك خيرٌ لك من طلبك لحظوظك ومراداتك ؛ لأنك حينئذٍ تكون به وله ، ويسعفك بمطلوبك عاجلًا من غير تأخير[1] .

زرُّوق :

وذلك لأنه مختاره لك ، وهو العالم بمصالحك والقادر على توصيلها إليك ، وأولى ما نرجع به إلى الله ما جاءنا عن الله ، والذي طالبه منك ثلاثة : التخلي عن كل شيء إلا عنه ، والتحلي بما يرضيه عنك ويردك إليه ، والدوام على ذلك حتى تلقاه بلا فَتْرَةٍ ولا تقصير[2] .

الشرقاوي :

أفضل الأشياء التي تطلبها منه ما هو طالبه منك ، من الاستقامة على سبيل العبودية له ، فهذا أخيرُ لك من طلبك لحظوظك ومراداتك ، دنيوية كانت أو أخروية ، فإن في ذلك حظًّا لنفسك[3] .

ابن عجيبة :

الذي طالبه منا هو الاستقامة ظاهرًا أو باطنًا ، ومرجعها إلى تحقيق العبودية في الظاهر ، وكمال المعرفة في الباطن ، والذي طلبه منا امتثال أمره واجتناب نهيه ، والإكثار من ذكره ، فالأكمل في حق العارف أن يستغني بعلم الله ، ويكتفي بسؤال الحال عن طلب المقال ، فإن تجلى فيه وارد الطلب ، فخير ما يطلبه من سيده ما هو طالبه منه[4] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 321) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 205 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 78 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 168 .

الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار

الرندي :

هذا هو الحزن الكاذب ، الذي يكون معه البكاء الكاذب ، أما الحزن الصادق فبخلاف هذا ، وهو يبعث على الانكماش في الأعمال والنهوض إلى الطاعات على كل حال ، فالحزن الذي يجده العبد من نفسه ، إن لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار[1] .

زرُّوق :

الحزن انقباض القلب لفوت محبوب أو خوف حصول مكروه فيهيجه حسرة خوف الفوات ، فإن أفاد ذلك عملًا أو نهوضًا لاستدراك الممكن منه كان حسنًا جميلًا ، وإلا فليس بشيء ، بل هو زيادة في الاغترار ؛ لاعتماد صاحبه في باب التوجه والتذكير بالرجعي إلى الله تعالى ، وقد يزداد صاحبه جرأة ورؤية لنفسه فيكون سببًا لطرده من حيث يراه سبب قربه[2] .

الشرقاوي :

الحزن على عدم وجود الطاعة في الحال ، مع عدم النهوض إليها في المستقبل ، من علامات الاغترار ، أي التعويل على ما لا حقيقة له ، وهذا هو الحزن الكاذب ، أما الحزن الصادق فهو الذي يبعث على الطاعات ، ويكون معه البكاء الصادق[3] .

ابن عجيبة :

إن كان حزنك على شيء مُنِعْت منه ، ونهضت إلى أسبابه الموصلة إليه فهو حزن الصادقين، وإن لم تنهض إلى أسبابه فهو حزن الكاذبين ، وإن كان على ما فات ونهضت إلى استدراك ما يمكن استدراكه فهو حزن الصادقين ، وإن لم تنهض إلى استدراكه فهو حزن الكاذبين[4] .

الشرنوبي :

الحزن الكاذب على فُقدان الطاعة ، مع عدم النهوض إليها في المستقبل ، من علامات الاغترار ، وهو التعلق بما لا حقيقة له ، فليس بمقام السالكين الأبرار ، وإنما

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 222 ، 223) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 206 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 79 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 169 .

مقامهـم الحـزن الصـادق مـع النهوض إليها والبـكاء عليها ، فـإنَّ صاحب هـذا الحزن يقطع مـن طريـق اللـه تعالـى في شـهر مـا لا يقطعه غيـره في سـنين[1] .



77

مَـا العَـارِف مَـنْ إذَا أَشَـار وَجَـد الحـقَّ أقـرب إليه من إِشَـارته ، بـل العـارف مـن لا إشـارة لـه ؛ لِفنائِـه فـي وجُـودِه ، وانْطِوَائِـه فـي شُـهُودِه

الرندي :

الإشـارة ألطـف مـن العبـارة ، وهـي كنايـة وتلويـح ، وإيمـاء لا تصريـح ، وهـي التـي يسـتعملها أهـل هـذه الطريقـة فيما بينهـم عند ذكرهـم لأسـرار التوحيد ، فالمشـير إلـى الله تعالـى الملاحـظ لإشـارته ، وإن وجـد اللـه تعالـى أقـرب إليـه من إشـارته غير عـارف على التحقيـق ؛ لأنـه بوَصْف التفرقة بشـهوده للأغيار ، بـل العارف الفاني في وجـوده ، المنطوي فـي شـهوده ، الـذي غاب عن الإشـارة والمشـير والمشـار بـه[2] .

زرُّوق :

ليـس العـارف الحقيقـي أو الكامـل من إذا أشـار ضميـره لمعنى مـن الحقيقة ، أو اسـم مـن أسـماء الحـق ، أو صفـة من صفاتـه وجد قلبـه وضميـره لربه دون ما أشـار إليـه في قلبه بحيـث لـم يحس بعلـم ما وقعت به الإشـارة ولا بمعنـاه ، بل العـارف من لا إشـارة له أصلًا لا لجمـال ولا لجـلال ، ولكنـه موقـوف فـي موقف الفنـاء بالحق عـن كل ملاحظة وإشـارة وتنبيـه ومعنى ، فسـقوط إشـارته فـي حاله لكمال فنائه بشـهود الكمـال ، لا لنقصه وقصوره عـن مـدارك الجـلال والجمـال ، فهو فانٍ فـي وجوده عن وجوده ، وفي شـهوده عن شـهوده بموجوده بل بمشـهوده[3] .

الشرقاوي :

مـا العـارف من إذا أشـار إلى شـيء من أسـرار الحق سـبحانه ، وجـد الحق أقـرب إليه من إشـارته ، بـأن كان حاضـرًا معـه لـم يغب عنـه ، بل هـو ملاحظه فـي حال إشـارته وأقـرب إليه

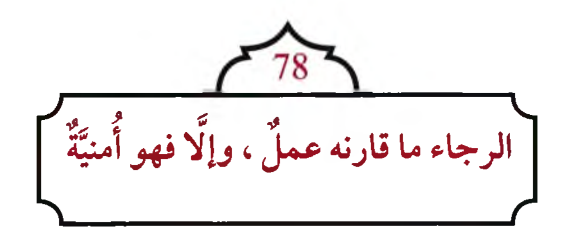
---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 130 . (2) غيث المواهب العلية : (1 / 223 ، 224) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 208 : 209 .

منها ، فهذا ليس بعارف حقيقة لبقائه مع نفسه ، بل العارف حقيقة من لا يشهد أن له إشارة ، وإن وقعت منه ؛ لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده ، فالعارف حقيقة هو الذي غاب عن الإشارة والمشير والمشار به ، فإذا وقعت منه إشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار إليه حينئذٍ هو الله تعالى ؛ لأن العارف حينئذٍ في مقام الجمع ، ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه[1] .

الشرنوبي :

ليس العارف الكامل في المعرفة من إذا أشار إلى شيء من أسرار التوحيد وجد الحق تعالى ، وشهده قبل تلك الإشارة ؛ لأنه حينئذٍ يكون باقيًا مع نفسه ، وملاحظًا أن هناك إشارة ومشيرًا ، فهو مع الأغيار ، بل العارف الكامل من لا إشارة له أصلًا مشهودة ؛ لفنائه عنها في وجوده تعالى ، فلا يشهد إلا إياه[2] .



الرندي :

الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين ، وهو يبعث على الاجتهاد في الأعمال ؛ لأن من رجا شيئًا طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه ، وأما الرجاء الكاذب الذي يُفتر صاحبه عن العمل ويُجزئه على المعاصي والذنوب ، فليس هذا برجاء ، ولكنه أمنيته واغترار بالله تعالى[3] .

زرّوق :

الرجاء ما قارنه عملٌ في سبب تحصيل المرجو لأجل تحصيله ، وإن لم يقارنه عمل فهو تمنٍّ لا حقيقة له[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 80 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 131 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 225) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 211 .

ابن عجيبة :

مـن رجا أن يدرك النعيم الحسـي كالقصـور والحور ، فعليه بالجد والطاعة والمسـارعة إلـى نوافل الخيرات ، وإلا كان رجـاؤه حمقًا وغرورًا[1] .

الشرنوبي :

الرجـاء الصَّـادق الـذي هـو مقـامٌ شـريف مـن مقامـات اليقيـن هـو مقارنه عمـل ؛ لأن الرجـاء الحقيقـي مـا كان باعثًـا علـى الاجتهاد في الأعمـال ؛ لأن من رجا شـيئًا طلبـه ، وإلا فهـو أمنيـة لا طائل تحتهـا[2] .



79

مطلـب العارفيـن مـن اللـه الصـدق فـي العُبُوديَّـة ، والقِيـامُ بحقُـوق الرُّبُوبيَّـة

الرندي :

مطلـب العارفيـن مـن ربهـم أعلى مـن مطالب غيرهـم ، سـواءً كانوا عبَّـادًا أو زهَّـادًا أو علمـاء ؛ لأن مطلـب العارفيـن مـن ربهـم إنمـا هـو الصدق فـي العبوديـة ، والقيـام بحقوق الربوبيـة فقـط ، مـن غيـر مراعـاة حـظ ، ولا بقـاء مـع نفـس ، وكل مـن عداهـم لـم يفارقـوا الحظـوظ والأغـراض في مطالبهـم[3] .

زرُّوق :

مطلـب العارفيـن مـن اللـه الصدق فـي العبودية ، بالتـزام أحكامهـا فـي كل وَرْدٍ وَصَدْرٍ وهـو عيـن القيام بحقـوق الربوبية ، ومداره على **أمور ثلاثة** : التشـمير للحقـوق ، والإعراض عـن كل مخلوق ، والاستسـلام تحـت جريان المقاديـر والأحكام[4] .

الشرقاوي :

مطلـب العارفيـن مـن اللـه تعالى أعلى مـن مطلب غيرهـم ، سـواء كان عابـدًا أو زاهدًا أو عالمًـا ؛ لأن مطلبهـم هـو الصـدق في العبوديـة ، وهو التـزام آدابها ، والتخلـق بأخلاقها ،

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 173 ، 174 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 133 .

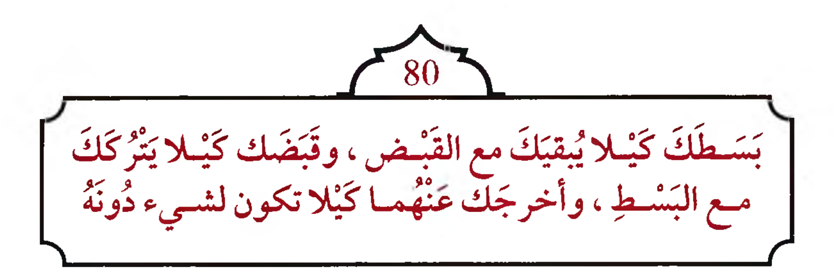
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 227) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 213 .

والقيام بحقوق الله فيها ، كالشكر على ما أولاه ، والصبر على ما ابتلاه ، والقيام بحقوق الربوبية في ظاهرهم بالطاعة ، وفي باطنهم بالمراقبة له ، ودوام الحضور معه[1] .

ابن عجيبة :

مطلوب العارفين ومقصودهم أو محل قصدهم ومحل نظرهم ، إنما هو تحقق الصدق في العبودية بحيث لا تبقى فيهم بقية ، فمادام العبد مسجونًا بمحيطاته محصورًا في هيكل ذاته ، لا تنفك عنه الحظوظ إما دنيوية أو أخروية ، فلا تتحقق عبوديته لله ، وفيه عبوديته لحظوظه وهواه ، فلا يكون صادقًا في عبوديته ، وهو مملوك لحظ نفسه[2] .



80

بَسَطَكَ كَيْلا يُبقيَكَ مع القَبْض ، وقَبَضَك كَيْلا يَتْرُكَكَ مع البَسْطِ ، وأخرجَك عَنْهُما كَيْلا تكون لشيء دُونَهُ

الرندي :

القبض والبسط من الحالات التي يتلوّن بها العارفون ، وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين ، وسببهما الواردات التي ترد على باطن العبد ، وقوتهما وضعفهما بحسب قوّة الواردات وضعفها[3] .

زرُّوق :

القبض والبسط وصفان وجديَّان يتعاقبان على القلب ، فيكون تارة بهذا وتارة بهذا ، وتارة في موقف الاعتدال ، وما جعل الحق ذلك ؛ إلا ليعرف العبد أنه في قبضة مولاه ، ليس له من الأمر شيء ، فينقطع عن نفسه وعن كل شيء سوى ربه[4] .

الشرقاوي :

بسطك أيها العارف ؛ كي لا يبقيك مع القبض ، الذي فيه قهرٌ لنفسك ، وإن كان فيه نفعٌ لك ، وقَبضك كي لا يتركك مع البسط الذي فيه حظ لها ، وأخرجك عنهما بفنائك

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 82 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 175 : 176 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 227) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 214 .

عـن نفسـك وبقائـك بـه كـي لا تكون لشـيء دونـه ، فلا تكـون باقيًا مع شـيء مـن أوصافك المؤلمـة ولا المؤنسـة ، فـإن ذلـك حجاب لك عـن ربك[1] .

ابن عجيبة :

البسط فرح يعتري القلوب أو الأرواح ، والقبض حزن وضيق يعتري القلب ، فمن لطفه بك أيها السالك أخرجك من الأغيار ودفعك إلى حضرة الأسرار ، فإذا أخذك القبض وتمكَّن منك الخوف وسكنت تحت قهره ، وأنست بأمره ، أخرجك إلى البسط لئلا يحترق قلبك ويذوب جسمك ، فإذا حبسك البسط وفرحت به وأنست بجماله ، قبضك لئلا يتركك مع البسط فتسيء الأدب ، إذ لا يقف مع الأدب في البسط إلا القليل ، هكذا يسيرك بين شهود جلاله وجماله ، فإذا شهدت أثر وصف الجلال انقبضت ، وإذا شهدت أثر وصف الجمال انبسطت[2] .



الرندي :

إنما اشتد خوف العارفين في البسط ما لا يستدل في القبض من قبَل ملاءمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض ، ومن ثَمَّ يتأكد عليهم في ذلك ملازمة الأدب ودوام الانقباض والانكسار ، وذلك أمرٌ عسير في هذا الحال ؛ ولذلك لا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل[3] .

زرّوق :

حقيقة المعرفة تقتضي العارف قصر نظره على مولاه واعتباره بأوصافه مما به يتولاه ، فإذا واجهه بجمال ذكر جلاله ، وإذا واجهه بجلال ذكر جماله ؛ لأنه لا ييأس من الله في شيء ولا يأمن منه في شيء ؛ لأن ظواهر الأخبار لا تقضي على باطن الصفات ، فهم إذا عاينوا صورة أمن خافوا المكروه ، وإذا رأوا صورة خوف رجوا الفضل ، ومن موجبات الخوف ما يتضمنه البسط من الزلل ، وعدم الوقوف عند الحد ، وذلك لأن البسط يستدعي استرسال النفس مع ما يلائمها ، وذلك يتضمن سوء الأدب في الحركات والتصرفات[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 83 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 177 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 228) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 216 ، 217 .

الشرقاوي :

العارفون إذا بُسطوا أكثر خوفًا من أنفسهم إذا قبضوا ، وذلك لملاءمة البسط لهوى نفوسهم ، فيخافون حينئذٍ من الوقوع فيما تدعو إليه من التحدث بالأحوال والكرامات وغيرهما ، وأيضًا قد يصدر منهم في ذلك الوقت كلامٌ لا يليق بحضرة الرب جل جلاله ، وحينئذٍ يتأكد عليهم في ذلك ملازمة الأدب ، ودوام الانقباض والانكسار[1] .

ابن عجيبة :

العارف إذا انبسط أخوف منه إذا انقبض ؛ لأن القبض من شأنه أن يقبض النفس عن حظوظها ومن شأنه أيضًا السكون ، والسكون كله أدب . ومن شأن البسط أن يبسط النفس وينشطها ، فربما تبطش لما فيه حظها فتزل قدم بعد ثبوتها بسبب قلة آدابها ، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل ، وهم أهل الطمأنينة والتمكين ، لا يحركهم قبض ولا بسط[2] .



82

البَسْطُ تأخذ النفس منه حظَّها بوجود الفَرح ، والقبضُ لا حظَّ للنَّفس فيه

الرندي :

مراعاة الأدب في البسط أمرٌ عسير ، وذلك أن في البسط وجود حظِّ النفس ، فيستولي عليها الفرح بذلك فلا يتمالك حتى يقع في سوء الأدب ، والقبض ليس فيه حظٌّ للنفس ، فلذلك كان أسلم[3] .

زرُّوق :

موقف الحظوظ منافٍ للقيام بالحقوق فيما يتضمنه من الولوع والاسترسال ، بخلاف محل فقدها ، وأسباب القبض والبسط راجعة لعطاء أو منع ، وهما لا يتحققان في صورهما ، فوجب أن تراعى الحقائق وينكب عن صور الأمور[4] .

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 84 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 179 ، 180 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 230) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 218 .

الشرقاوي :

النفس تأخذ من البسط حظها ، ومن شأن النفس إذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى بإظهار ما عندها من العلوم والفهوم والأحوال والأسرار ، والتحدث بالخصوصية ، والتلذذ بنسبة الخوارق ، والإشارة إلى الكرامات وإدراك المقامات ، كلٌّ على حسب حاله ، وكل ذلك منافٍ للعبودية ، بخلاف القبض فإنه لا حظَّ للنفس فيه ، فهو أقرب للسلامة ووجود القدرة على الوفاء بآداب العبودية[1] .

ابن عجيبة :

لأن البسط جمال والقبض جلال ، ومن شأن الجمال أن يأتي بكل جمال ، وأين هو الجمال ثم هو عين الجلال ، أين هو حبيبك ثم هو عدوك ، أين هو الربح ثم هو الخسارة ، ومعنى ذلك أن الموضع الذي يلائم النفس ويليق بها ، ثَمَّ هو خسارة القلب وحجاب الروح ؛ لأن الموضع الذي تحيا به النفس يموت فيه القلب ، والموضع الذي تموت فيه النفس يحيا به القلب والروح ، والواصلون المتمكنون لا يؤثر فيهم جلال ، ولا جمال ، ولا يحركهم قبض ولا بسط ؛ لأنهم للهِ لا لشيء دونه[2] .

الشرنوبي :

النَّفس متى أخذت حظها من البسط لا تتمالك حتى تقع في سوء الأدب ، من التحدث بإدراك المقامات والحصول على خوارق العادات وغير ذلك مما هو مناف للعبودية ، بخلاف القبض ، فإنه لا حظ للنفس فيه بالكلية ؛ ولذا آثره العارفون على البسط[3] .



---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 85 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 180 ، 181 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 136 .

83

رُبَّمـا أَعْطَـاك فَمنَعَـكَ ، ورُبَّمـا مَنَعَـك فَأَعْطَـاك

الرندي :

منْعُ اللـه تعالـى عبـده مـن نيْل شـهواته ولذَّاتـه ، والكون مع شـيء مـن عاداتـه عطاءٌ جزيـلٌ منـه ؛ لأنه أبقـاه معه واقتطعـه عن حظوظـه وأغراضه وجـرّده منها ، وعكـس هذا هو « المنـع » علـى التحقيـق ، وإن كان عطاء فـي الظاهر ، فالواجـب على العبد أن يتـرك التدبير والاختيـار لمـن بيـده ذلك فلن يعـدم منه خيـرًا[1] .

زرُّوق :

إذا كان الأمـر كذلـك فكـن خائفًا راجيًا في عطائـه ومنعه ، راجعًا باللجـاء والافتقار إليه فيهمـا غيـر مطمئـن بشـيء منهمـا ؛ إذ قد يكـون في طيـه خلاف ما ظهـرت به صورتـه ، وقد يكـون المنـع عطـاء ، والعطـاء إهانة ، فلا تفرح بشـيء ولا تحـزن عليه من حيث وجـوده[2] .

الشرقاوي :

ربمـا أعطـاك شـيئًا مـن الدنيـا ولذَّاتهـا ، فمنعـك التوفيـق لطاعتـه ، والإقبـال عليـه والفهـم منـه ، وربمـا منعـك مـن الأول فأعطـاك الثانـي ، فمنـع اللـه لـك مـن نيـل شـهواتك ولذاتـك ، وقطعـك عـن شـيء عاداتـك عطـاء جزيـل منـه ؛ لأنـه أبقـاك معـه ، واقتطعـك عن حظوظـك وأغراضـك ، وعكـس ذلـك هو المنـع الحقيقـي ، وإن كان عطـاء في الظاهـر ، فلا تنظـر لظاهـر العطـاء والمنـع ، بـل لحقيقـة الأمـر[3] .

ابن عجيبة :

الغالـب علـى النفـس الأمّـارة واللوّامـة أن تتبسـط بالعطـاء وتنقبـض بالمنـع ؛ لأن في العطـاء متعتهـا وشـهوتها فـلا جـرم أنهـا تنبسـط بذلـك ، وفـي المنـع قطـع موادهـا وتـرك حظوظهـا ، ولا شـك أنهـا تنقبـض بذلـك ، وذلك لجهلهـا بربّها وعـدم فهمهـا ، فلو فهمت عـن اللـه لعلمـت أن المنـع عيـن العطـاء ، والعطـاء عين المنـع[4] .

الشرنوبي :

ربمـا أعطـاك مـولاك مـا تميـل إليـه مـن الشـهوات ، فمنعـك التوفيـق لعظيـم القُـرب والطاعـات ، وربمـا منعـك مـن شـهواتك ، فأعطـاك التوفيق الـذي بغيـة السـالك ، وحينئذٍ

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 234) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 219 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 85 ، 86 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 182 .

يجب على المريد ترك التدبير ، وتفويض الأمر إلى العليم الخبير ، ولا ينظر لظاهر العطاء ، قبل أن ينكشف عنه الغطاء[1] .



زرُّوق :

لأنه يردك إلى مولاك ، ويصلك به من جهة ما به تولاك ، والنعمة ما وصلك بالحقائق وقطعك عن الخلائق ، ومن مقتضيات الفهم عن الله وجود الرضا عنه سبحانه وتعالى ؛ لأن الرضا عن الله جنة معجلة وحالة حسنة ، ومفتاح كل خير وبر[2] .

الشرقاوي :

متى فتح لك باب الفهم في المنع ، بأن فهمت أن ذلك المنع رحمة منه بك ، ولولا يعلم أنه خير لك من العطاء ما أنزله بك ، صار المنع عين العطاء[3] .

ابن عجيبة :

متى فتح لك أيها المريد باب الفهم عنه في المنع ، وعلمت ما فيه من الشر والخير وحسن النظر لك ، عاد المنع في حقك هو عين العطاء[4] .

الشرنوبي :

متي فتح لك مولاك باب الفهم عنه في المنع ، بأن فهمت أنه بمنعه أشهدك قهره ، وعرفت حكمته فيه ، صار المنع عين العطاء[5] .



---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 136 .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 220 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 86 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 183 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 136 .

85

الأكـوان ظاهرهـا غِـرَّةٌ، وباطِنها عِبْـرَةٌ، فالنَّفْـسُ تنظـر إلـى ظاهـر غِرَّتهـا، والقلـب ينظـر إلـى باطـن عِبْرَتها

الرندي:

كلُّ ما يمكن أن يكون للنفس فيه حظٌّ من متاع الدنيا وزهرتها، وهي رائعة الظاهر قبيحة الباطن، فهي من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة، وبالنظر إلى باطنها جيفة قذرة، فالنفس تنظر إلى زينتها الظاهرة فتغتر بها، فتهلك صاحبها، والقلب ينظر إلى قبائحها الباطنية، فيعتبر بها، فيسلم من شرها[1].

زرُّوق:

فمن نظر إلى ظاهرها أسرته، ومن نظر إلى باطنها هدته، وإن اشتغل بها صرفته، وإن اطمأن إليها صرعته، فالعاقل ينبسط بإدبارها، ويتحرز في إقبالها، فإذا نَظَرَتْ إليها النفس وقع البسط والقبض بإقبالها وإدبارها، وإذا نظر إليها القلب وقع البسط والقبض على حسب ما كوشف من حالها[2].

ابن عجيبة:

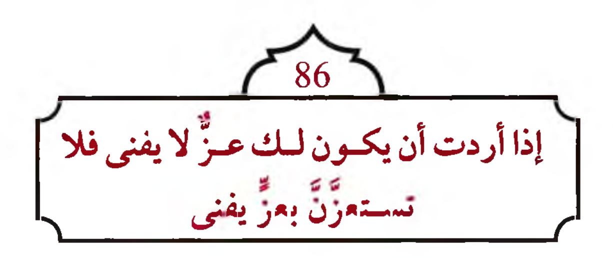
الغِـرَّةُ: وقوع الغرور، وإنما كانت الأكوان ظاهرها غِرَّة لوجهين: **أحدهما**: ما جعل الله سبحانه على ظاهر حسها من البهجة وحسن المنظر. **الوجه الثاني**: إنما جعل الله سبحانه الأكوان ظاهرها غِرَّة تغطية لسره وإظهارًا لحكمته، فالأكوان ظاهرها ظلمة وباطنها نور، فمن وقف مع الظلمة كان محجوبًا، ومن نفذ إلى شهود النور كان عارفًا محبوبًا[3].

الشرنوبي:

المكوِّنات التي فيها حظ للنفس من متاع الدنيا وزهرتها، ظاهرها غِرَّة، أي: سبب في الاغترار بها لحسنها وبهجتها، وباطنها عبرة، أي: سبب في الاعتبار بها لقبحها وخِسَّتها، فالنفس تنظر إلى ظاهر غِرّتها الظاهرة، فتغتر بها حتى تهلك صاحبها، والعقل ينظر إلى باطن عِبْرَتها الباطنة، فيعتبر بها، ويسلم من شرها، فمن نظر إلى ظاهرها قال: حلوة خضرة، ومن نظر إلى باطنها **قال**: جيفة قذرة[4].

---

(1) غيث المواهب العلية: (1 / 234، 235).
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق: ص 222.
(3) إيقاظ الهمم: ص 184 - 186.
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي: ص 137.



86

إذا أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى فلا تستعزَّنَّ بعزٍّ يفنى

الرندي :

العزُّ الذي لا يفنى : هو الغنى عن الأسباب كلها بوجود مسببها ؛ لأنه باقٍ لا يفنى ؛ فالتعلُّق به عزٌّ لا يفنى ، **والعز الذي يفنى** : هو الغنى بالأسباب مع الغيبة عن مسببها ؛ لأنها فانية ، فالتعلق بها عزٌّ فانٍ لا يبقى ، والتعلق بالله عزّ لا يفنى وليس لك إلا أحدهما ؛ لأنهما ضدان لا يجتمعان ، فإن اخترت العز الباقي تعالى لم يقدر أحدٌ أن يذلك[1] .

زرُّوق :

كل عزٍّ في الدنيا فهو فانٍ ؛ لأنه إنما يكون بأسبابها وهي فانية ، وما ترتب على الفاني زال بزواله[2] .

الشرقاوي :

إن أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى ، بأن تستغني بها مع الغيبة عن مُسَبِّبها ؛ لأنها فانية، فيكون تعلُّقك بها عِزًّا لا يبقى ، بل يزول بزوالها ، فإن اعتززت بغيره من مالٍ أو جاهٍ أو نحوهما فلا بقاء لعزك ؛ إذ لا بقاء لمن أنت به تعتز[3] .

ابن عجيبة :

العزّ الذي لا يفنى هو العز بالله ، والغنى بطاعة الله ، أوبالقرب ممن تحقق عزّه بالله ، فالعز بالله يكون بتعظيمه وإجلاله ، فإذا تحقق عزّه بالله استغنى بعز الله عن عزّ غيره ، فمن حصَّل هذا العزّ وتحقق به فقد تعزَّز بعزّ لا يفنى أبدًا ، وأما التعزز بالعز الذي يفنى فهو التعزز بالمخلوق ، فإن التعزز بالمخلوق قطعًا يعقبه الذلُّ عاجلًا وآجلًا[4] .

★ ★ ★

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 236) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 223 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 87 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 188 .

87

الطَّيُّ الحَقِيقِي أن تَطْوي مَسَافَةَ الدُّنيا عنك ، حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك

الرندي :

طيّ مسافة الدنيا إنما يتصور من العبد إذا أشرق نور اليقين في قلبه ، فحينئذٍ تنعدم الدنيا في نظره ، ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده ، بل يراها أقرب إليه منه ، فهذا لا يتصور منه حُبُّ الغائب الفاني وهو الدنيا ، واستبداله بالحاضر الباقي وهو الآخرة ، فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ، ومن لم يشاهده أحبَّ الدنيا ، وهي لا شيء ، فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيئًا ، فهذا هو الطيُّ الحقيقي لمسافة الدنيا[1] .

زرُّوق :

ظاهر الطي من الفعل والكرامة كطي الأيام بلا طعام ولا شراب ، أو طي الأرض بحيث يقطعها دون مشي ولا تعب في أقرب مدة ، كلاهما لا عبرة به إنما هو رسمي خارج ، وإنما الطي الحقيقي طي الدنيا بالزهد ، فرؤية الدنيا بعين الفناء والزوال يوجب طيها عن نظر العبد وزهده فيها ؛ لاستشعاره أنها أقرب من أن يرحل إليها ، وأدنى من أن يستعيد شأنها[2] .

الشرقاوي :

الطَّيُّ الحقيقي أن تطوي الدنيا بأن لا تشتغل بلذاتها وشهواتها ولا تركن إليها ، بل تغيب عنها حتى تكون الآخرة نصب عينيك ، ليست غائبة عن قلبك ، فهذا هو الطيّ الحقيقي الذي يُكْرِمُ الله به أولياءه ، وبه تتحقق عبوديتهم لربهم ، لا طيَّ مسافة الأرض ، ولا طيَّ الليالي والأيام ، ولا يمكن أن تطوى عن العبد مسافة الدنيا إلا إذا أشرق نور اليقين في قلبه ، فحينئذٍ تنعدم الدنيا في نظره ، ويرى الآخرة حاضرة لديه[3] .

ابن عجيبة :

طيّ الدنيا أن تطوي عنك مسافتها بالزهد فيها والغيبة عنها ، وحصول اليقين التام في قلبك ، حتى يكون الآتي عندك واقعًا ، وطيُّ النفوس بالغيبة في الله عنها ، هذا هو

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 238) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 225 ، 226 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 88 .

الطـيّ الحقيقـي ، لا طـيّ الزمـان أو المـكان ، فالطـي الحقيقـي أن تطوي عنك مسـافة الدنيا كلهـا حتـى يكون المـوت أقـرب إليك من نفسـك[1] .



88 العطـاء مـن الخلـق حرمـان ، والمنـع مـن اللـه إحسـان

الرندي :

عطيـة الخلـق لك حرمـان على التحقيـق ؛ لما فيـه من رؤيتك لغيـر اللـه ، ووقوفك مع حظوظـك وشـهواتك ، ومنـع اللـه لـك إحسـانٌ ؛ لأنـه ألزمـك الوقـوف ببابـه ، وعافاك من وجـود حجابه[2] .

زرّوق :

وذلـك لأن المنـع منـه تعالـى يقتضي اللجـاء إليه والـدوام بيـن يديه ، وحسـن الاختيار فيمـا وُجّـه بـه إليك ؛ إذ لا يمنعـك من بُخـلٍ ولا عدم ولا افتقـار ولا احتيـاج ، وإنما يمنعك رحمـة بـك ، فالعطـاء منه هـو العطـاء ، والمنع منـه هو عيـن العطاء لمـن فهم مراده بـه[3] .

الشرقاوي :

إذا أعطـاك الخلـق شـيئًا فأخذته غافـلًا عن مولاك ، فهـو وإن كان إعطـاءً ظاهرًا حرمان باطنًـا ، ومنـع اللـه لـك وعـدم إعطائـك إحسـان ، حيث لم يغـب قلبك عنـه ، فهـو وإن كان منعًـا ظاهـرًا إعطـاء باطنًا ؛ لأنـه ألزمك الوقـوف ببابه وعافـاك من وجـود حجابه[4] .

ابن عجيبة :

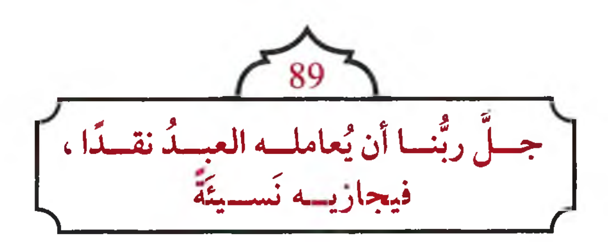
إنمـا كان العطـاء مـن الخلـق حرمانًـا لثلاثـة أوجـه : **أحدهـا** : مـا فـي ذلـك مـن حظّها وفرحهـا والتوصـل لشـهواتها ، وفـي ذلـك مـوت القلـب . **الثانـي** : مـا فـي ذلك مـن نقص الدرجـات . **الثالـث** : مـا فـي ذلـك مـن الركـون إليهـم وميـل القلـب بالمحبـة لهـم فتكون أسـيرة فـي أيديهـم . وإنمـا كان المنـع من الله إحسـانًا لوجهيـن : **أحدهما** : أن الله سـبحانه

(1) إيقاظ الهمم : ص 190 ، 191 .
(2) غيث المواهب : (1 / 238) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 227 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 89 .

لـم يمنعـك بخـلًا وإنمـا هو حسـنُ نظر لـك ، **الثانـي** : ما فـي ذلك مـن دوام الوقـوف ببابه ، وفـي ذلك غايـة شـرفك ورفع قـدرك[1] .

الشرنوبي :

العطاء من الخلق مع الغفلة عن الحق حرمان في نفس الأمر ؛ لأنه يوجب حبهم والتعلق بهم ، وصرف الوقت في مكافأتهم ، وذلك يوجب ذهول القلب عن الحق ، والمنع من الله إحسان ، لاقتضائه الالتجاء إليه ، ودوام وقوف السائل بين يديه ، وذلك عبودية[2] .



89

جـلَّ ربُّنـا أن يُعاملـه العبـدُ نقـدًا ، فيجازيـه نَسـيئَةً

الرندي :

جـزاء المعاملـة لا يختص بالدار الآخرة ، بـل ربما أظهر الحق تعالى منـه لبعض أوليائه فـي الدنيـا أنموذجًـا يحملهـم علـى الاجتهاد فـي الأعمـال ويتحققون بـه وجـود قبولها في كل الأحـوال ؛ لعظيـم كرمـه وعميم فضله جـلّ وعلا[3] .

زرُّوق :

جـزاؤه كلـه مُعَجَّـل ، وإن كان مـا في الآخـرة مؤجلًا ؛ فـإن المأتي قطعًـا كالموجود في الحـال ، والتنعيـم بانتظـار الفائـدة زيـادة في الإحسـان بها ؛ لأن اللـه تعالى كريـم ، والكريم إذا أعطـى كمّـل ، والعبـد فقيـر محتاج في الحـال والمآل فيقدم لـه ما يحتاج إليـه من ثواب وحسـن مـآب ، ومـراد اللـه تعالـى مـن عبـاده المخلصيـن إفـراد قلوبهم لـه ، فيعينهـم على ذلـك بما يوجهه لهـم[4] .

الشرقاوي :

جـلَّ ربُّنـا أن يعاملـه العبـد حالًا بأنـواع الطاعـات فيجازيه بـأن لا يعطيه شـيئًا من جزاء عملـه فـي الحـال ، فـإن ذلـك ليس شـأن الكريـم القـادر ، فجـزاء العمـل لا يختـص بالدار

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 192 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 138 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 239) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 231 .

الآخرة ، ربما أظهر الله منه لبعض أوليائه شيئًا في الدنيا يحملهم على الاجتهاد في الأعمال ويتحققون به قبولها[1] .

ابن عجيبة :

النقد ما كان معجلًا ، والنسيئة ما كان مؤخرًا ، ومن شأن الكريم إذا اشترى شيئًا أن يُنْجِز نقده ويزيد إحسانه ، وقد اشترى الحق تعالى منا أنفسنا وأموالنا فعوّضنا بها الجنة فمن باع نفسه وماله ونقدهما وسلمهما إليه عوّضه الله جنة المعارف عاجلًا ، وزاده جنة الزخارف آجلًا ، مع ما يتحفه به من أنواع النعيم ودوام الشهود والنظر إلى وجهه الكريم ، فجلَّ ربنا ، أي تنزّه وترفّع ، أن يعامله العبد معجلًا فيجازيه مؤخرًا ، بل لابد أن يُعجِّل له ما يليق به في هذه الدار ويدخر له ما يليق به في تلك الدار[2] .

الشرنوبي :

تعالى ربنا أن يعامله العبد بالعمل الصالح معاملة ناجزة ، فيجازيه مجازاة مؤجلة ، فإن جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة ، بل ربما أظهر الحقُّ تعالى منه لبعض أوليائه أنموذجًا يحملهم على الاجتهاد في الأعمال ، ومن أعظم المعجل مجازاته على الحسنة بالتوفيق لحسنة أخرى ، وبالحفظ من معصية يكون العبد بصددها[3] .



الرندي :

هذا بيان جزاء عباده الصالحين المُعَجَّل : وهو أنه عرّفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلًا لأن يكلِّفهم القيام بطاعته ، ويمدّهم فيها بتيسيره ومعونته ، فسباهم حينئذٍ حبُّه ، واستولى عليهم قربُه ، فانقبضت إذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودُهم[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 89 ، 90 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 194 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 138 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 239) .

زرُّوق :

وذلـك أنـك مـن حيث أنـت لا يليق بـك إلا النقص ، بـل هو وَصْفُـك الـلَّازم ونَقْصُك المـلازم ، ومـا جـرى عليـك من وجـوه الكمـال فمِنَّـةٌ ورحمـةٌ واجهتـك مِنْهُ ، وبيـان ذلك أن الطاعـة كمـال لـك ، فالمنـة عليـك فيهـا بتوفيقـك لمـا فيـه كمالـك ، وأنها أمـان لك في الدنيـا والآخـرة ، فالمنـة فيهـا بتأمينـك ، وأنها عِزٌّ لـك وغنى فـي الدارين بمـا أودع فيها من الخـواص ومـا وعد عليهـا من الثـواب[1] .

الشرقاوي :

كفـى مـن مجازاته إياك علـى الطاعة أن رضيـك لها أهـلًا بتوفيقك لها وإقـدارك عليها، وإلا فصفتـك الذاتيـة التكاسـل عـن الطاعـة وعـدم الاعتنـاء بها ، فـإذا وفقك مـولاك للقيام بهـا ، كان ذلـك جـزاءً مُعَجّـلًا لـك فـي الدنيـا ، وأنـت عبـدٌ حقيـر لا تسـتحق خدمـة ملـك الملـوك ، فكونـه قرَّبَـك لخدمتـه ورضيـك أهلًا لهـا ، نعمـة عظيمة منه عليـك[2] .

ابن عجيبة :

لأن الملـك لا يدعـو لخدمتـه إلَّا مـن يريـد أن يكرِّمـه ، ولا ينسـب لـه إلَّا أهـل الفضل والتكرمـة ، فلـولا فضـل اللـه عليكـم ورحمتـه ما زكـى منكم مـن أحـد أبـدًا ، فالتوفيق لها أعظـم منـة وأكبر جـزاء على وجودهـا ؛ لأنها تحقق للعبد تصحيح النسـبة لمـولاه ، ووجود الإقبـال عليه وإقامـة رسـم العبودية[3] .

الشرنوبي :

كفـى مـن مجازاتـه سـبحانه لـك علـى الطاعـة أن رضيك أهـلًا لهـا ، فإن خدمـة ملك الملـوك ممـا تتطـاول إليهـا الأعنـاق ، فكونـه رضيـك لهـا مـن أعظـم النعـم التي امتـن بها عليـك الكريم الخـلاق[4] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 232 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 90 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 195 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 139 .

91

كَفى العاملين جَزاءً ما هو فَاتِحُهُ على قُلُوبهم في طَاعَته ، وَمَا هو مَورِدُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ وجُودِ مُؤَانَستِهِ

الرندي :

العاملون لربّهم يفتح لهم من المعارف ، ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الأنس ، ويتنعمون به في حضرة القدس ، وهذا من علامات وجود الرضوان الأكبر الذي يتلاشى دونه كلُّ جزاء ويستحقر [1] .

زرُّوق :

كفى العاملين جزاءً ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته حال التلبس بها من حلاوة المناجاة ولذات المصافاة وسنيِّ الحالات ، وكفى العاملين ما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته أي في طاعته بطاعته ، وما يجري منها لهم في حال التلبّس بها ، وبعد ذلك من تآنسهم به وبما منه إليهم وما يصلهم به من الإمدادات العرفانية والمواريد العلمية والإيمانية[2] .

الشرقاوي :

كفى العاملين جزاءً ما هو فاتحه على قلوبهم ، في حال طاعته ، من المواهب الإلهية ، والإلهامات اللدنية ، وحلاوة التّملّق بين يدي ملك الملوك ، وليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التّملّق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ، وما هو مورده على قلوبهم من الأنس به بعد حصول العمل وانقضائه[3] .

ابن عجيبة :

الذي فتحه على قلوبهم في حالة العمل ثلاث : محاضرة أو مراقبة أو مشاهدة . فالمحاضرة للطالبين ، والمراقبة للسائرين ، والمشاهدة للواصلين . فالمحاضرة للعموم ، والمراقبة للخصوص ، والمشاهدة لخصوص الخصوص ، والكل يسمى خشوعًا ، والمؤانسة التي يجدها العامل بعد العمل هي مؤانسة ذكر ، ومؤانسة قرب ، ومؤانسة شهود [4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 240) .

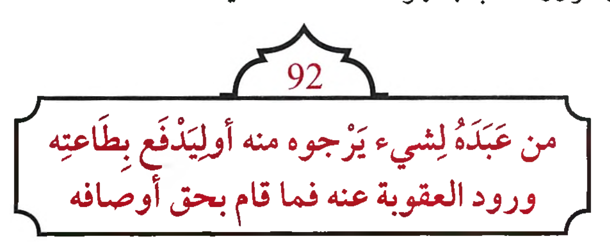
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 234 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 90 ، 91 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 195 ، 196 .

الشرنوبي :

كفاهم في المجازاة ما هو فاتحه على قلوبهم في حال طاعته من الإلهامات السَّنيَّة ، والمواهب اللدنية ، حتى يجدوا حلاوة المناجاة مع الملك الخلَّاق التي يعبر عنها أهل الطريق : بالأحوال والمواجيد والأذواق ، وكفاهم أيضًا ما هو مورده عليهم من موجود مؤانسته البهية ، وسرور القلب بشهود صفاته الجمالية[1] .



الرندي :

عمل العاملين لأجل حصول الجزاء ، أو فرارًا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن الحاذقين المحققين ؛ لأن قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضي أن لا يعمل لجلب ثواب أو دفع عقاب ؛ لأنه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ، ولا يستحق هو عليه شيئًا ، فإن خالف هذا أو عمل على جلب ثواب أو دفع عقاب ، لم يقم بحق صفات مولاه[2] .

زرُّوق :

وذلك أنها تقضي بأن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، لا لعلة ولا لسبب ، بل لحق الربوبية وواجب العبودية له ، وسابق إحسانه وكرمه ؛ فعلى العبد أن يعمل له تعالى لا لشيء ويطلب منه لا لشيء ؛ لأن الكل منه وإليه ، فالعمل على الأغراض والأعواض إساءة أدب ، والطلب له بغير العمل قيام بحق الحرمة[3] .

الشرقاوي :

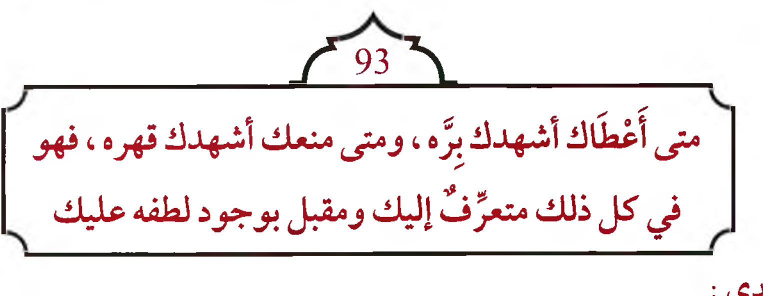
من عَبَدَ اللهَ للثواب ، أو ليدفع حصول العقوبة له في الدار الآخرة ، ما قام بحق أوصاف الله ، بل هو قائم بحظِّ نفسه من جلب الثواب أو دفع العقاب ، بخلاف ما إذا عبد الله لأجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يُشارَك فيها ؛ إذ من كان كذلك يستحق

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 139 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 241) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 236 .

أن يُخدم بالعبادة ، فإنه حينئذٍ يكون قائمًا بحق أوصافه ، أي موفِيًا لها حقَّها[1] .

ابن عجيبة :

مـن عَبَـدَ اللـه تعالـى لشـيء يرجوه منه فـي الدنيا أو فـي الآخـرة ، أو ليدفع عنـه بطاعته ورود العقوبـة فـي الدنيـا أو فـي الآخـرة ، فما قـام بحق أوصـاف الربوبيـة التي هـي العظمة والكبريـاء والعـزة والغنـى وجميع أوصـاف الكمال ونعـوت الجلال والجمـال[2] .



93

متى أَعْطَاك أشهدك بِرَّه ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرِّفٌ إليك ومقبل بوجود لطفه عليك

الرندي :

المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والأسماء الحسنى ، ولا سبيل لهم إلى معرفته إلَّا بتعرّفه لهم ، فبوجود العطاء تشهد صفاته (البرّية) من : الجود ، والكرم ، والإحسان ، وغير ذلك ، وبوجود المنع تشهد صفاتُه (القهريّة) من : الجبر ، والكبرياء ، والعزّة ، والاستغناء ، فينبغي لك أيها العبد أن لا تفرق بينهم إن أردت أن تعرف ربك ، إذن فمنعه لك عطاء على التحقيق ، فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ، ومقبل بوجود عطفه إليك[3] .

زرُّوق :

التقلبـات للتعريـف والعبـادات للتصريـف ، والـكل رحمة ولُطْـفٌ إذا أقبـل عليك بما وجـه إليـك ، أو وجـه عليـك مما أقرَّ بـه أو فيه عينـك ، فوجب عليـك الإقبال عليـه بمعرفة منتـه ، والتعـرف لمـا واجهـك بـه مـن قهـره أو رحمتـه ، والإقبـال علـى عبادتـه شـكرًا له علـى مـا أولى وأسـدى في عطائـه ومنعـه ؛ فالمؤمنُ شَـغَلَه الثناء علـى الله أن يكون لنفسـه شـاكرًا ، وتشْـغَلُهُ حقـوق اللـه عـن أن يكـون لحظوظـه ذاكـرًا ، لكـن غلبـة الهـوى وعـدم الفهـم هـو الداعـي للإعراض فـي محل الإقبـال[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 91 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 197 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 244 ، 245) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 238 .

الشرقاوي :

متى أعطاك أيها العارف المُتَيقظ أشهدك صفات بِرّه من الجود والكرم والإحسان ، ومتى مَنَعَك أشهدك صفة قهره التي تقتضي القهر والغلبة ، فهو في كلتا الحالتين مُقْبلٌ عليك ، ومريد منك أن تَعرفهُ ، فإن الواحد منا إذا أراد أن يعرفه غيْرُه ، فإما أن يُنعِمَ عليه ، وإما أن يُعاقبه ، فكلٌّ منهما سبب في معرفة ذلك الغير له ، ومُقْبل بوجود لُطفِه عليك ؛ لأن مشاهدته لصفات بره وقهره لطف عظيم منه سبحانه ، ونعمة منه عليك ، فينبغي لك أن تشكره عليها[1] .

ابن عجيبة :

اللـه تعالـى لطيـف بعبـاده رحيـم بخلقـه فـي كل وقـت سـواء أعطاهـم أو منعهـم ، فإن أعطاهـم أشـهدهم برّه وإحسـانه ، فعرفـوا أنه سـبحانه بارّ بعبـاده ، فتعظم محبتهم فيـه ، ويكثر شـوقهم إليه ، ويكثر شـكرهم فيزداد نعيمهم ، وإن منعهم أو قبضهم أشـهدهم قهـره وكبرياءه ، فعلمـوا أنـه تعالى قهَّار ، فخافوا من سـطوته ، وخضعـوا تحت قهره ، فدامـت عبادتهم ، وقلَّت ذنوبهـم ، ومحيت مسـاويهم فوردوا يـوم القيامة مطهريـن فرحين[2] .



94

إنَّمَـا يُؤْلِمُـكَ المَنْـعُ لعـدم فَهْمِـكَ عَـنِ اللـه فيـه

الرندي :

إذا كان مَنْعُ الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين ، فينبغي أن يكون في كلتيهما قرَّة عين المريد ؛ فإن تألَّم بأحدهما وهو المنع ، وتلذّذ بالآخر وهو العطاء ، فذلك لعدم فهمه وقصور علمه ، وإنما الأكمل والأفضل له أن يألم بالعطاء ويلذّ بالمنع[3] .

زرُّوق :

لأنـك لـو فهمـت عنه تسـليت بما فهمتـه من لطفه وإبـراره في منعـه وعطائـه ؛ إذ الكل رحمـة وكرامـة ولطـف ، فمـن علـم أن اللـه تعالـى رحيـم بـه ومتفضل عليـه ولطيـف به لم يتألم بمـا يواجهه منـه[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 92 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 198 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 246) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 239 .

الشرقاوي :

إنما يؤلمك المنع أيها المريد ؛ لعدم فهمك عن الله فيه ، أي في حال المنع ؛ إذ لو فتح لك باب الفهم حينئذٍ لتلذذت به ، فمن جملة الفهم في المنع أن تفهم أنه يريد بذلك المنع أن يوقفك ببابه ويعلقك به ، ويُصَيّرَك من جملة أحبابه ، فإنه إذا أحب عبدًا حماه من الدنيا[1] .

ابن عجيبة :

لأن الفهم عن الله يقتضي وجود المعرفة به ، ولا تكون المعرفة كاملة حتى يكون صاحبها يعرفه في الجلال والجمال والمنع والعطاء ، وأما إن كان لا يعرفه إلا في الجمال فهذه معرفة العوام الذين إن أُعطوا رضوا وإن لم يُعطوا سخطوا ، ومن ثمرات المعرفة التسليم والرضا لما يجري به القضاء ، ومن ثمرات المحبة والهوى الصبر عند الشدائد والبلوى ، فلا يكون المحب صادقًا حتى يستوي عنده المنع والعطاء[2] .

الشرنوبي :

إنما يؤلمك المنع الذي هو في الحقيقة مثل العطاء ؛ لعدم فهمك عن الله فيه ؛ إذ لو فهمت عن الله أنه إنما يمنعك ليُصيِّرك من أحبابه الذين حماهم من الدنيا ، لما تألمت منه ، بل تلذذت به[3] .



الرندي :

ينبغي أن لا ينظر العبدُ إلى صور الأشياء ، ولينظر إلى حقائقها ، فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها ، لما قد تضمنه من الآفات القادحة في الإخلاص فيها ، وذلك مانع من وجود القبول لها ، ووجود صورة الذنب ألا تقتضي الإبعاد والطرد ، بل ربّما يكون سببًا في وصوله إلى ربّه ، وحصوله في حضرة قربه[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 93 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 200 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 141 .

(4) غيث المواهب العلية : (1 / 246 ، 247) .

زرُّوق :

الطاعة عطاء، وعدم القبول منع مصحوب بعطاء، بل عطاء مصحوب بمنع فعاد منعًا؛ إذ لا عبرة بعمل لا قبول فيه، **وباب القبول ثلاثة أمور** : التقوى، والإخلاص، وإتقانه، بالسنة واتباع الحق، وربما قضى عليك بالذنب فكان سببًا في الوصول بما يفتح به عليك من أبواب الهداية والخير التي أصولها ثلاثة : الانكسار والتوبة والتشمير[1] .

الشرقاوي :

وذلك أن الطاعة قد يقارنها آفات قادحة في الإخلاص فيها كالإعجاب بها، والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها، وذلك مانع من قبولها ، والذنب قد يُقَارِنه الالتجاء إلى الله والاعتذار إليه واحتقار نفسه، وتعظيم من لم يفعله، فيكون ذلك سببًا في مغفرة الله له ووصوله إليه[2] .

ابن عجيبة :

لا عبرة بالطاعة إذا لم يصحبها قبول، فإذا فتح لك باب العمل وبلغت في تحصيله غاية الأمل ، غير أنك لم تجد له ثمرة ولم تذق له حلاوة من الأنس بالله والوحشة مما سواه، فربما فتح لك باب طاعته ولم يفتح لك باب القبول، ومنعك بها من الوصول حيث اعتمدت عليها وركنت إليها، والعبد إذا كان سائرًا لمولاه قاصدًا لوصول حضرة حبيبه ورضاه، وقد يحصل له كلل أو يركبه كسل فسلَّط الحق عليه ذنبًا فيسقط، فإذا قام من سقطته جدَّ في سيره ونهض من غفلته ونشط من كسله حتى يدخل حضرته[3] .

الشرنوبي :

الطاعة ربما قارنها آفات قادحة في الإخلاص فيها ، كالإعجاب بها واحتقار من لم يفعلها، فلا يُفتح لها باب القبول، وربما قارن الذنب شدةُ النَّدم، واستصغار النفس، وحسن الاعتذار إلى الله، فيكون سببًا في الوصول[4] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 240، 241 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 93، 94 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 201 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 141 .

مَعْصِيـةٌ أَوْرَثَـتْ ذُلًّا وافْتِقَـارًا ، خيـرٌ مـن طَاعـةٍ أَوْرَثَـتْ عِـزًّا واسـتكبارًا

الرندي :

الـذل والافتقـار من صفـات العبوديـة ، والعـزُّ والاسـتكبار مناقضان لهمـا ؛ لأنهما من صفـات الربوبيـة ، ولا خيـر فـي الطاعـة إذا لـزم عنها شـيء ممـا يناقـض صفـات العبودية ؛ لأنهـا تحبطهـا وتُبطلهـا ، كمـا لا مبالاة بالمعصيـة إذا لزمتهـا صفـات العبودية[1] .

زرُّوق :

الخيـر فـي الطاعة بالـذات والشـر فيها بالعرض ، والشـر فـي المعصية بالـذات والخير فيهـا بالعـرض ، وخيـر الطاعـة مـن حيـث إنهـا عبودية لـه وخضـوع بين يديـه ورجـوع إليه وطلـب لمـا عنـده ، وشـر المعصية في ضـد ذلك ، فـإذا أوجبـت المعصية ما هـو بالمعصية فـي الـذات كانـت شـرًّا ، وإذا أوجبـت المعصية مـا هو فـي الطاعة بالـذات كانت خيـرًا[2] .

الشرقاوي :

لا شـك أن الـذل والافتقار من أوصـاف العبوديـة ، فالتحقق بهما مقتـضٍ للوصول إلى حضـرة الـرب ، والعز والاسـتكبار مـن أوصـاف الربوبية ، فالتحقـق بهما مقتـضٍ للخذلان وعـدم القبول[3] .

ابن عجيبة :

إنما كانت المعصية التي توجب الانكسار أفضل من الطاعة التي توجب الاستكبار ، فثمرة الطاعة هي الذلّ والانكسار ، وثمرة المعصية هي القسوة والاستكبار ، فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق ، وصارت الطاعة معصية والمعصية طاعة[4] .

الشرنوبي :

الـذل والافتقـار من أوصـاف العبوديـة ، والتَّحقُّق بهما موجـب للقرب مـن ربِّ البريَّة ، وأمـا العز والاسـتكبار فإنهما مـن أوصاف الربوبيـة ، والتعلق بهما مُقْتَضٍ للخِـذلان والتباعد عن المراتـب العلية[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 247) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 242 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 94 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 202 .

(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 141 .

97

نعمتـان ما خرج موجـود عنهما ولابد لـكل مَكوَّن منهمـا : نعمة الإيجـاد ، ونعمة الإمداد

الرندي :

نعمـة الإيجـاد ونعمـة الإمـداد نعمتـان لازمتـان لـكلّ مكَـوَّن موجـود ؛ لأنـه فـي ذاتـه معـدوم متـلاش ، فنعمـة الإيجـاد أزالـت العـدم السـابق ، ولـولا ذلـك لـم يـزل معدومًـا ، ونعمـة الإمـداد أزالـت العـدم اللاحـق ، ولـولا ذلـك لتلاشـى وفنـي[1] .

زرُّوق :

لابد من وجود ومدد ، وإلَّا كان المخلوق معدومًا بأوله ، وراجعًا إلى العدم بآخره ، وإنما كان الإيجاد نعمة ؛ لأنه تعالى غني عنك وأنت مفتقر إليه في وجودك ، إذ لو لم يوجدك لكنت صرف النفي ومحض العدم ، **ونعمة الإمداد تجري بثلاث** : دفع المضرات ، وجلب الفوائد ، وتوجيه الخطاب[2] .

الشرقاوي :

نعمتان ما خرج موجودٌ عنهما ، أي هما عامَّتان لكل موجود ، ولابدّ لكل موجود منهما ، أي هما لازمتان لكل موجود لا ينفك عنهما موجود من الموجودات : نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ، الإضافة للبيان فيهما : فكل موجود في ذاته معدوم متلاشٍ ، فنعمة الإيجاد أزالت عنه العدم السابق ، فصار موجودًا ، ولما كان دوام وجوده يحتاج إلى إمداد إلهيٍّ له يقتضي بقاء صورته وهيكله ، أمده بجلب المنافع له ودفع المضارّ عنـه[3] .

ابن عجيبة :

أمـا نعمـة الإيجاد فهـي الإظهار مـن عالـم الغيب إلـى عالـم الشـهادة ، أما نعمـة الإمداد فهـي قيامـه تعالـى بالأشـياء بعـد وجودهـا وإمـداده إياها بمـا تقوم بـه بِنْيَتُهـا ، فأنعـم الحق سـبحانه عليـك أيها الإنسـان أولًا : بنعمـة الإيجاد ، وأصحبـك الرأفة والـوداد لتظهر مزيتك وتكمـل نعمتـك ، ثـم أنعم عليـك ثانيًـا بنعمة الإمـداد حسـيَّة ومعنويـة ، أما المدد الحسـي فغـذاء البشـرية ، وأمـا المدد المعنوي فغـذاء الروح من قـوت اليقين والعلـوم والمعارف[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 250) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 243 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 95 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 204 ، 205 .

98

أنعـم عليـك أولًا بالإيجـاد ، وثانيًـا بتوالـي الإمـداد

الرندي :

هذا أحد جزيئات الحكمة السابقة ، وهو وجودك ودوام وجودك ، ومما لا ينبغي أن يُتغافل عنه من أنواع هذا الجنس ، نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك وإمدادها ، وكذلك كراهة الكفر والمعصية ، ولولا توالي الله تعالى له بتينك في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات ، فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة[1] .

زرُّوق :

إنما كان الإيجاد نعمة ؛ لأنه تعالى غني عنك وأنت مفتقر إليه في وجودك ؛ إذ لو لم يوجدك لكنت صرف النفي ومحض العدم ، والإمداد يكون بدفع المضرات ، وجلب الفوائد ، وتوجيه الخطاب[2] .

الشرقاوي :

أنعم عليك أيها الإنسان أولًا بالإيجاد ، وثانيًا بتوالي الإمداد ، فإذا علم العبد أن ابتداء وجوده من الله ودوام وجوده كذلك ، علم أنه لا غنى له عن مولاه لافتقاره بعد وجوده في كل وقت إلى الإمداد ، ثم هذه الإمدادات منها ما يكون قوتًا لجسمه ، ومنها ما يكون قوتًا لروحه كالإيمان والمعارف والعلوم[3] .

ابن عجيبة :

توالي الإمداد هو تتابعه واتصاله سواء كان حسيًّا أو معنويًّا ، ففي ساعة ولحظة أنت مفتقر إلى إمداده قلبًا وقالبًا[4] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 250 ، 251) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 243 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 65 ، 96 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 206 .

99

فَاقَتُك لك ذاتية ، وَوُرُودُ الْأَسْباب مُذَكّرات لكَ بما خَفِي عَلَيْكَ مِنْها ، والفَاقَةُ الذَّاتِيَّةُ لا تَرْفعُها العَوَارِض

الرندي :

إذا ثبت أن نعمتي الإيجاد والإمداد لازمتان لك ، وأنك في ذاتك عدم لولاهما ، فالفاقة إذن ذاتية لك ، والاضطرار لازم لوجودك ، وإن كنت غنيًّا بوجود النعمتين المذكورتين فإن ذلك أمر عرضي ، والأمور الذاتية لا تزيلها الأمور العرضية ، وإنما أورد عليك الأسباب التي تضادُّ وجودك أوبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك ، فتقوم بحق عبوديتك ، ولا تجاوز حدك[1] .

زرُّوق :

الفاقة : شدة الاحتياج ، **والفقر الذاتي** : ما يلازم الذات فلا ينعدمان إلا بانعدامها ، ولا شك أن الفاقة لازمة للعبد أبدًا ولا ترتفع عنه أبدًا ، لكنه قد يغفل عنها فيذكر بالأسباب الواردة عليه من الغنى والفقر ، والعز والذل ، والقوة والضعف ، والحاجة الذاتية لا ترفعها العوارض بل تؤكدها ، وإنما ينظر ذلك من وفق له فيكون في النعمة متلبسًا بالشكر ، وفي البلية متلبسًا بإظهار الفاقة والفقر[2] .

الشرقاوي :

إذا ثبت أن نعمتي الإيجاد والإمداد لازمتان لك وأنك في ذاتك عدم لولاهما ، فالفاقة إذًا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك ؛ لاحتياجك إلى المولى في ابتداء وجودك وفي إدامته عليك ، لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس ويغفلون عنه إذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم ، فيورد عليهم أسباب الاضطرار ليُذكِّرهم ، وهي الأمور القهرية ، من مرض وجوع وعطش وحر وبرد ، فالاحتياج لله والافتقار إليه ، وهو الفاقة الذاتية ، لا تزيلها الأمور العرضية من الصحة والغنى والقدرة[3] .

ابن عجيبة :

افتقارك أيها الإنسان لك ذاتية ، أي أصلية حقيقة ، لكنها خفية ، وورود الأسباب المحركة لظهور تلك الفاقة ، وهي الشدّة والحيرة وكل ما يلجئك إلى مولاك ، مُذكرة

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 253) .

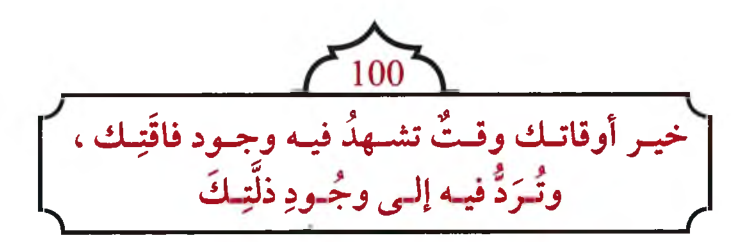
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 244 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 96 ، 97 .

لـك مـا خفـي عنك منها ، يعنـي أن فاقتك لا تفارقـك ، إلّا أنها خفيـة لا تذكرها حتى يتحرك عليـك أسـباب ظهورهـا ، كالفتن والمرض وغيرهمـا ، والفاقة الأصليـة لا ترفعها العوارض وهي الصحـة والعافية[1] .

الشرنوبي :

إذا علمـت أن العـدم سـابق على وجـودك ، وأنَّ وجودك مفتقر إلى المَـدَد في كل وقت ، وإلا تلاشـى وانعـدم ، علمت أن فاقتك ذاتيـة لك ، وأنَّ الاضطرار لازم لوجـودك ، وأنَّ ورود الأسـباب كالفقـر والمـرض مذكِّـرات لـك بمـا خفي عليـك مـن الفاقـة الذاتية ، فـإن غالب النـاس يغفلـون عن الفاقـة الذاتيـة إذا دامـت عليهم صحـة أبدانهم وكثـرة أموالهـم ، والفاقة الذاتيـة لا ترفعهـا العـوارض كالصحـة والغنـى ، فالعبد محتـاج إلى اللـه تعالى دائمًـا وأبدًا ، وإذ لاحـظ العبـد ذلـك وقف عنده حـده[2] .



100

خيـر أوقاتـك وقـتٌ تشـهدُ فيـه وجـود فاقَتِـك ، وتُـرَدُّ فيـه إلـى وجُـودِ ذلَّتِـكَ

الرندي :

إنمـا كان ذلـك خيـر الأوقـات لوجـود حضـورك فيهـا مـع ربـك ، وانقطاع نظـرك عن الوسـائط والأسـباب الموجبـة لبعـدك وحجبـك ؛ فهـي لا محالـة خيـرُ أوقاتـك ، وهـي مواسـمك وأعيـادك[3] .

زرُّوق :

خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك ، ترجع فيه إلى مولاك على حكم ما أولاك ، من رخاء أو شدة بما يقتضيه كل منهما ، من غير تعريج على غيره أو تحقق بحالك ، وترد فيه إلى وجود زلتك ، فتسكن النفس عن الدعوى ، ويدوم وقوفها بباب المولى[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 201 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 143 ، 144 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 254) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 245 .

الشرقاوي :

خير أوقاتك أيها المريد الصادق وقت تشهد فيه وُجودَ فاقتك ، بأن يزوي عنك الدنيا وشهواتها ، وتُرَدَّ إلى فقرك ، وهذه خير الأوقات لوجود حضورك فيها مع ربك ، وانقطاع نظرك عن الوسائط والأسباب الموجبة لبُعدكَ عنه ، بخلاف الوقت الذي تشهد فيه وجود غِناك وعِزِّك فإنه شر أوقاتك[1] .

ابن عجيبة :

شهود الفاقة هو خير أوقاتك لوجهين : **أحدهما** : ما في ذلك من تحقيق العبودية وتعظيم شأن الربوبية . **والثاني** : ما في الفاقة من مزيد المدد وطلب الاستمداد ، فخير أوقاتك ما تشهد فيه ظهور فاقتك ، وهي الشدة ، فهي خير لك من ألف شهر إن عرفت فيها ربك ، فتقطع النظر عن التعلُّق بالأسباب ، وترجع فيها إلى مسبِّب الأسباب ، وتعلِّق همتك بربّ الأرباب[2] .

الشرنوبي :

خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فقرك إلى مولاك ، وتُرَدُّ فيه إلى وجود تذلُّلِكَ بين يدي من خلقك وسوَّاك ، وهذا خير أوقاتك لحضورك فيه مع الملك المجيد ، بخلاف الوقت الذي يشهد فيه غناه وعزَّه ، فإنه شر الأوقات ؛ لوجود الحُجب المانعة من الوصول إلى رب البرِيَّات[3] .



---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 98 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 208 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 144 .

متى أَوْحَشَك مِنْ خَلْقِه فَاعْلَم أَنَّه يُريد أن يَفْتَح لك بَاب الأُنْس بِه

الرندي :

فَتْحُ باب الأنس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس ، فإذا فَتَحَ لك هذا الباب استوحشت من الأغيار كلِّها ، وتحققت في أُنسك بربك ، ومعنى الوحشة هنا أن تشمئز بقلبك منهم ، وتنقبض عنهم بسرِّك ، ولا يكون للأشياء وقع عندك ، ولا تجد فيها مقنعًا لك ، فإذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه بمقام الأنس ، ونزوله في حضرة القدس[1] .

زرُّوق :

القلب لا يخلو عن شيء أو مقابله ، فإذا نفر من الخلق تعلق بالحق ، وإذا شهد فقرهم وجد الأنس بغنى مولاه ، فأقبل عليه بكلِّه كما أعرض عن الخلائق بكلِّه[2] .

ابن عجيبة :

هذه سنَّة الله تعالى في خلقه ، إذا أراد أن يُؤنس عبده بذكره ويتحفه بمعرفته ، أوحشه من خلقه ، وشغله بخدمته وألهمه ذكره ، حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار وتمكن من حلاوة الشهود والاستبصار ردَّه إليهم رحمة لهم ؛ لأنه حينئذٍ لقوّته يأخذ منهم ولا يأخذون منه[3] .

الشرنوبي :

متى أوحشك الله من خلقه ، بأن نفَّر قلبك من الاستئناس بهم ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به ؛ لتصير له وحده ، ومتى فتح لك هذا الباب صيَّرك من الأحباب ، وآنسك بالخطاب ، فاترك الأغيار في مرضاة العزيز الوهاب[4] .

★ ★ ★

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 255 ، 256) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 246 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 309 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 144 ، 145 .



102
متى أطلق لسانك بالطَّلب فاعلم أنه يُريد أن يُعصيك

الرندي :

إطلاق اللسان بالطلب هو أن يحلَّ عنه عقدة الصمت الذي أوجبه الاستغناء بالأغيار ، وعدم رؤية الفاقة والافتقار ، فإذا حلَّ عنه هذه العقد بشهود فقره وفاقته ، وأطلق لسانه بالطلب ، كان إذ ذاك داعيًا بلسان الاضطرار ، وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد بإجابة دعوة المضطر ، والله لا يخلف الميعاد[1] .

زرُّوق :

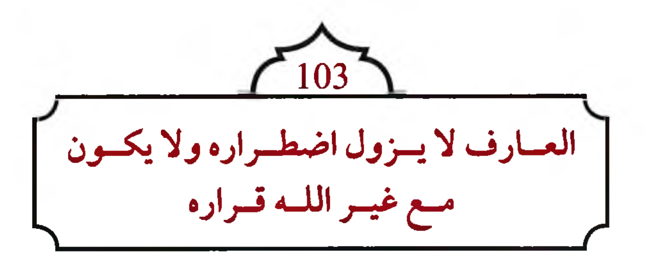
متى أطلق لسانك بالطلب على وجه العبودية أو غيرها إطلاقًا ضروريًّا ، فاعلم أنه يريد أن يُعطيك ما تريد كما يريد[2] .

ابن عجيبة :

الحق تعالى جعل الطلب سببًا من الأسباب ، فإذا أراد أن ينجز للعبد ما سُبق له فتح له فيه باب الطلب ، فإذا حصل منه الطلب حصل الذي قُسِم له في الأزل ، فمتى أطلق لسانك بالطلب لشيء تجلّى في قلبك أو احتجت إليه ، فاعلم أن الحق تعالى أراد أن يعطيك ما طلبت منه ، فلا تحرص ولا تستعجل فكل شيء عنده بمقدار ، فإن أطلق لسانك في الدعاء من غير سبب فخير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك كما تقدم[3] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 256) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 247 .
(3) إيقاظ الهمم : (1 / 210 ، 211) .



103
العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره

الراندي :

معرفة العارفين هي معرفتهم بأنفسهم ، وبما هي عليه من الفاقة والافتقار إلى العزيز الجبَّار ، وبقدر ما يتحققون بذلك من أنفسهم تكون معرفتهم بالله - عزَّ وجل - فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار[1] .

زرّوق :

العارف لا يزول اضطراره ؛ لتحققه بفقره ، ولا يكون مع غير الله قراره ، لاستيحاشه مما سواه ، فهو مستأنس الجنان بقربه ، منطلق اللسان بذكره[2] .

الشرقاوي :

العارف لا يزول احتياجه ، بل هو دائم مستمرٌّ لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ، ولمعرفته بنفسه ، وبما هي عليه من الفاقة ، وتحققه بذلك في كل نفس ، بخلاف غيره ، فإنه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار ، ولا يركن ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الأشياء ، ونفوره بقلبه منها[3] .

ابن عجيبة :

أما وجه كونه لا يزول اضطراره فلتحقق قيومية الحق به ، فحس العبودية لا يقوم إلا بمعنى الربوبية ، فبقدر تحقق العبد بقيومية الربوبية يشتد اضطراره في ظاهر العبودية ، وأما وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره ، فلأن قلب العارف رحل إلى الله من الكون بأسره فلم تبق له حاجة إلى غيره[4] .

الشرنوبي :

العارف بالله لا يزول اضطراره وافتقاره إلى مولاه ، فإنه بِقَدْرِ معرفته لنفسه بالذل والافتقار ، يعرف ربه بالعز والعظمة والاقتدار ، وأما غير العارف من العامة ،

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 257 - 258) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 248 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 100 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 211 ، 212 .

فإن اضطرارهم إنما يكون عند مُثيرات الأسباب من الفقر والمرض ، ومتى زالت زال اضطرارهم ، فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة ، لعلموا أن اضطراراهم إلى الله تعالى دائم ، ومن أوصاف العارف أيضًا أنه لا يكون مع غير الله قراره[1] .

104

أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ، ولذلك قيل :

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

الرندي :

أنوار الظواهر التي أنارها الحق تعالى ، هي : الإدراكات ، والإحساسات ، والحركات التي اتصف بها ظاهر العبد ، **وأنوار السرائر هي** : المعارف ، والعلوم ، ولطائف الإدراكات والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسرُّه ، فأنوار الظواهر متعلقة بأنوار الآثار الحادثات ، وأنوارها معانيها واللطائف المستكنَّة فيها ، وأنوار السرائر متعلقة بأنوار الصفات الأزليات ، فما غاب من الأنوار هو ما تعلق بالحادث الفاني ، وما لا يغيب من الأنوار ما تعلق بالقديم الباقي[2] .

زرُّوق :

أنار الظواهر بأنوار آثاره ، التي هي الإحساس المستفاد من آثار الأفعال ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ، التي هي المعارف الإيمانية والحقائق اليقينية ، فأعظم المنة ظاهرًا وباطنًا ، إلا أن الظواهر موقوف وجودها على الأفعال ، وهي حادثة ، والسرائر مستفاد نورها من تجلي الأوصاف وهي قديمة ، لأجل ذلك غابت أنوار الظواهر بالفناء والزوال ، وانقضت بانقضاء الوقت والنظر الحاضر ، ولم تغب أنوار القلوب والسرائر ، هي ثابتة في دار الآخرة الأبدية ، لا انقضاء لها أبد الآبدين ، فكان ثبات كلٍّ وزواله بحسب متعلقه[3] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 146 ..

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 258 ، 259) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 249 .

الشرقاوي :

المُكوَّنـات من السـموات والأرضين ، أنارها بالشـمس والقمر والنجـوم ، التي هي آثار لأوصافـه مـن قـدرة وإرادة وغيرهمـا ، فتلـك الظواهر مكشـوفة لنـا بأنوار الكواكـب فنأخذ منهـا مـا ينفـع ، ونحترز عمـا يَضـرُّ ، وأنار السـرائر ، وهـي باطن القلـب ، بالعلـوم العرفانية والأسـرار الربانيـة الناشـئة عن تجلِّـي أوصافه على قلـوب العارفين ، فكـون الظواهر أنارت بأنـوار آثـاره فهـي ناشـئة عـن الحـادث ؛ ولذلك غابـت وذهبـت ، والسـرائر أنـارت بأنوار أوصافـه فهي ناشـئة عـن القديم فلـم تغب وتذهـب [1] .

ابن عجيبة :

أنـوار الظواهـر : هـي ما ظهـر علـى تجليات الأكـوان مـن تأثير قدرتـه وإبـداع حكمته كتزييـن السـماء بالكواكب والقمر والشـمس ، وكتزيين الأرض بالأزهـار والنبات ، وكتزيين الإنسـان بالبصر والسـمع وسـائر ما فيه مـن عجائب الصنعـة ، وأنوار الأوصـاف هي العلوم والمعـارف والأسـرار ، **والمـراد بالأوصـاف** أوصـاف الربوبيـة كالعظمـة والعـزة والجـلال وغيـر ذلـك مـن أوصاف الـذات العليـة ، فإذا أشـرقت السـرائر بأنـوار معرفـة الصفات فقد أشـرقت بأنـوار معرفـة الـذات ، والفرق بين أنـوار الظواهر وأنوار السـرائر أن أنـوار الظواهر هـي أنـوار الأثـر ، وهـي تتغيـر فغابـت بالغـروب والعـدم ، ولـم تغب أنـوار القلـوب وهي أنـوار الإسـلام والإيمان ، وأنوار السـرائر وهـي أنوار الإحسـان [2] .



الرندي :

إذا علم أن الله تعالى رحيم به ، ومتعطف عليه ، وناظر إليه ، فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يكترث بذلك ولا يباليه ، فإنه لم يتعوَّد منه إلا خيرًا له ، فَلْيُحْسِن به ظنه ، وليعتقد أن ذلك اختبار له ، وأنّ له في ذلك مصالح خفيَّة لا يعلمها إلا هو [3] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 100 ، 101 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 212 ، 214 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 260) .

زرُّوق :

اللـه جميـل الوصـف كريم الفعـل لا يقصد ألـم عبده إلا لمصلحـة له فضـلًا ومنًا ، لا أنـه يجـب عليـه ذلـك ، وكمـا عـودك ما تحـب فاصبـر له على مـا يحـب ، فالـذي واجهتك منـه الأقـدار بمـا لا تريـده من الأمـور ، هو الذي عودك حسـن الاختيـار على مر الدهـور[1] .

الشرقاوي :

استحضارك أنـه سـبحانه هـو المُبْلِـي دون غيـره ، وأنه أعلـم بمصالحك من نفسـك ، فـإن ذلك سـببٌ فـي تسـلِّيك وتسـليمك ووجـود صبـرك ؛ لأن الـذي واجهتك منـه الأمور المقـدورة عليـك مـن المـرض وذهـاب المـال والولـد ونحوهـا ، هو الـذي عـوَّدك اختيار الأمـر الحسـن الـذي يلائمـك ، فعلى العبـد أن يُحْسِـن ظَنَّـهُ باللـه ، ويعتقد أن ذلـك اختيار لمـا فيه مصالـح خفيـة لا يعلمها إلا اللـه[2] .

ابن عجيبة :

إذا أصابتـك أيهـا الإنسـان مصيبـة ، فاذكـر أن مـن أنـزل ذلـك عليك متصـف بالرحمة والرأفـة بـك والمحبة والعطف عليـك ، فالذي واجهتك منـه الأقدار هو الذي عوّدك حسـن الاختيـار ، فالـذي واجهتـك منه ظواهـر المحن هو الذي أسـبغ عليـك بواطـن المنن[3] .

الشرنوبي :

علمـك بأنـه سـبحانه هـو المبلـي لـك ، يخفـف البـلاء عنـك ، فـإن الـذي واجهتـك منـه الأمـور المقـدرة عليـك مـن مـرض ونحـوه ، هـو الـذي عـوّدك اختيـار الأمر الحسـن الـذي يلائمـك ، فاتهـم نفسـك إذا ظننـت خـلاف ذلـك ، وسـلِّم الأمر تَسْـلَمْ ، فـإن مولاك بمصالحـك منـك أعلـم[4] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 253 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 102 ، 103 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 216 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 148 .



106
مـن ظـن انفـكاك لطفـه عـن قـدره فذلـك لقصـور نظـره

الرندي :

قصور النظر في عدم رؤية اللطف في القدر إنما هو من ضعف اليقين ، وقلَّة حسن الظنِّ بالمقدِّر الحكيم ، ولو كمل نظر العبد وقوي بصره لرأى في ذلك من الفوائد ما لا يُحصى[1] .

زرُّوق :

مَـنْ ظـن انفـكاك لطفـه عـن قـدره فذلـك لقصـور نظـره فـي العقليـات والعاديـات والشـرعيات ، أمـا العقليـات فمـا مـن بـلاء إلا والعقل قـاضٍ بإمكان مـا فوقـه ، فالاقتصار علـى مـا دون المقـدور عليـه لطـف ، وأمـا العاديـات فمـا وجـدت قـط بليـة لشـخص إلا وجـد مـا هـو أعظم منهـا بغيره ، وأمـا الشـرعيات ، فما مـن بليـة إلا وهي مكفرة مـن ذنوب صاحبهـا ، أو موجبـة لـه ثوابًـا ، وهـي كلهـا تحملـه على شـكرٍ أو صبـرٍ[2] .

الشرقاوي :

مـن ظـن انفـكاك لطفـه عمَّـا قـدَّره اللـه عليـه مـن البلايـا والمحـن ؛ فذلـك لقصـور نظـره ؛ إذ لـو كمـل نظـرُهُ لوجـد نفسـه قـد حصـل لـه فـي تلـك البلايـا ألطـاف كثيـرة ، منهـا إقبالـه علـى المولـى بتلـك البليَّـة[3] .

ابن عجيبة :

من أعظم إحسان الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره ، فما نزل القدر إلا سبقه اللطف وصحبه ، وبهذا حَكَمَ النقل والعقل ، أما العقل فما من مصيبة تنزل بالعبد إلا وفي قدرة الله ما هو أعظم منها ، فإذا نزلت بك مصيبة فاذكر من هو أعظم منك بلاء ، وأما من جهة النقل فقد ورد في ثواب الأمراض والأوجاع آيات وأحاديث في مدح الصابرين[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 262) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 255 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 103 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 217 .

الشرنوبي :

مـن ظـن انفـكاك لطفـه تعالـى ، وتخلُّفـه عـن قـدره الـذي قـدَّره عليـه ، وأنزلـه به من البلايـا والمحـن ، فذلـك الظـن إنما حصل لـه لقصور نظره الناشـئ عن ضعـف اليقين ، فإن العارفيـن يشـهدون المِنَـنَ فـي المِحَـن ، والعطايا فـي البلايا[1] .



107

لا يُخـاف عليـك أن تلتبس الطـرق عليك ، وإنما يُخاف عليـك من غلبة الهـوى عليك

الرندي :

الطريـق إلـى اللـه تعالـى واضحة لائحـة ؛ لأن الحـق تعالى هو الـذي تولَّى ذلـك ، وبه أنـزل الكتـب وأرسـل الرسـل ، ونصب عليـه الأدلـة والبراهين ، فـلا يخاف علـى العبد من التباسـها عليـه ، وإنمـا يخـاف من غلبـة الهوى عليـه حتى يعميـه ذلك عن ربـه[2] .

زرُّوق :

لا يخـاف عليـك أن تلتبـس الطريـق عليـك ، وفـي ذلـك لا تـدري مـا يمسـك فـي ذلـك : الشـكر اعتبـارًا أو الصبـر اعتبـارًا بحكمـه ، وإنمـا يخـاف عليـك مـن غلبـة الهـوى عليـك ، الحامـل علـى وجـود الشـفقة على النفـس والرفق بهـا حتى يـؤدي إلى الضجـر[3] .

الشرقاوي :

لا يخاف عليك إذا كنت متلبسًا بحال من الأحوال ، كطاعة ، أو معصية ، أو نعمة ، أو بلية ، أن تلتبس عليك طرق العبودية التي توصلك إلى ربك عند تلبسك بحال من تلك الأحوال ؛ لأن الشريعة مُبَيِّنَةٌ لذلك ، وإنما يخاف عليك في هذه الأحوال من غلبة الهوى عليك حتى يعميك من رؤية طريق قصدك ، بأن تُعجبَ بالطاعة وتُصِرَّ على المعصية[4] .

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 148 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 272 ، 273) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 256 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 104 .

ابن عجيبة :

لا شك أن الله سبحانه بيَّن لنا طريق الوصول على لسان الرسول ﷺ ، فبيَّن لنا أعلام الشريعة ومنار الطريق وأنوار الحقيقة ، فلا يخاف عليك أيها المريد أن تلتبس الطرق الموصلة إلى الله تعالى ؛ لأنها في غاية الوضوح ، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى فيصمَّك ويعميك[1] .



108

سبحان من ستر سِرَّ الخصوصيَّة بظهور البشرية ، وظهر بعظمة الرُّبوبيَّةِ في إظهار العُبُوديَّة

الرندي :

سرّ الخصوصية : هو حقيقة المعرفة التي اختُصَّ بها أهل ولاية الله تعالى ، وذلك لما جعله فيهم من التهيؤ والقابلية ؛ فمن لطيف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون . ثم إنَّ من حقيقة ظهور البشرية الافتقار والاحتياج ، وذلك هو حقيقة التألُّه والتعبّد ، وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت من وراء حجاب العبودية[2] .

زرّوق :

سبحان من ستر سر الخصوصية التي هي المعرفة والولاية ، بظهور صفات البشرية التي هي الفقر والذل والضعف المُحَقق لغنى المولى ، وظهر بعظمة الربوبية التي دلائلها وشواهدها مثبوتة في إظهار وصف العبودية ، فبقدر ما يظهر على العبد من آثار الأوصاف الدالة على عجزه وفقره وذله وضعفه يتبين وجود غنى الحق وعزه وقدرته ، فبقدر ظهور آثار البشرية يقع سر الخصوصية ، ومن ظهور البشرية يتحقق وصف العبودية[3] .

---

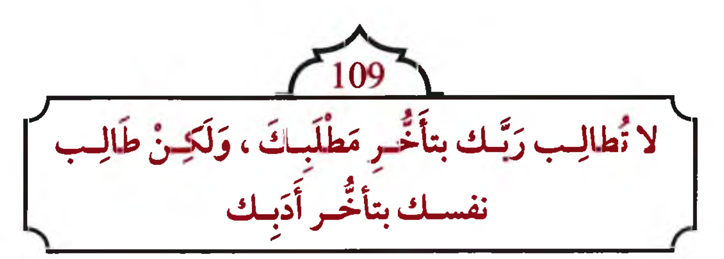
(1) إيقاظ الهمم : ص 218 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 273) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 257 .

الشرقاوي :

سبحان من ستر العلوم والمعارف والأسرار الإلهية التي يعطيها الله لأوليائه ، يفيضها على قلوبهم بظهور الأحوال التي تعرض للبشر ، والأمور الدنيوية التي يتعاطاها الناس ، فإن بعض الأولياء قد يكون حَمّارًا أو خَوّاصًا أو حيَّاكًا ، فلا يعرفه غالب الناس ليستر خصوصيته بهذه الصنعة ، وقد يظهر الله تعالى آثار الخصوصيات على بعض الناس لِيَتكمَّلَ بهم غيرهم ، وظهر للعباد بربوبيته العظيمة في إظهار آثار العبودية عليهم ، التي تقتضي افتقارهم للرب[1] .



الرندي :

إذا دعوت ربَّك وسألت منه مطلبًا من المطالب ولم تظهر لك الإجابة ، حَسِّن به ظنك ، ولا تطالبه بالوفاء بذلك ، فإنه يفعل ما يشاء لا يُسأل عمَّا يفعل ، ولكن طالب نفسك بتأخر أدب ، فإنها أهل المطالبة[2] .

زرُّوق :

لا تطالب الرب بتأخر مطلبك ، وهو وجود الخصوصية ؛ إذ لا تستحق عليه شيئًا بطلبك ، ولكن طالب نفسك بتأخير أدب ، وهو التحقق بالعبودية بامتثال أمره والاستسلام لقهره[3] .

الشرقاوي :

لا تعترض على ربك وتسيء الظن به بسبب تأخر ما طلبته منه باطنيًّا كان كالخصوصيات ، أو ظاهريًّا كالأغراض الدنيوية ، إن لم يسرع لك الإجابة ، ولا تطالبه بالوفاء بذلك ، ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك حيث طلبت منه إسراع إجابتك[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 105 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 274) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 258 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 106 .

الشرنوبي :

إذا دعوت ربك وطلبت منه شيئًا من الأشياء ، ولم تظهر لك الإجابة ، فلا تعترض عليه ، وتسوء الظن به بسبب تأخر ما طلبته منه ، ولكن طالب نفسك واعترض عليها بسبب تأخر أدبك ، فلو تقدم الأدب لما تأخر المطلب ، ومن أدبك في الطلب عدم طلب الإجابة ، فإن الطالب إنما يقصد بدعائه إظهار العبودية فقط[1] .



110

متى جعلك في الظاهر مُمْتَثِلًا لأمره ، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره ، فقد أعْظَم المِنَّة عَلَيْك

الرندي :

هذان الأمران هما اللذان يلزمانك في إقامة العبودية لربك لا غير ، فمتى يَسَّرهما الله تعالى لك ، وأقامك في مراعاة أحكامهما ، ووفقك لذلك فقد أعظم المنَّة عليك ، فلماذا تتشوف ؟! وما الذي تلتمس بعدهما إن كنت عبدًا حقيقيًّا ؟![2]

زرُّوق :

ومتى جعلك في الظاهر ممتثلًا لأمره من حيث هو عبودية له أو تصديق لوعده ، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره رضًا بفعله أو تفويضًا له في حكمه ، فقد أعظم المنة عليك ؛ إذ أراح ظاهرك من مخالفته ، وباطنك من الاعتراض عليه ومنازعته[3] .

الشرنوبي :

متي زيَّن الله ظاهرك بالتقوى ، وهي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وباطنك بالاستسلام ، أي : بالانقياد لقهره مع الرضا والصبر على المصيبات ، فقد أعظم النعمة عليك ، فإنه لا درجة أعلى من التَّقَلُّب في عبودية الظاهر والباطن[4] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 148 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 275) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 259 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 151 .



111

لَيْس كُلُّ مَـنْ ثبـت تخصيصـه كمـل تخليصُـهُ

الرندي :

التخصيـص : أن يُظهِـر الحـق تعالـى علـى بعـض عبـاده أثرتـه ، وعنايته ، وتوليـة لطفه ورعايتـه ؛ فمنهـم مـن يسـتمر له ذلـك حتى يتحقـق بالعرفـان ، ويتخلّص عن رؤيـة الأغيار والأكـوان ، ومنهـم مـن يُوقفـه عـن بلـوغ ذروة الكمـال ، وهـؤلاء لـم يتخلصـوا مـن رؤيـة أنفسـهم ، ولـم ينفكـوا عـن مراعاة حظوظهـم[1] .

زرُّوق :

ليـس كل مـن ثبـت تخصيصـه بالخصائـص مـن الكرامـات والعلـوم وغيرهـا ، كمـل تخليصـه مـن العلـل والآفـات ونحوهـا[2] .

ابن عجيبة :

ليـس كل مـن ثبت تخصيصـه بالكرامـات كمل تخليصـه مـن العوائد والشـهوات ، بل قـد يُعطـى الكرامة الحسـية بعـض من لـم يتخلص مـن حظوظه النفسـية[3] .

112

لا يستحقر الوِرْدَ إلا جَهُولٌ ؛ الوَارِد يوجد في الدَّار الآخرة ، والوِرْد ينطوي بانطواء هذه الدَّار ، وأوْلى ما يُعتنى به ما لا يُخلف وجوده ، الوِرْدُ هو طالبُهُ منك ، والوَارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبُهُ منك مما هو مطلبك منه ؟

الرندي :

الـورد : عبـارة عمـا يقع بكسـب العبد مـن عبادة ظاهـرة أو باطنـة ، **والـوارد** : هو الذي يـرد علـى باطـن العبد مـن لطائـف وأنـوار فينشـرح بها صـدره ، ويسـتنير بهـا قلبه وسـرّه .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 276) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 260 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 223 .

فالـورد : مـا مِـن العبـد للحـق تعالى مـن معاملـة وعبوديـة ، **والوارد** : مـا من الحق سبحانه وتعالـى للعبـد مـن لطـف وكرامـة ، والـورد أحـقّ مـا يعتني بـه العبـد ويراعيـه من الـوارد ، لوجهيـن : **أحدهمـا** : أن الـورد مختـص بهـذه الدار لا يقـع إلّا فيهـا ؛ فهو منقطـع بانقطاعها وفـانٍ بفنائهـا ، فينبغـي للعبـد أن يسـتكثر من الأوراد قبـل فواتهـا ، **الثاني** : أن الـورد هو حق الحـق منـك ، والـوارد هـو حظك منـه ، وقيامُـك بحقوقه عليـك أولـى وأليـق بالعبودية من طلـب حظوظـك ووقوفك معهـا[1] .

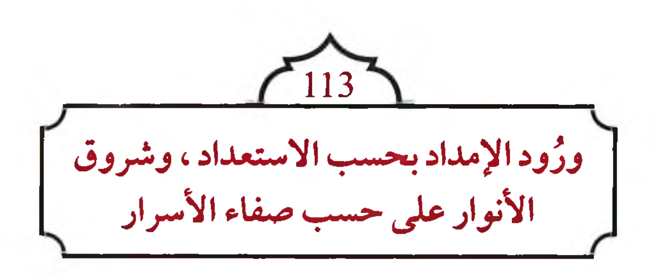
زرُّوق :

لا يسـتحقر الـورد الـذي هـو إقامـة الطاعـة فـي الأوقـات إلا جهـول بحـق ربـه وبحظ نفسـه ؛ لأنه اسـتحقر مـا عظَّمَ مـولاه ، ولـم يعمل في أسـباب نجاتـه وفوزه ؛ إذ الـوارد الذي هـو ثـواب الـورد وثمراته يوجد فـي الدار الآخرة حسـب ما جاء بـه الوعد الصـدق ، والورد الـذي بـه حصـول الـوارد ينطـوي بانطـواء هـذه الـدار ، فبحسـب انطوائـه انطـواء ثمرتـه ؛ إذ زيادتهـا زيـادة فيـه ، ونقصانهـا نقـص فيـه وهـو لا يخلـف ، وأولـى مـا يعتني بـه ويجهد فـي تحصيلـه مـا لـم يخلـف وجـوده لفواته ، وذلـك كل وقـت ونفس مـن أوقات مـن العبد وأنفاسـه ، والـورد هـو حقـه عليـك ، والـوارد هـو حظك منـه ، وأين مـا هو طالبـه منك من حقـه الواجـب وأمره الـلازم ، مما هـو مطلبك منه من حظـك الناقص وغرضـك القالص ؟ قضـاء اللـه أحق وشـرط الله أوثـق[2] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 282) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 263 ، 264 .



113

ورُود الإمداد بحسب الاستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار

الرندي :

وورود المــوارد الإمداديـة من الله على قلب عبده بحســب القوة الاســتعدادية المجعولة فيـه ، وشــروق الأنـوار اليقينيـة على حسـب صفاء سـرّه مـن كدر التعلـق بالآثـار ، والركون إلـى الأغيار(1) .

زرُّوق :

وورود الإمـداد من ثواب وغيره ، بحسـب الاسـتعداد مـن إقامة ورد ونحـوه ، فمن كمل اسـتعداده حصـل مـراده ، وشـروق الأنـوار اليقينيـة الإيمانيـة علـى حسـب صفاء الأسـرار القلبيـة ، وصفـاء الأسـرار القلبية على قـدر الأغيـار بحسـب الأوراد والأذكار(2) .

الشرقاوي :

وورود الإمـداد مـن اللـه تعالى على عبده بحسـب اسـتعداد العبـد بتطهير قلبـه وملازمته لـورده ، فالـوارد تابـع للـورد كيفًـا وكمًّـا ودوامًـا ، فـإن كان الـوِرْدُ كامـلًا بـأن بـرز من قلب صـافٍ كان الـوارد مثلـه ، أو ناقصًا كان مثلـه ، وإن كان كثيرًا كان الوارد كثيرًا ، وإلا فبحسـبه ، وشـروق أنـوار اليقين والعرفان حسـب صفـاء الأسـرار من كَـدَر التعلُّق بالآثـار(3) .

ابن عجيبة :

المـراد بالإمـداد : أنـوار التوجـه للسـائرين ، وأنوار المواجهـة للواصلين ، فهـي تتوالى على قلوب العباد بحسـب التأهب والاسـتعداد ، فبقـدر المجاهدة تكون المشـاهدة ، وبقدر التخليـة تكـون التحليـة ، وشـروق أنـوار المعـارف في أفق سـماء القلـوب يكـون على قدر صحوهـا من سـحب الآثـار وغيم الأغيـار وغين الأنـوار(4) .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 286 ، 287) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 266 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 110 ، 111 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 230 .



الرندي :

أول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده ، فالغافل إذا أصبح أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل إلى نفسه ، **فيقول** : ماذا أفعل اليوم ؟ فهو مشتغل بتدبير نفسه ، مصروف عن النظر إلى مولاه لغفلته ، والعاقل أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل إلى الله تعالى ، **فيقول** : ماذا يفعل الله بي ؟ فهو ناظر إلى الله تعالى لوجود عقله ودوام يقظته[1] .

زرُّوق :

الناس قسمان : غافل وعاقل ، فالغافل إذا أصبح نظر فيما يفعل من أمور دينه ودنياه ، فإن فاته مقصوده تكدرت حاله وتغير مزاجه ؛ لاستشعاره فوات المقصود بفوات سببه ، وذلك من اعتماده على عمله فهو نقص دائم مع ظنه الكمال ، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به تكليفًا فيطلبه وتعريفًا فيرضى به ويستسلم له ، فهو لا يعامل وقته إلا بما اقتضاه أمره[2] .

الشرقاوي :

الغافل عن التوحيد وأنَّ كل شيء بقضاء الله وقدره ، إذا أصبح ينسب أفعاله إلى نفسه **فيقول** : ماذا أفعل في هذا اليوم مثلًا ؟ **والعاقل** : أي المستيقظ الذي لا يغفل عن التوحيد ، ولا يغيب عنه أن كل شيء بقضاء الله وقدره ، وينسب أفعاله كلها إلى الله تعالى ، **فيقول إذا أصبح** : ماذا يفعل الله بي في هذا اليوم مثلًا ؟[3] .

ابن عجيبة :

الغافل هو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان ، وإذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه ، فهو ناظر لفعله معتمد على حوله وقوته ، فإذا أفسخ القضاء ما أبرمه سخط وقنط فنازع ربه وأساء أدبه فلا جرم أنه يستحق من الله البعد ، والعاقل هو العارف بالله ولو قلَّ له ذكر اللسان ، فإذا أصبح نظر ماذا يفعل الله به فيتلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 287) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 267 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 111 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 230 ، 231 .

الشرنوبي :

الغافل عن الله تعالى إذا أصبح فأول خاطر يرد عليه نسبةُ الفعل إلى نفسه ، **فيقول** : ماذا أفعل اليوم ؟ فهو جدير بأن يَكِلَه الله تعالى إلى نفسه ، وأما العاقل فأول خاطر يرد عليه نسبة الفعل إلى الله تعالى ، **فيقول** : ماذا يفعل الله بي ؟ لدوام يقظته ، فهو جدير بأن يوفقه الله لأحسن الأعمال ، ويرشده لأصلح الأحوال[1] .

115

إِنَّما يَسْتَوْحِش العُبَّاد والزُّهَّاد من كلِّ شيء ؛ لغَيْبتهم عَنِ الله في كلِّ شيء ، فَلَوْ شهِدُوه في كلِّ شيء لم يَسْتَوْحشوا من شيء

الرندي :

العبَّاد والزهاد في حجبهم عن ربهم ينظرون لنفوسهم ومراعاة حظوظهم ، فهم يفرّون من الأشياء ويستوحشون منها ؛ لأنها موجودة في نظرهم ، والزهد في المزهود شاهد له بالوجود[2] .

زرُّوق :

العباد عاملون على التحصيل ، فهم مستوحشون من الخلق ؛ لاستشعارهم فواته بمخالطتهم لأحد وجوه ثلاثة : الاشتغال بمعالجة أمرهم ، ونَظَر النفس لما يجري من قِبَلهم ، ونقص العمل بما يقع منهم إقبالًا وإدبارًا في جهتهم ؛ إذ يمنعون من العبادة أو يشغلون عن كمالها فيدخل بسببهم النقص عليها . والزهاد عاملون على السلامة فيستوحشون من الخلق لما يخشونه من دخول العلل والآفات عليهم ، كالتلون في الحال ، والتقصير في العمل ، وكل ذلك من رؤية النفس والخلائق في النفي والإثبات وهو علامة خلو القلب من مشاهدة الحق بالخلق ، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء بل كانوا يستأنسون بكل شيء[3] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 153 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 292) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 269 .

الشرقاوي :

إنما استوحش المتوجهون إلى الله بطريق العمل ، والمتوجهون إلى الله بطريق التوكل من كل شيء ، فكل من الطائفتين يفرُّ من الخلق لكونهم قاطعين عن الله ، وذلك لأنهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم ، فيفرون من الأشياء ويستوحشون منها ؛ لأنها موجودة في نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم أغراضهم ، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء من الأشياء ؛ لرؤيتهم له حينئذ ظاهرًا في الأشياء كلها فيشغلهم ذلك عن رؤيتهم لنفوسهم[1] .

ابن عجيبة :

العباد : هم الذين غلب عليهم الفعل ، فهم مستغرقون في العبادة الحسية يقومون الليل ويصومون النهار ، شغلهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود ، فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم ، والزهاد هم الذين غلب عليهم الترك فهم يفرون من الدنيا وأهلها ، ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه وحجبوا عن الله فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله فيها ، ولو عرفوا الله في كل شيء ما استوحشوا من شيء ، ولأنسوا بكل شيء وتأدبوا مع كل شيء[2] .

الشرنوبي :

إنما ينفر العباد من كل شيء يقطعهم عن الله ، بغيبتهم عن الله في كل شيء ؛ لكونهم محجوبين عنه تعالى برؤية أنفسهم ، ومراعاة حظوظهم ، فإن الزهد في المزهود شاهد له بالوجود ؛ ولذا فرُّوا من الأشياء ، واستوحشوا منها مخافة أن تُفَوِّت عليهم مقاصدهم ؛ فلو شهدوه في كل شيء كما شهده العارفون ، لم يستوحشوا من شيء[3] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 112 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 233 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 155 .



أَمَرك في هذه الدَّار بالنَّظر في مُكوَّناته ، وسَيَكْشِفُ لك في تلك الدَّار عن كمال ذاته

الرندي :

رؤية العُبَّاد لربّهم - عزّ وجل - على حسب تجلّيه لهم ، ففي هذه الدار يرونه ظاهرًا في المكوَّنات بأنوار بصائرهم لِما تجلّى لهم من وراء حجابها ؛ ولذلك أمَرَهم بالنظر فيها ، وفي الدار الآخرة يرونه معاينة بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع[1] .

زرُّوق :

تراه في تلك الدار بالباصرة كما رأيته في هذا الدار بالبصيرة ، وذلك بقدر قوة المعرفة ، ومقوياتها مشاهدة المختلفات من أفعال الخلق ، ولذلك اختار الأكابر من العارفين سكنى المدن العظام التي يشاهد فيها الآثار الغريبة والمختلفة كثيرًا ، ومن تأمل ذلك وجده واضحًا[2] .

ابن عجيبة :

إنما أمرك في هذه الدار أن تنظر إليه بواسطة مكوَّناته ؛ لأنك لا تقدر هنا أن تنظر إلى حقيقة ذاته المقدسة في عظمة الجبروت الأصلي بلا واسطة لضعف نشأتك ، وأما الرؤية التي تحصل يوم المزيد فيحتمل أن يُظْهر لهم نورًا من أنوار قدسه ويلهمهم المعرفة فيه ، أو يفنيهم عن حسهم في ذلك الوقت حتى يشهدوا معاني الذات ويتلذذوا برؤيتها[3] .

الشرنوبي :

أمرك مولاك في هذه الدار الدنيا بالنظر في أكوانه ؛ لتراه بنور بصيرتك ظاهرًا فيها من وراء حجاب هو هي ، وسيكشف لك مع عامة المؤمنين في تلك الدار الآخرة عن كمال ذاته ، فتراه بعين البصر ، فإن رؤيته تعالى من الأمر الجائز[4] .



(1) غيث المواهب العلية : (1 / 292) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 271 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 234 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 155 .



117

عَلِمَ مِنْكَ أَنَّك لا تصْبِرُ عَنْهُ ، فأشهدك ما برز مِنْهُ

الرندي :

أكرم الله تعالى عبده ؛ لعلمه بعدم صبره عنه ، بأن أشهده ما برز عنه من الآثار والأكوان ؛ تسلية له بالأثر عن النظر[1] .

زرُّوق :

علم منك أنك لا تصبر عنه ؛ لما أنت عليه من الاحتياج ، وما هو عليه من الكمال ، فأشهدك ما برز منه ؛ إذ لا وصول إليه إلا به[2] .

الشرقاوي :

علم منك أنك لا تصبر عن مشاهدتك له كما هو شأن المُحِبِّ ، فإنه لا يصبر عن رؤية محبوبه ، لكن رؤيتك له في هذه الدار من غير حجاب متعذِّرة ، فأشهدك ما برز منه الآثار والأكوان[3] .

ابن عجيبة :

لما فصّل الحق سبحانه هذه الروح ، التي هي لطيفة نورانية من أصلها وتغرّبت عن وطنها ، تعشقت إلى أصلها وتعطشت إلى محبة سيدها ، فلما علم الحق سبحانه أنها لا تصبر عنه ، ولا تقدر أن تراه على ما هو عليه من كمال جلاله ، ونور بهاء جماله مادامت في سجن البدن ، أشهدها الحق تعالى ما برز منه من تجلِّياته في مظاهر مكوّناته وآثار صفاته[4] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 293) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 272 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 113 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 236 .



لمَّا علم الحق منك وجود الملل لوّن لك الطَّاعات ، وعلم ما فيك من وُجود الشَّرَهِ فحجرها عليك في بعض الأوقات ؛ لِيكُون هَمُّك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كُلُّ مُصلٍّ مقيمًا

الرندي :

تلوّن الطاعات لوجود الملل ، وتحجرها في الأوقات لوجود الشره : وهو مجاوزة الحدّ في التسارع إلى العمل والحرص عليه ، نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده ، فإن الملل والشره فتنتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته ، والملل تكرّهٌ يعرض للإنسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم ، فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالًا له ، والذي يُوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات ، وعند وقوع الشره يقع التقصير ؛ فلذلك عيّن لها أوقاتًا تقع فيها ،وأوقاتًا لا تقع فيها ، وذلك هو معنى (تحجيرها) في الأوقات ، فإن كان الملل والشره واقعين في الصلاة لم يكن الآتي بها مقيمًا لها ؛ لوقوع التقصير منه فيها ، ولم يُؤمر إلا بإقامة الصلاة ، لا بوجود صورة الصلاة[1] .

زرُّوق :

الملل : ثقل في النفس عن العمل من الإكثار ، **والشره** : خفة تدعو للإكثار والتعجيل ، ثم هي داعية الملل ، فلما كانت الأعمال متلونة انتفى الملل بالاستراحة من لون إلى لون فيها . ولما كان لكل عمل وقت انتفى الشره بالحجر ؛ لتكون همتك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة ؛ لأن ذلك هو المقصود منك ، فما كل مصل مقيمًا ، ولا كل مقيمٍ مقيمٌ ولا كل عامل مستقيم[2] .

الشرقاوي:

لمَّا علم الحق سبحانه منك وجود السآمة من ثقل العمل المؤدية إلى تركه ، نوَّع لك الطاعات رحمة بك ، ولو كانت من نوع واحدٍ لَسَئِمَتْ نفسك وتركته استثقالًا له ، بخلاف الأنواع المتعددة ، فإنها تستخفها ، وشأن النفس أن لا تدوم على حالٍ واحدٍ ، وعلم ما فيك من وجود مجاوزة الحدِّ في التسارع إلى العمل والحرص عليه ، فيؤديك إلى أن لا تأتي به على وجه الكمال ، فمنعها عنك في بعض الأوقات ، فجعل لكل طاعة

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 293 ، 294) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 273 ، 274 .

وقتًا مخصوصًا ، ولم يجعلها دائمة في جميع الأوقات لئلا يحصل منك شرَهٌ فيجرك إلى الترك ، والحاصل أن تلوين الطاعات لوجود الملل ، ومنعها في الأوقات حتى لا تشره ؛ ليكون همُّك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كلُّ مُصَلٍّ مقيمًا[1] .

ابن عجيبة :

لما علم الحق سبحانه أنه ربما يملّ من خدمة واحدة لوّن له طاعته ؛ لأن من شأن النفس أن تملّ من تكرر الشيء الواحد ، فلوَّن لك طاعته ، فإذا مللت من الصلاة مثلًا انتقلت إلى ذكره ، وإذا مللت من ذكره انتقلت إلى قراءة كتابه ، ومن دواعي الملل وجود الشره ، وهو الحرص ، وموجبه هو الإطلاق في العمل ، فلذلك قُيِّدت الطاعة بأعيان الأوقات ؛ لتشتاق النفس إليها وترتاح بها ، وليكون همُّك إقامة الصلاة وهو إتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة ، لا وجود الصلاة من غير إقامة ، فهي ميتة خاوية ، فهي إلى العقوبة أقرب[2] .



119

الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب ، واستفتاح لباب الغيوب

الرندي :

الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب ، كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ من قوله : « **إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب يمرّ بباب أحدكم يستحم فيه كل يوم خمس مرات ، فما ترون ذلك ؛ أيبقى من درنه شيئًا ؟** » ، واستفتاح لباب الغيوب ؛ لأن القلوب إذا طهرت وتزكَّت رفع عنها الحجب والأستار فرأت ما غاب عنها من الأسرار[3] .

زرُّوق :

الصلاة طهارة للقلوب من الذنوب ؛ إذ أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكفر السيئات ، وتفتح أبواب الغيوب بما فيها من التجليات[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 114 ، 115 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 237 ، 238 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 295) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 275 .

الشرقاوي :

الصلاة الحقيقية طهرة للقلوب من تكدرها بالآثار ، وتلونها بأقذار الأغيار ، ومن الأوصاف المبعدة لها عن مشاهدة العزيز الجبار ، والصلاة فتح لما غاب عنك من المعارف والأسرار ؛ لأن القلوب إذا طهرت رُفع عنها الأستار ، فرأت ما غاب عنها من أسرار[1] .

ابن عجيبة :

إنما كانت الصلاة مطهرة للقلوب من المساوي والعيوب لما فيها من الخضوع والانكسار والذل والافتقار ، فإذا خضع القلب لهيبة الجلال طهر من سائر العلل ، وإنما كانت الصلاة استفتاحًا لباب الغيوب ؛ لما اشتملت عليه من تطهير الظاهر والباطن[2] .

120

الصلاة مَحَلُّ المُنَاجاة ، وَمَعْدِنُ المصافاةِ ، تَتَّسِعُ فِيْها مَيَادِين الأسْرار ، وتُشْرِقُ فيها شَوَارِقُ الأنوارِ ، عَلِم وجُودَ الضَّعْف منك فَقلَّل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله فَكَثَّر أمدادها

الرندي :

الصلاة محل مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبار ؛ لأن فيها يكون الثناء والدعاء له ، وهي معدن زوال الأكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك ، فيصفو لك حينئذٍ شهوده ويمحو ذاتَك وجودُه ، والصلاة تتسع فيها ميادين الأسرار حتى تتكاثر عليك في الظهور ، وتشرق فيها شوارق الأنوار ، فيكون في قلبك نور على نور ، ومن فضل الله عليك أن قلل عددها ؛ لما علم من وجود ضعفك فجعل الخمسين خمسًا ثم جعل للخمس ثواب الخمسين[3] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 116 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 240 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 297 ، 298) .

زرُّوق :

الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة ؛ لأنها محل لقرب العبد من ربه والوقوف بين يدي مولاه بلا واسطة سوى ذكره ، والقيام بوظائف العبودية على المواجهة والمعاينة ، وتتسع فيها ميادين الأسرار ، وهي دقائق العلوم والمعارف ، وتشرق فيها شوارق الأنوار كذلك ، فهي الجامعة للعلوم والمعارف والإشارات والدقائق واللطائف ، وعلم وجود ضعف منك فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله فكثَّر أمدادها ، بأن جعل ثواب الخمس خمسين[1] .

الشرقاوي :

الصلاة محل مناجاة العبد لربه بإظهار صفاته الجميلة من رحمته للعباد وتربيته للعالمين ، ومعدن مصافاة العبد لربه بتوجهه إليه بكليته ، وتتسع فيها القلوب المُشبهة بالميادين للفرسان ، أي تنشرح بتوارد العلوم والمعارف عليها ، وتطلع فيها شوارق الأنوار المشبهة بالكواكب الشارقة ، ولما علم وجود الضعف منك ، جعل الخمسين خمسة ، وعلم احتياجك إلى فضله فجعل ثواب الخمسين في الخمسة[2] .

ابن عجيبة :

الصلاة محل مناجاة العبد ربه بالتلاوة والأذكار ، ومناجاة الرب لعبده بالتفهم والفتح ، وهي معدن المصافاة ، والمصافاة خلوص المناجاة من تشويش الحس وكدر الهواجس ، فهي أرق وأصفى من المناجاة ، وهذه مصافاة العبد لربه ، ومصافاة الرب لعبده بالإقبال عليه حتى لا يدعه لغيره ، وفيها تتسع ميادين الأسرار ، وتشرق فيها شوارق الأنوار ، ومن لطفه سبحانه بك أيها الإنسان قلَّل أعدادها مع سعة الزمان ، وكثَّر أمدادها ، أي الجزاء الذي رتب عليها ، فجعل كل صلاة بعشر ، فهي خمس وهي خمسون في الثواب[3] .



---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 277 ، 278 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 118 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 241 : 243 .



121

متى طلبت عوَضًا على عَمَلٍ طُولبت بوجود الصِّدق فيه ، ويكفي المُريب وجدان السلامة

الرندي :

العمل لأجل حصول الجزاء مدخول معلول ، معرّضٌ للبطلان ؛ لأنه إذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربُّه بوجود الصدق فيه ، والصدقُ فيه الوفاء بحقّه في العمل، وأنّى له توفية ذلك مع كونه طالبًا للحظ من ربه !! فهو – لا محالة – مريب ، فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها[1] .

زرُّوق :

متى طلبت عوضًا عن عمل طُوْلِبْتَ بوجود الصدق فيه ؛ لأن الجزاء لا يكون إلا على كامل في ذاته وقصده ، فهو يحتاج إلى التخليص من الشوائب والإخلاص في القصد ، وجامع ذلك كله حصول الصدق ، وهو لا يتم إلا بالتبري من الحول والقوة ، والتبري لا يصح مع رؤية العمل فضلًا عن طلب ثوابه ، وأعمالنا خلية عن الإخلاص والتخليص ؛ لما نحن عليه من النقص والتخليط ، فالأولى بنا الفرار إلى الله تعالى ، وإذا كانت أعمالك مدخولة ، وأفعالك معلولة فأنت صاحب ريبة ، وما كان كذلك فرأس غنيمته السلامة من عقوبة ما هو عليه في عمله[2] .

الشرقاوي :

متي طلبت من ربك عوضًا على عمل ، صلاة أو غيرها ، بأن عملت ذلك لأجل ثواب آجل ، وهو الجزاء عليه في الدار الآخرة ، أو عاجل كالإمدادات التي ترد عليك من قبل الحق ، طالبك الحق بوجود الصِّدق فيه ؛ لأن ظاهره أنه يعمل لله قيامًا بحق الألوهية ، وباطنه أنه لم يعمل إلا لحظ نفسه ، فيكفيه حينئذٍ سلامة من العقاب عليه[3] .

الشرنوبي :

متى طلبت من مولاك ثوابًا على عملٍ عملته ، كما هو شأن التجار ، طولبت منه بوجود الإخلاص ، فإن الجزاء إنما يكون على كاملٍ ، ولا كمال عندك إذ ذاك ، فإنك عملت لحظ نفسك لا لوجه مولاك ، ويكفي المرتابَ كون مولاه يعطيه الأجر وإن لم يقصده بعمله ، ويكفيه أن الله لم يعاقبه على هذا القصد القبيح[4] .

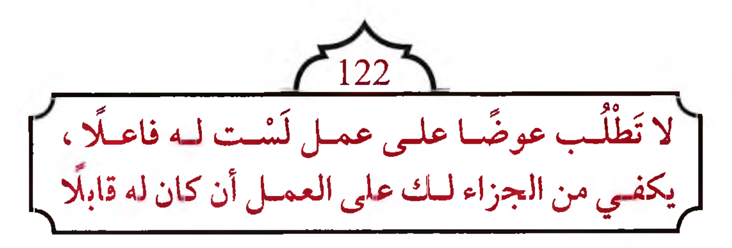
---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 298 ، 299) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 279 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 118 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 158 ، 159 .



122

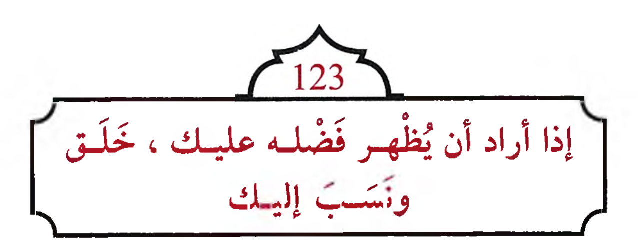
لا تَطْلُب عوضًا على عمل لَسْتَ له فاعلًا ، يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلًا

زرُّوق :

لا تطلب عوضًا على عمل لست له فاعلًا ؛ لأنك لا تطلب العوض على فعل غيرك ، وذلك قبيح مردود في الجملة وعلى التفصيل ، وبالجملة فلا عوض إلا بعد صدق ، ولا صدق إلا بعدم العوض ، ويكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا لما هو عليه من العلل والآفات ، فوجب الرجوع إلى الله بالافتقار المحض فيما عنده دون وسيلة ولا سبب[1] .

الشرقاوي :

لا تطلب عوضًا على عمل لست له فاعلًا ، بل هو الفاعل له حقيقة ، وإنما أنت محلٌّ لظهوره ، فكيف تطلب أنت الجزاء عليه ، وليس للعبد إلا مجرد الكسب ، فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبًا إليه بطريق الكسب ، ويكفي قبوله ، والمراد به عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولًا بقصدك به طلب الثواب[2] .



123

إذا أراد أن يُظْهِر فَضْلَه عليك ، خَلَقَ ونَسَبَ إليك

الرندي :

فضل الله تعالى عظيم ، فإذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة ، وحلّاك بها ، ونسبها إليك ، **وقال لك** : يا عبدي أنت مطيع ، ومتقٍ ، ومجتهد ، وعامل وسأثيبك على ذلك[3] .

زرُّوق :

قال : يعني خلق القدرة لك على العمل ، ووفقك إليه وأعانك فيه ، ورد نسبته إليك ، فهو سبحانه خلق الطاعة ونسبها إلينا ، وأثابنا عليها ، ولسنا بأهل لذلك[4] .

---

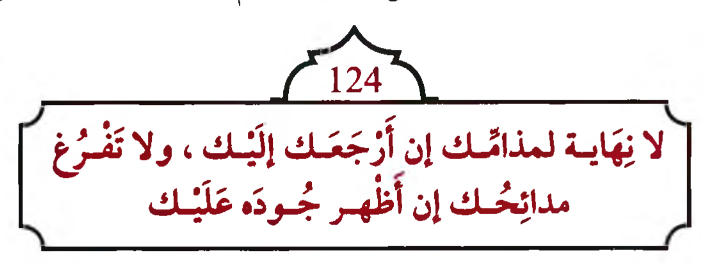
(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 280 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 119 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 300) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 281 .

الشرقاوي :

إذا أراد أن يُظهر فضله عليك وإحسانه لك ، خلق العمل فيك ، ونسبه إليك بأن قال فيك عند ملائكته : أنك مطيع ، ومتق ، ومجتهد ، وعامل ، أو نسبه إليك على ألسنة العباد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيعٌ ومتقٍ[1] .

ابن عجيبة :

الحق تعالى فاعل بالمشيئة والاختيار ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، وإذا أراد الله تعالى أن يلحقك بعباده الذين أعدهم للكرم ؛ ليُظهر فيهم اسمه الكريم واسمه الرحيم ، هيأك لأنواع الطاعات وخلق فيك القوة على فعل الخيرات ، ثم نسب إليك ذلك الفعل[2] .



الرندي :

مـن أرجعـه الحـق إلى نفسـه ، ووكلـه إلى عقله وحسـه ، فقد طـرده عن بابـه وأبعده عن جنابـه ، وكانـت أحواله مدخولـة معلولة ، وأعماله مسـتقبحة مرذولـة ، ومـن آواه إليه وأظهر جـوده عليـه ، فقـد اصطنعه لنفسـه ورفعه إلى حضـرة قدسـه ، وكانت أحواله حسـنة جميلة ، وأعمالـه كلُّها ممدوحـة مقبولة[3] .

زرُّوق :

يقـول معلقًـا علـى الحكمـة : لأنك من حيـث أنت محـل كل نقص وريبـة ، ومن حيث فضلـه مظهـر كل خيـر وإفضـال ، حَدِّث عن البحـر في الوجهيـن ولا حرج[4] .

الشرقاوي :

لا نهاية لمذامِّك إن وكلك إلى نفسك ؛ لأنها مجبولة على الشر ، فإذا خلّى الله بينك وبينها ، غَلَبَتْكَ وتحكَمَتْ فيك ، فتوقِعُكَ في أنواع القبائح ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 120 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 246 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 301) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 282 .

جوده عليك ، بأن تولى عنايتك ونصرك على نفسك ، فتصير أحوالك حسنةً جميلة ، فلا تفرغ مدائحك ، ولا تنقضي محاسنك[1] .

ابن عجيبة :

إذا أراد الله إهانة عبدٍ وإذلاله ردّه إلى نفسه وهواه ، فأحيل عليها ، ووكّل إليها ، فإذا استولى عليه الهوى أعماه وأصمّه ، وإذا أراد الله إعزاز عبده وعنايته أظهر عليه جوده وكرمه فتولّاه وحفظه ، ولم يتركه مع نفسه وهواه ، فلا نهاية لمذامك إن ردك إلى نفسك وحكّمها فيك ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك[2] .

الشرنوبي :

لا نهاية لما تُذَمُّ به من القبائح إن أرجعك مولاك إلى نفسك ، وخلّى بينك وبينها ، فإن النفس أمارة بالسوء ، وذلك من علامات الطرد والإبعاد ، ولا تفرغ محاسنك التي تُمدح بها ، إن أظهر جوده عليك ، ونصرك على نفسك ، فتكون ممن رحمه واجتباه ، ووفقه لما يحبه ويرضاه[3] .



الرندي :

التعلّق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجودَك ، ولوازم وجودك ، فلا ترى وجودك إلا بوجوده ، ولا بقاءك إلا ببقائه ، ولا عزّتك إلّا بعزّته ، ولا قدرتك إلا بقدرته ، ولا غناك إلا بغناه ، ولا يتم لك ذلك إلا بأن تتحقق بأوصاف عبوديتك من : عدمك ، وفقرك ، وذلّك ، وعجزك[4] .

زرّوق :

أوصاف الربوبية أربعة ، هي : الغنى ، والعز ، والقدرة ، والقوة ، **والتعلق بها** : أن تكون ناظرًا إليها معتمدًا عليها دون النظر لشيء سواها ، **وأوصاف العبودية أربعة** ، هي : الفقر ، والذل ، والعجز ، والضعف ، **والتحقق بها** : أن تراها لازمة لك ، فلا تنفك عن النظر إليها

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 121 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 247 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 160 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 301) .

في حال من أحوالك، ثم التعلق بأوصافه يقتضي التحقق بأوصافك، والتحقق يفضي بك إلى التعلق بأوصافه[1].

الشرقاوي:

التحقق بأوصاف الربوبية النظر إليها وملاحظة كونها لهو، فلا يصح أن تتصرف بشيء منها، والتحقق بأوصاف العبودية، النظر إليها وملاحظة كونها هي التي ينبغي أن يتصف بها العبد حقيقة، وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده، وليس هو حقيقة، فالغنى والقدرة والعزة والقوة لله، والذي يتصف به العبد حقيقة هو الفقر والعجز والذل والضعف، فالعبد يكون غنيًّا بالله، قادرًا بالله، عالمًا بالله، عزيزًا بالله، قويًّا بالله[2].

ابن عجيبة:

أوصاف الربوبية هي: العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم، وأوصاف العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل، والتعلق بأوصاف الحق أن تلتجئ في أمورك إليه وتعتمد في حوائجك عليه، والتخلّق بأوصافه تعالى أن تكون في باطنك عزيزًا قويًّا به، عظيمًا كبيرًا عنده، قويًّا في دينه وفي معرفته عالمًا به وبأحكامه، والتحقق بأسماء الله تعالى أن تكون تلك المعاني راسخة فيك، والتخلق بأوصاف العبودية هو التحقق بها في الظاهر حتى يكون ذلك شرفًا عندك[3].



126

منعك أن تدَّعي ما ليس لك مِمَّا لِلْمَخْلُوقِينَ، أَفَيُبِيحُ لَك أن تَدَّعِيَ وَصْفَه وهو رَبُّ العَالَمِين

الرندي:

لا حظَّ للعبد من صفات مولاه إلا التعلق بها فقط، وادعاء شيء منها من كبائر معاصي القلب، وإذا كان الحق تعالى مانعًا لك ومحرّمًا عليك أن تدّعي ما ليس لك مما أعطى المخلوقين من الأموال، ومسميًا ذلك ظلمًا وعدوانًا، فكيف يبيح لك أن تدّعي وصفه، وهو رب العالمين، لا شريك له في ذلك؟![4].

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق: ص 285.

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي: ص 121، 122.

(3) إيقاظ الهمم: ص 251، 252.

(4) غيث المواهب العلية: (1 / 301، 302).

زرُّوق :

ظهـور وصفـه عليـك وتحليـك بـه كمـال يليق بـك ، بحيث تصير غنيًّا بـه ، عزيـزًا به ، قـادرًا بـه ، قويًّـا بـه ، لا يسـوغ لـك ادعاء شـيء من ذلـك ، بل عليـك الرجوع إلـى وصفك والقيـام معـه مـن الفقر والـذل والعجـز والضعـف ؛ لأن ما بيـدك عاريـة مجازيـة ، والعارية مـؤداة ، فالـزم التذلل والافتقـار إليه ، والمنع المذكور واقع شـرعًا ومـروءة وحكمة ، فيحرم ادعـاء ملـك الغيـر بمقتضـى الغيـرة ، والغيـرة في حـق الله تعالى منـع ما هو لـه من وصف أو حـق أن يكـون لغيره[1] .

الشرقاوي :

حـرَّم عليـك أن تدعـي شـيئًا ليـس لـك ممـا أعطـى للمخلوقين مـن الأموال ، وسـماه تعالـى عدوانًـا وظلمًـا ، أفيبيـح لك سـبحانه أن تدّعـي وصفه وهـو ربُّ العالميـن ؟! فيكون ادعـاؤك ذلـك من أعظـم الظلم وأشـد العـدوان[2] .

ابن عجيبة :

إذا كان منعـك أن تدَّعـي مـا ليـس لك ممـا هو للمخلوقين مـن العرض الفانـي ، فكيف يبيـح لـك أن تدَّعـي وصفَه مـن العـزة والكبرياء وهـو رب العالميـن ؟! فإذا ادعيـت ما ليس لك سـلبك ما ملـكك[3] .



127

كيـف تُخْـرَقُ لـك العَوَائِـدُ وأنْـتَ لـم تَخْـرِقْ من نَفْسِـك العَوائِـد ؟!

الرندي :

خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يُكرِم الحقُّ تعالى به إلّا من خرق عوائد نفسه ، وفني عن إرادته وحظوظه ، فمن لم يصل إلى هذه المقامات لا يطمع فيها ، وإن ظهر له ما صورته صورة الكرامة فينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر ، حيث لا يحبّ ذلك ولا

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 287 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 122 ، 123 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 254 .

يطلبه ، فإن أحبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع إرادته وحظوظه وعاداته ، فكيف يخرق العوائد لمن هذا صفته على سبيل الكرامة ؟[1] .

زرُّوق :

خروق العوائد لك بظهور ما ليس من شأنك على يديك ، واتصافك بما لا يقتضيه وصفك من الكمالات الجارية عليك كما يليق بك ، وخرق العوائد منك بترك عادتك الرديئة ، وذلك مجموع في تحققك بأوصافك وتعلقك بأوصافه ، فإن قمت بذلك كان لك ما تريد كما تريد ، وإلا فأنت بعيد ، فمن خرق عوائده خرقت له العوائد على نسبة ذلك[2] .

الشرقاوي :

كيف تطمع أن تُخْرَقُ لك العوائد ، بأن تظهر لك على يدك كرامةٌ ، وأنت لم تخرق من نفسك ما اعتادته من الكبر والعجب والدعوى وغير ذلك ، فخرق العوائد لا يُكرِمُ الله به إلا من خرق عوائد نفسه[3] .

الشرنوبي :

لا تطمع في خَرْق العوائد لك ، بأن تظهر على يدك الكرامات ، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد التي اعتدتها من سيئ الأحوال ، والاسترسال مع الشهوات ، فإنه قد جرت عادة الله بأن لا تخرق العوائد إلا لمن فني عن حظوظه[4] .



الرندي :

إذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ، ولم يطلب ذلك من غيره ، فلا يظن أنه وَفّى بما يجب عليه من حق الربوبية ؛ فليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين ، وإنما الشأن

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 306 ، 307) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 289 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 123 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 162 .

أن يتأدّب العبد بين يدي مولاه أدبًا حسنًا ، بأن يفوّض أمره إليه ، ويرضى بما قسم له ، ولا يطلب منه ما ليس له[1] .

زرُّوق :

ليس الشأن في هذا الطريق وجود الطلب ؛ لأن ما عند الله لا ينال بالأسباب ، وإنما الشأن أن ترزق حسن الأدب ؛ لأن به تتحقق العبودية ، وقد قال تعالى : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : 7] ، ولم يقل أكثرهم طلبًا ولا أعظمهم جدًّا فيه ، والأدب يختلف باختلاف الأقوال والأحوال ، ثم رأس الآداب كلها راجع للزوم وصفك مع التعلق بوصفه[2] .

الشرقاوي :

ليس الشأن المعتبر ، عند المحققين ، أن تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك دون غيره ، ظانًّا أن طلبك ذلك منه دون غيره يوفي بما يجب عليك في الدعوى من الأدب ، فإن ذلك لا يوفي به ، إنما الشأن المُعْتَبَرُ عند المحققين أن تطلب جميع مطالبك منه دون غيره إظهارًا للعبودية وقيامًا بحقوق الربوبية[3] .

ابن عجيبة :

ليس الشأن وجود صورة الطلب ، وإنما الشأن أن تستغني به عن كل مطلب ، وترزق معه حسن الأدب ، والاكتفاء بعلم الله ، والوقوف مع مراد الله[4] .



الرندي :

اضطرار العبد هو أخصُّ أوصاف عبوديته ؛ ولذلك لم يُطلَب من العبد شيء أجلَّ منه ، **والاضطرار المطلوب منه** : أن لا يتوهم العبد من نفسه شيئًا من الحول والقوة ، ولا يرى لنفسه سببًا من الأسباب يعتمد عليه إلا مولاه ، والذلَّة والافتقار لازمان للعبد ، وهما موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد المتصف بهما[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 310 ، 311) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 290 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 124 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 258 .

(5) غيث المواهب العلية : (1 / 311 ، 312) .

زرُّوق :

قال معلِّقًا على الحكمة : لأن ذلك يقتضي الرجوع إليه بلا علة ، والوقوف بين يديه على نعت المسكنة والذلة ، وخير أوقاتك وقت تشهد فيه ما فاتك ، وترد فيه إلى وجود ذلتك ، **وأنشدوا في ذلك** :

أَدَبُ العبيد تَذَلُّلٌ	والعبدُ لا يَدَعُ الأدب
فإذا تكامل ذُلُّهُ	نال المودَّة واقْتَرَب

والظاهر أن الاضطرار هو فعال الطلب . **فالتقدير** : ما طلب لك الحوائج من الله مثل الاضطرار ، ولا أسرع لك بالمواهب منه لقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : 62] [1] .

ابن عجيبة :

إذا أردت أيها العارف أن تطلب من مولاك شيئًا جلبًا أو دفعًا فعليك بالاضطرار ، والاضطرار هو أن يكون كالغريق في البحر والضال في التيه ، ولا يرى لغياثه إلا مولاه ، فما طلب لك من مولاك شيء مثل اضطرارك إليه والوقوف بين يديه متحليًا بحلية العبيد ، هنالك تنال ما تريد[2] .

الشرنوبي :

ما طلَب لك - أيها المريد - الحوائجَ من الله تعالى شيء مثلُ الاضطرار إليه ، إذ به تقع الإجابة ، فلا يتوهم من نفسه حولًا ولا قوة ، ولا يرى لنفسه سببًا من الأسباب يعتمد عليه إلا مولاه ، والذِّلَّةُ والافتقار أمران موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد ، فذلتهم أوجبت عزتهم ونصرتهم[3] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 291 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 258 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 163 .

130

لو أنك لاتصل إليه إلا بعْد فناء مساويك ، ومحو دَعَاويكَ ، لَمْ تصل إليه أبدًا ، ولكن إذا أراد أن يُوصِلك إليه غطَّى وصفك بوَصْفِهِ ، ونَعْتَكَ بِنَعْتِه ، فَوَصَلَكَ إليه بِمَا مِنْه إليك لا بما مِنْك إليه .

الرندي :

الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا بمحو صفات النفس ، وقطع علاقات القلب ، وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو ؛ لأن ذلك طبعه وجبلته ، ولو لم يكن إلا إرادته وعمله في تحصيل هذا الغرض بنفسه ، فهما من جملة المساوي والدعاوى المحتاج إلى محوها ، وعند ذلك لا تكون له إرادة ولا اختيار إلا ما اختاره له مولاه وأراده ، فيكون حينئذٍ واصلًا إلى الله بما من الله إليه من الفضل والكرم ، لا بما من العبد إليه من الاجتهاد والعمل[1] .

زرُّوق :

لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدًا ؛ لأنها تتناهى ؛ لكثرتها وتسلسلها وتواترها وتواردها على كل شيء منك ، طاعة كانت أو غيرها ، حتى إنك إذا تأملت وجدت أعمالك كلها دعاوى ولو كنت أصدق الصادقين ، وتجد أحوالك كلها دعاوى ولو كنت أخلص المخلصين ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه ستر وصفك بوصفه ، فوصلك إليه بما منه إليك من إحسان وستر وإفضال ، لا بما منك إليه من أحوال وعلوم وأعمال[2] .

الشرقاوي :

لو أنك لا تصل إليه بعد فناء عيوب نفسك ، ومحو نسبة ما لا تستحقه إليك كالقوة والعزة ، ومحو ذلك بالرياضات والمجاهدات ، فلا تعتقد أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء ذلك بمجاهداتك ، فإن اعتقدت ذلك لم تصل إليه أبدًا ؛ لأن ذلك من الأوصاف الذاتية التي لا ينفك عنها العبد ، فالوصول مِنَّةٌ من الله عليك ، لا بكسبك ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إلى حضرة قربه ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه ، فأفناك عنك وأبقاك به ، فوصلك إليه بإظهار صفاته عليك ، لا بأعمالك[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 313 ، 314) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 293 ، 294 .

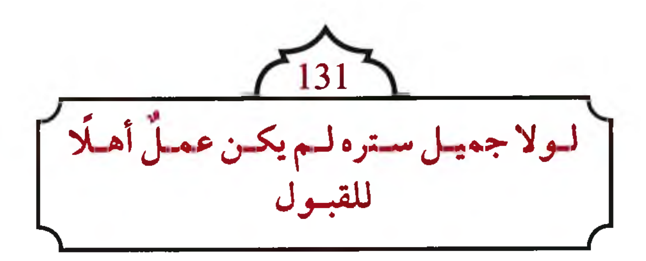
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 125 ، 126 .

ابن عجيبة :

الوصـول إلـى اللـه هو العلـم به وبإحاطتـه ، فلـو كان العبد لا يصـل إلى اللـه تعالى إلا بعـد فنـاء مسـاويه ومحـو دعاويه مـن حيث هو هـو لم يصل أبـدًا ، لكـن الحق مـن كرمه إذا أراد أن يطـوي عنـه مسـافة البعـد أظهـر لـه مـن أنوار قدسـه ونعـوت وصفـه ، فحينئـذٍ تغنى المسـاوي ، وتمتحـق الدعـاوى ، فيحصل الوصـول بما من الله إلـى العبد من سـابق العناية والـوداد ، لا بمـا مـن العبـد إلى الله مـن الكد والاجتهـاد[1] .

الشرنوبي :

لـو أنـك لا تصل إلى اللـه تعالى إلّا بعد فنـاء مسـاويك ، ومحو دعاويك ، التـي تدّعيها مـن نسـبة الأعمـال إلـى نفسـك ، لـم تصـل إليـه أبـدًا ؛ لأن المسـاوي والدعـاوى طبعك ، ولـو لـم يكـن إلا إرادتـك تحصيـل هـذا الغرض بنفسـك لـكان كافيًـا ، فلو تأملـت وجدت محاسـنك كلهـا مسـاوي ، وقـد أظهـر لـك مـن صفاتـه السـنية مـا تغيـب بـه عـن صفاتـك البشـرية ، فتكـون فـي مقام الحـب[2] .



الرندي :

العبـد مبتلـى بنظـره إلى نفسـه ، وفرحه بعمله ، وقـد يرائي به ، ويطلب حمـد الناس له ؛ وهـذا مـن الشـرك الخفي القادح فـي الإخلاص الذي هو شـرط قبـول العمـل ، فعمل العبد لمَّـا كان بهـذه المثابـة لـم يكن فيه أهلية لوجـود القبول ، لولا جميل سـتر اللـه تعالى[3] .

زرُّوق :

لـولا جميـل سـتره لم يكـن عملٌ أهـلًا للقبول ، بـل ولا للوجـود ؛ لأن النفـس مجبولة علـى ضـد الخيـر فلا تعملـه إلا بوقايـة تكـون بينها وبيـن وصفها الأصلـي ، وبعـد الدخول

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 259 ، 260 .

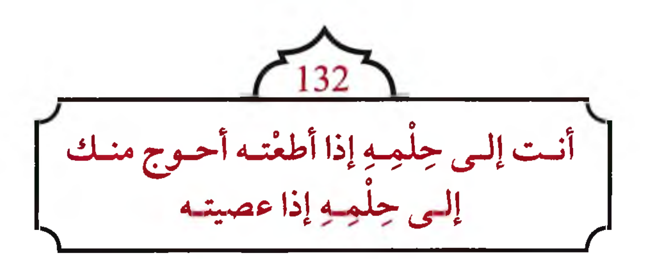
(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 164 ، 165 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 314) .

فـي العمـل فهـي أصل العلـل ، فلا يصـدر منهـا إلا ناقـص ، فالعمـل يحتاج إلـى التخليص والإخـلاص ، وهمـا مفقـودان ، فالقبـول من فضـل اللـه وكرمه[1] .

ابن عجيبة :

العمـل الـذي يكـون أهـلًا للقبـول هـو الـذي تتوفـر فيـه شـروط القبـول ، وهـو سـر الإخـلاص وغايـة الحضـور والتبري فيـه من الحـول والقوة ، وهـذا في غاية النـدور ، فلولا أن اللـه تفضـل علينـا بجميـل سـتره فغطى مسـاوينا بجلائـل لطفه وبـره ، ما كان عمـل أهلًا للقبـول أصـلًا ، ولكـن الـذي مـنَّ بوجود الأعمـال يمـنُّ بوجود القبـول والإقبـال[2] .



132
أنـت إلـى حِلْمِـهِ إذا أطعْتـه أحـوج منـك إلـى حِلْمِـهِ إذا عصيتـه

الرندي :

العبـد عنـد عملـه بالطاعـة مُعـرّض إلـى نظـره إلـى نفسـه ، واسـتعظام عملـه ، وعُجْبه بطاعتـه ، وسـكونه إلـى معاملتـه ، بخـلاف المعصيـة ، فإنها تحملـه على الحـذر ، والخوف مـن ربـه ، وتوجـب لـه الاسـتكانة والخضوع ، وشـدَّة الافتقـار إليـه ؛ فلذلـك كان العبد إلى حِلْـم اللـه – إذا أطاعـه – أحـوج منـه إلـى حلمه إذا عصـاه[3] .

زرُّوق :

أنـت إلـى حلمـه إذا أطعتـه أحـوج منـك إلـى حلمـه إذا عصيتـه ؛ لأنـك فـي الطاعـة مصحـوب بالعلـل والدعـاوى والآفـات مـن الريـاء والعجـب والنظـر إلـى نفسـك ، وعدم التحفـظ وقلـة الاحتـرام مـع الغفلـة عـن ذلـك كلـه ، وفـي المعصيـة مصحـوب بالافتقـار والاضطـرار مقـرون بالذلـة والاحتقـار[4] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 297 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 262 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 315) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 298 .

ابن عجيبة :

الطاعة بساط العز والرفعة ، وللنفس فيها شهوة ومتعة ، وصاحب الطاعة يعظمه الناس وكل ما عظم في عين الخلق سقط من عين الحق إن كان يفرح بذلك ، ويقنع به دون الملك الحق ، بخلاف المعصية ، فإنما هي بساط الذلِّ والانكسار ومحل السقوط والاحتقار ، وكل ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق ، فكان العبد في حال طاعته لربِّه أحوج إلى حلمه وعفوه منه في حال معصيته[1] .

133

السِّتر على قِسْمين : ستر عن المعصية ، وستر فيها ، فالعامَّة يطلبون من الله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق ، والخاصَّةُ يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق

الرندي :

العامة يغلب عليهم شهود الخلق ، والتصنُّع والتزيّنُ لهم ، فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ، ويطلبون الستر من الله عليهم في حال كونهم عاملين بها ، ؛ لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم ، والخاصّة من أهل الإيمان واليقين براء من هذا الوصف الذميم ، لا التفات لهم إلى الخلق مدحًا ولا ذمًّا ، وحالهم إنما هو القناعة بعلم الله تعالى ، فهم يطلبون الستر من الله عنها في أن يغيّبها عن نظرهم ، ولا يخطرها بقلوبهم فتميل إليها أنفسهم[2] .

زرُّوق :

الستر عن المعصية حجاب بين العبد وبينها حتى لا يراها ، وإذا رآها فلا يستحسنها ، وإذا استحسنها فلا يقع فيها ، فالعامة لا يفرون منها أولًا وابتداء ، ولا يرون الفضيحة آخرًا وانتهاء ؛ ولذلك صح منهم الرياء والتصنع تسترًا وتجملًا ، وإذا وجدوها دون فضيحة لم يرجعوا عنها ، أما الخاصة فهم يفرون منها ابتداءً وإن طلبوا سترها انتهاءً ، فلا يضرهم ذلك ، وذلك من تعظيمهم لمولاهم ، وتحقق إيمانهم[3] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 263 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 317 ، 318) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 299 ، 300 .

الشرنوبي :

العامة يطلبون الستر في المعصية خوف اطلاع الناس عليهم ، فهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء : 108] وهذا شأن المرائين الذين يَسْتَخْفُونَ بنظر الجبَّار ، ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الأوزار ، وأما الخاصة فهم يطلبون من الله الستر عنها ، بأن يجعل بينهم وبينها حاجبًا ، حتى لا تخطر بقلوبهم خشية سقوطهم من نظر الملك الحق[1] .



134

مَنْ أكْرَمَك فإنَّما أَكْرم فيك جَميل سِتْرِه ، فالحمد لمن سَتَرَك ، لَيْس الحَمْدُ لمن أَكْرَمَك وشَكَرَك

الرندي :

العبد محل الآفات والعيوب ، وستر الله الجميل هو الذي يحبب الناس إلى الناس ، فإذا أكرمك أحدٌ فلا يذهبن ذلك بك إلى أن ترى لنفسك وصفًا محمودًا تستحق به الإكرام ، فتكون جاهلًا بنفسك ، ولا يحملنّك أيضًا رؤية إكرام الخلق لك ؛ لوجود جهلهم بحالك ، على أن تحمدهم عليه دون ربك الذي اضطرهم إلى إكرامك ، وستر عنهم عيوبك ، وأظهر لهم محاسنك ، فتكون بذلك كافرًا بنعمة ربك ظالمًا بوضع الحمد في غير موضعه[2] .

زرُّوق :

من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره ؛ لأنك محل كل عيب سواء كنت مطيعًا أو عاصيًا، ولولا وجود ستره ما جرى لك شكرٌ من غيره ، فلا تحمدنَّ أحدًا على فضل الله ولا تَذُمَّنَّ أحدًا على ما لم يؤتك الله ، وإن كان شكر الخلائق واجبًا فمن حيث إنه مأمور به صار من شكر الله ، وسر وجوبه التحرر من رق إحسانهم والقيام بمجازاة امتنانهم ، فمجاز الشكر لمن له مجاز الإحسان ، وحقيقة الشكر لمن له حقيقة الفضل والامتنان[3] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 166 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 318) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 302 .

الشرقاوي :

مـن أقبـل عليك بإعطـاءٍ أو محبة أو شـكر ، إنما أكرم فيك سـتره الجميـل عليك ، فلولا وجـوده مـا أقبلـوا عليك ، ولـو اطلعوا على ما أنـت عليه لنفـروا عنك ، فالحمـد لا ينبغي أن يكـون إلا لمـن سـترك ، ليس الحمدُ لمن أكرمك وشـكرك ، فـلا تحمده إلا مـن حيث إجراء الخيـر علـى يديـه ، لا مـن حيـث أنه المكـرم والمعظـم حقيقـة ؛ إذ ليـس ذلك إلا للـه ، فمن أقبـل النـاس عليه فقـد يغلط ويضـع الثناء في غيـر موضعه فيكون مـن الظالميـن ، وقد يغلط فيـرى لنفسـه وضعًا محمودًا يسـتحق بـه الإكرام فيكـون من الجاهليـن الغافلين عـن مِنَّة الله عليهم[1] .

ابن عجيبة :

إذا كان الحـق تعالـى تولّـى حفظـك برعايتـه وسـتر مسـاويك ، ثـم توجـه النـاس إليـك بالتعظيـم والتمجيـد والتكريـم ، فاعـرف منَّـة اللـه عليـك ، وانعـزل عـن شـهود نفسـك ، فمـن أكرمـك فإنمـا أكـرم فيـك جميـل سـتره ، فالحمـد فـي الحقيقـة إنمـا هـو لمـن سـترك لا لمـن أكرمـك[2] .

135

مـا صَحِبَـك إلَّا مَـنْ صَحِبَـك وهُـوَ بعَيْبِـكَ عليـم ، وليـس ذلك إلا مـولاكَ الكريـم ، خيـر مـن تَصْحَـبُ مـن يَطْلُبُـكَ لا لشـيء يَعُـودُ مِنْـك إِلَيْه

الرندي :

الصاحـب علـى الحقيقـة : هو من بذل إحسـانه إليك ، وأسـبغ نعمه عليـك ، ولـم يمنعه مـن ذلـك ما يعلمه مـن عيوبك التي يكرههـا منك ، وليـس ذلك إلا مـولاك ، وخير صاحب لـك أيضًـا مـن اعتنى بك وآثـرك وأرادك مـن غير منفعـة ينالها منـك ، وليس ذلـك أيضًا إلا مـولاك فاتخذه صاحبًا ، ودع النـاس جانبًا[3] .

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 130 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 265 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 318 ، 319) .

زرُّوق :

مـا صحبـك حـق الصحبـة إلا مـن صحبـك مـع علمـه بعيبـك ، ولا يعلـم عيبـك على التفصيـل إلا خالقـك ومـولاك ؛ لأن صحبـة الخلائـق كلهـا مقرونـة بالعلل ، فـلا يصحبك أحـد إلا لمـا يعـود إليه من نفـع أو دفع ضـر ، حتى إن من صحبـك لذاتك فإنمـا أجاب فيك داعيـة نفسـه ، والـرب تعالى غني منـزه عن الأغـراض والأعـواض[1] .

الشرقاوي :

ليـس الصاحـب الحقيقـي إلا مـن أقبـل عليـك بإحسـانه ، ولم يمنعـه مـن صحبته لك وإقبالـه عليـك مـا يعلمه من تفاصيـل عيوبـك ، وليس ذلك إلا مـولاك ، أما الـذي يصحبك مـع جهلـه بهـا فليـس بصاحب حقيقـة ؛ كذلـك من يصحبـك لفعلك معـه ونفعك لـه ؛ لأن قصـده مجرد قضـاء حوائجه منـك ، فـإذا زال غرضـه فارقك[2] .

ابن عجيبة :

إذا علمـت أنـه ليس لـك صاحب إلَّا مـولاك فاعرف حقيقـة صحبته ، والـزم الأدب في ظاهـرك وباطنـك واسـتحي منـه أن يراك حيـث نهـاك ، أو يفقدك حيـث أمـرك ، فالصاحب الـذي يـدوم لـك هـو الـذي يصحبـك وهـو عالـم بعيبـك ، وليـس ذلـك إلا مـولاك العالم بخفايـاك ، إن عصيتـه سـترك ، وإن اعتـذرت إليـه قبل عـذرك[3] .



الرندي :

إذا أشرق نور اليقين في قلب العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه ، حتى كأنها لم تزل ، فكانت أقرب إليه من أن يرحل إليها ، فحقَّ بذلك حقُّها عنده ، وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع إليها الفناء والذهاب[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 203 ، 204 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 130 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 266 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 319) .

زرُّوق :

اليقين إذا أشرق كشف عن الدنيا ؛ إذ شأنه الكشف فيحصل العلم بأن الآخرة من الدنيا وظهور الفناء على هذه الدار بما يعرض عليها من العوارض : النقص ، والتغيير ، والانقلاب : كضعف القوة ، وبلاء الجديد ، وغير ذلك[1] .

الشرقاوي :

لو أشرق نور العلم بالله ، وبما وعد به على لسان نبيه ، وأضاء في قلبك ، رأيت الحق حقًّا والباطل باطلًا ، والآخرة حقًّا والدنيا باطلًا ، فيبصر الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه ، كأنها لم تزل ، فكانت أقرب إليه من أن يرتحل فيقبل عليها بالاستعداد لها ، ويبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها ، وأسرعَ إلى الفناء والذهاب ، فغابت عن بصره ، فظهر بطلانها ، فيوجب له الزهد فيها[2] .

ابن عجيبة :

اليقين : هو العلم الذي لا يزاحمه وهم ، ولا يخالطه ريب ، وإشراق نوره هو ظهور أثره على الجوارح ، فيظهر الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، فلو أشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الآخرة الآتية حاضرة لديك أقرب إليك من أن ترحل إليها ؛ إذ هي الراحلة إليك والمدركة لك ، ولرأيت محاسن الدنيا الوهمية الفانية قد انكسف نور وجودها بظهور فنائها ، فصار ما كان ظاهرًا باطنًا ، والعكس[3] .



137

مَا حَجَبَكَ عن الله وجودُ مَوْجُودٍ مَعَهُ ، وَلَكِن حَجَبَكَ عَنْه تَوَهُّمُ موجود مَعَهُ

الرندي :

إن وجود ما سواه إنما هو وَهْم مجرَّد ؛ فلا حاجب لك من الله تعالى إلا توهُّم وجود ما سواه لا غير ، والتوهّمات باطلة ، فلا حاجب لك عن الله تعالى إذن[4] .

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 305 ، 306 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 131 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 268 ، 269 .
(4) غيث المواهب العلية : (1 / 322) .

زرُّوق :

اشتغالك بثناء الخلق وذمهم ، وتعلقك بالستر لأجلهم ، وانتظار المنافع من قِبَلهم ، وتوجهك للدنيا بالكل حتى حُجِبْتَ به عن مولاك ، من تعلقك بالوهم القاضي باعتبار ذلك كله وثبوت نسبته في الوجود ، وذلك من وجود رؤية وجود ذلك كله مع الحق سبحانه ، وذلك باطل ووهم ؛ لما قضى به التحقيق من أنه تعالى المنفرد بالخلق ، فالكل به وإليه ، فهو الموجود وحده لا غيره[1] .

الشرقاوي :

ما حجبك عن الله وجود موجود من الأكوان الدنيوية والأخروية معه ؛ إذ لا وجود لما سواه على التحقيق ، ولكن حجبك عنه توهمك أن ما سواه له وجود ، مع أنه في ذاته عدم محض عند العارفين كوجود ظلال الشجر على الماء ، فإنها لا تمنع سير السفن ، فلا حاجب لك عن الله إلا توهم وجود ما سواه لا غير[2] .

ابن عجيبة :

الحق تعالى ظاهر ونوره للبصائر باهر ، وإنما حجبه مقتض اسمه الحكيم ، واسمه القاهر ، فما حجبك عن شهود الحق وجود شيء معه ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل : 63] ، ولكن حجبك عن شهوده توهُّم وجود موجود معه ولا شيء معه[3] .



138

لَوْلا ظُهُورُه في المُكوِّنات ما وقع عليها وجود إِبْصَارٍ ، لو ظَهَرتْ صِفَتُه اضمحلَّت مكوِّناتُه

الرندي :

ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكوِّنات هو الذي أوجب ظهورها ووقوع الأبصار عليها ، ولولا وجود حجابها لم يقع عليها أبصار ولتلاشت ؛ لوجود التجلِّي الحقيقي ، بل لم يكن هناك بصر ولا إبصار ولا مبصَرٌ[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 307 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 132 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 270 .

(4) غيث المواهب العلية : (1 / 324) .

زرُّوق :

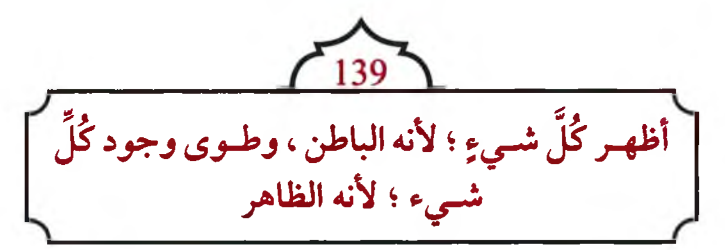
لـولا ظهـوره فـي المكونـات بآثـار أوصافـه القدسـية التـي هـي إتقانهـا بالعلـم ، وتخصيصهـا بـالإرادة ، وإبرازهـا بالقـدرة ، مـا وقـعَ عليهـا وجـود إبصـار لا بالبصائـر ولا بالأبصـار ؛ لأنهـا كانـت تكـون عدمًا محضًـا ونفيًا صِرْفًـا ، فما ظهـر في الكون سـوى آثار أوصافـه ، فالظاهـر إذن أوصافـه ، ولـو ظهـرت صفاتـه اضمحلـت مكوِّناتـه ؛ إذ لا ثبـات للخلـق مع ظهـور آثـار الحـق[1] .

الشرقاوي :

لـولا تجلِّيـه علـى المكوَّنـات بالوجود ما وقـع عليها وجود إبصـارٍ ، أي لم توجـد ، وإذا لـم توجـد فلا تُبصـر ، فوجودها إنما هـو بطريق العاريـة ، وظهور الحق فيها كظهور الشـمس فـي الكُـرة ذات الزجـاج ، وإلا فهي فـي ذاتها عدمٌ محـضٌ لا وجود لها فـي ذاتها[2] .

الشرنوبي :

لولا تجليه سبحانه وتعالى من وراء حجاب المكوَّنات ، ما وقع عليها وجود إبصار ، فلا يقع عليها أبصار ، ولو تجلى التجلي الحقيقي الذي لا خفاء معه لاضمحلت وتلاشت بدليل ، فظهوره سبحانه من وراء حجاب المكوَّنات هو الذي أوجب ظهورها[3] .



139

أظهـر كُلَّ شـيءٍ ؛ لأنه الباطن ، وطـوى وجود كُلِّ شـيء ؛ لأنه الظاهر

الرندي :

مـن أسـمائه تعالـى : الظاهـر والباطن ، فاسـمه الظاهـر يقتضي بطون كل شـيء حتى لا ظاهـر معـه فينطـوي حينئذٍ وجود كل شـيء ، واسـمه الباطـن يقتضي ظهور كلِّ شـيء حتى لا باطـن معـه ، فيظهـر إذ ذاك وجـود كل شـيء ، فالحق تعالى هـو الموجود بـكل اعتبار[4] .

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 308 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 133 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 169 .

(4) غيث المواهب العلية : (1 / 325) .

زرُّوق :

أظهر كل شيءٍ ؛ لأنه الباطن ، الذي لا وصول إلى معرفته إلا بما ظهر منه لدلالته عليه من حيث ذلك ، وطوى وجود كل شيء ؛ لأنه الظاهر ، لا يصح ظهور شيء مع ظهوره لا ستتاره في وجوده ، وعدم استقلاله بوجوده ، فحكمة ظهور الخلق لوجود التعريف ، وحصول المعرفة ينفي وجودهم ، فسبحان الظاهر الباطن العليم[1] .

الشرقاوي :

مقتضى اسم الباطن أن لا يشاركه في البطون شيء ؛ فلذا جعل الأشياء ظاهرة ولا باطن فيها غيره ، ومقتضى اسم الظاهر أن لا يشاركه في الظهور شيء ؛ فلذا لم يجعل لغيره وجودًا من ذاته ، بل المكوّنات جميعها عدمٌ محضٌ ولا وجود لها إلا من وجوده[2] .

ابن عجيبة :

الحق سبحانه ظاهر في بطونه باطن في ظهوره ، ما ظهر به هو الذي بطن فيه ، وما بطن به هو الذي ظهر فيه ، أي ما ظهر فيه بحكمته هو الذي بطن فيه بقدرته ، وما بطن فيه بقدرته هو الذي ظهر فيه بحكمته[3] .



أباح لَكَ أَنْ تَنْظُرَ ما في المُكَوَّناتِ ، وَمَا أَذِنَ لك أَنْ تَقِفَ مع ذوات المكوَّناتِ ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [يونس : 101] ، فَتَحَ لك باب الأفهام ولم يقل انْظروا السموات ؛ لئلّا يدُلَّك على وجود الأجْرامِ

الرندي :

أَمْرُ الله تعالى بالنظر في المكوّنات ليس لذاتها ؛ لأن في ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر إلى ما سواه ، ولم يبح هذا ، وإنما أمرهم بذلك ليتوصَّلوا بنظرهم فيها إليه ، لوجود ظهوره فيها ، والإشارة إلى هذا المعنى بـ « في » في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [يونس : 101] ، فلو أسقطها وقال : « انظروا السماوات » لكان فيه دلالة

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 309 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 134 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 278 .

على وجـود الأجـرام ، وهـي أغيـار لـه ، وفيهـا البعـد عنـه فكيـف يدلّ علـى ذلـك وهو لـم يأذن فيـه ؟![1] .

زرُّوق :

عبـر بأبـاح ؛ ليشـعر بأن النظـر والاسـتدلال غيـر واجـب ، فالمطلوب تحصيـل العيان لا إقامـة الدليـل والبرهـان ؛ لأنـه يُـؤذن بالغيبـة ، والـذي فـي المكوَّنـات مـا دلـت عليه من عجائـب القـدرة والإرادة والعلم إتقانًـا وتخصيصًا وإبرازًا على اتّسـاع ذلـك ، وإنما لم يأذن فـي الوقـوف مـع ذواتها ؛ لأنهـا حجاب صـارف مانع عمـا وراءه ، وبسـط المعنـى في الآية الكريمـة فأشـار بــ « فـي » ؛ لأن موقـع النظر ما احتـوت عليـه ، لا أنها المقصـودة به[2] .

الشرقاوي :

أمـرك اللــه تعالـى أن تتصـدى بنظـرك القلبـي حتـى تُشـاهد أنــه الموجـود فـي المكوَّنــات ، أي الظاهــر فيهــا ، ومــا أذن لــك أن تقــف مــع ذوات المكوَّنــات ، بــأن تحتجـب بهـا عنـه فـلا تشـاهده فيهـا ، واسـتدل بالآيـة فأتـي بــ « فـي » الظرفيـة المُشـعرة بـأن الاعتبـار بالمظـروف دون الظـرف ، ونبَّهـك وأيقظـك لمـا هـو المطلـوب منـك ، وهـو مشـاهدة مـا فيهـا ، ولـم يقـل : « انظـروا السـماوات » ؛ لئـلا يدلُّـك علـى وجـود الأجـرام ، فتحتجـب بهـا عنـه ، ولا تشـاهده فيهـا ، فتصيـر مَقْصِـدًا مـع أنهـا وسـيلة[3] .

ابن عجيبة :

إنمـا أبـرز اللـه تعالى هـذه المكوَّنـات ، وأظهر هـذه العوالـم ؛ ليُعرف بهـا ، ويظهر نوره فيهـا ، فأبـاح لـك أن تنظـر مـاذا فـي السـماوات والأرض ، وما أباح لـك أن تقف مـع ذوات المكوَّنـات ، تقـف مـع القشـر وتُحجـب عـن اللُّـبِّ ، ولأجل هذا السـر قـال تعالـى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [يونس : 101] ، أي مـا فيهـا مـن عظمتـه ، وفتـح لـك بـاب الفهـم ؛ لتدخـل مـن ظاهـر القشـر إلى باطن اللـب حتى تعرفه فـي كل شـيء ، ولو قال الحـق تعالى : « قـل انظـروا السـماوات » لدلـك علـى الأجرام وسـد لـك باب الأفهـام[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 325) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 310 ، 311 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 135 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 279 ، 280 .

الشرنوبي :

أمرك الله تعالى أن تنظر ما في المكونات من آثار قدرته وبدائع صنعته ؛ لتستدل بذلك على آثار الأسماء والصفات ، وما أذِن لك أن تقف مع ذوات المكوَّنات ، فإنه سبحانه ما نصب لك الكائنات لتراها ، بل لترى فيها مولاها ، فقوله سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [يونس : 101] بقي الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف ، فتح لك باب الأفهام ، فتفهم أنها موجودة لغيرها لا لذاتها ، فتنظر في الأكوان ؛ لتصل إلى معرفة الرحمن[1] .



141

الأكوانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْباته ، ومَمْحُوّةٌ بأحدِيَّةِ ذَاتِه

الرندي :

الأكوان من ذاتها العدم المحض ، وإنما حصل لها وصف الثبوت بإثبات الله تعالى لها ، وجعلها أكوانًا ، فالثبوت لها أمر عرضي ، والحق اللازم هو وجود أحدية الله عزّ وجلَّ ، والأحديَّة مبالغة في الوحدة ، ولا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن يكون أشدّ ولا أكمل منها ، فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان وبطلانها بحيث لا توجد ؛ إذ لو وجدت لم تكن أحدية ، ولكان في ذلك تعدد واثنينية[2] .

زرُّوق :

إنك إذا نظرت الخلق من حيث إثبات الحق لهم رأيتهم وجودًا ، وإذا نظرت إليهم من حيث ما هم عليه من الفقر والنقص وعدم الاستقلال رأيتهم محوًا[3] .

الشرنوبي :

الأكوان من حيث ذاتها عدم محض ، ولم تكن ثابتة إلا بإثباته تعالى وإيجاده لها وظهوره فيها ، فالثبوت لها أمر عرضي ، وإلا فهي في الحقيقة ممحوة بأحدية ذاته ، فمن نظر إلى أحدية ذاته لم يجد للأكوان ثبوتًا ، وإنما لها ثبوت عند من نظر إلى

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 170 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 326) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 312 .

الواحديـة ؛ لأن الأحديـة عنـد العارفيـن هـي الـذات الخالصـة عن الظهـور فـي المظاهر ، وهـي الأكـوان ، والواحديـة هي الـذات الظاهـرة في الأكـوان[1] .



142

النَّـاس يمدحونـك لِمـا يظنُّونـه فيـك ، فكُـن أنت ذامًّـا لنفسـك لمـا تَعْلَمُـه منْها

الرندي :

ذمُّ العبـدِ لنفسـه واحتقارُهـا لمـا يتحققـه مـن عيوبهـا وآفاتهـا مطلـوب منـه ؛ لأن ذلك يؤديـه إلـى الحـذر من غرورهـا وشـرورها ، فتصلح بسـبب ذلـك أعماله وتصـدق أحواله ، وإلا فسـدت عليـه واعتلـت ؛ لدخـول الآفات عليهـا ، ولا يصدنّـه عن ذلك ثنـاء الناس عليه ومدحهـم لـه ؛ لأنـه يعلـم من عيوب نفسـه مـا لا يعلمه غيـره ، فينبغـي أن يقوم هـو بحق ما يجـب عليـه من اتهام نفسـه وسـوء اعتقاده فيهـا[2] .

زرُّوق :

مَـدْحُ النـاس للعبـد ، على حسـب ظنهم فيـه من الخيـر والصلاح ، الـذي اقتضاه ظاهر حالـه ، لا يدفـع مـا هـو عليه مـن النقص في جميـع أحوالـه ، فوجب أن لا يقـف في مدحهم ولا يلتفـت إليهـم ، بل يذم نفسـه بما يعلمـه منها[3] .

الشرقاوي :

النـاس يمدحونـك لمـا يظنـون فيـك من الأوصـاف الحميـدة ، فـلا تغتر بمـدح الناس لـك وثنائهـم عليـك ، بـل ارجـع على نفسـك باللـوم والـذمّ علـى تلبُّسـها بخلاف مـا يظن الناس فيـك[4] .

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 170 ، 171 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 327) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 315 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 137 .

ابن عجيبة :

إذا مدحك الناس بشيء ليس هو موجودًا فيك ، فاعلم أن ذلك هواتف من الحق يهتفون بك ويحوشونك إلى الزيادة ، ويقولون لك : الخير أمامك ، فلا تقنع بذلك ، ولا تركن إلى ما هنالك ، بل ارجع إلى نفسك باللوم ، ولا يغرنك ثناء القوم ؛ فإنهم لا يعلمون منك إلا الصوان الظاهر ، وأنت تعلم من نفسك اللبّ الباطن[1] .

الشرنوبي :

الناس إنما يمدحونك لما يظنونه فيك من الأوصاف الحميدة ، فكن أنت ذامًّا لنفسك ؛ لما تعلمه منها من العيوب والقبائح العديدة ، ولا تغتر على كل حال من الأحوال بمدح المادح ، فإنه السمُّ القتَّال ؛ لأن من فرح بمدح نفسه أوقعها في الغرور ، وساق إليها ما لا يطاق من أنواع الشرور[2] .



الرندي :

المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يُمْدح أو يُثنى عليه ، فإذا أثنى الناس عليه ، استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم وإجلال أن يُثني عليه بصفة ليس فيه فيزداد بذلك مقتًا لنفسه ، ويقوى عنده رؤية إحسان الله تعالى إليه[3] .

زرُّوق :

المؤمن الكامل إذا مُدح بما فيه ، أو بما ليس فيه ، فإنه إن مُدح بما فيه فليس منه ، فيستحي من الله تعالى أن قد ستره فيما هو فيه ، وهو يجري عليه ثناءه الجميل بما لم يكن من شأنه ، فهو لا يشهده من نفسه وجودًا ، وإن كان موجودًا فكيف بشهوده موجودًا ولا وجود[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 284 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 172 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 328 ، 329) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 317 .

ابن عجيبة :

مـن تمـام نعمـة الله عليـك أن خلق فيك ونسـب إليـك ، فإذا أُطْلِـق الثناءُ عليك بشـيء لا نسـبة لـك فيـه ، فاسـتحي منه تعالـى أن يُثني عليك بشـيء تعلمـه أنه من فعل غيـرك[1] .

الشرنوبي :

المؤمن الحقيقي إذا مدحه الناس بوصف ليس فيه ، عدَّ ذلك من إحسان الله عليه ، واستحيا منه تعالى أن يُثني الناس عليه بوصف محمود لا يشهده من نفسه ، فيرجع على نفسه بالمقت والاستحقار ، ويكثر الشكر لربه الذي أظهر له محاسن عند الناس ، لم يكن له عليها اشتهار ، فينال بذلك الشكر المزيد مع سلامته من السكون إلى ثناء العبيد[2] .



الرندي :

الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة ، وذلك من علامات المقت ؛ لأن المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به ، وهو على كل حال أعلم بنفسه[3] .

زرّوق :

يقيـن مـا عنـده هـو ما عليـه من ذنوبـه وعيوبـه ، وظن مـا عند النـاس هو ما ظهـر عليه مـن خالـص أعمالـه وصالـح أحوالـه ، ويقين مـا عنده عجـزه ونقصـه وتقصيره وإسـاءته ، وظـن مـا عنـد الناس كـون ذلك منـه حقيقـة ، والخروج عن ذلـك كلّه إنمـا هو بالثنـاء على الله لأجل سـتره[4] .

الشرقاوي :

أشـد النـاس جهـلًا منْ تـرك اليقيـن الـذي عنـده ، وهو علمـه بعيـوب نفسـه وتقصيره مـع ربـه ؛ لأجـل ظن النـاس صـلاحَ حاله حتـى مدحـوه وأثنوا عليـه ، فـإذا اغتـر الممدوح

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 285 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 172 .

(3) غيث المواهب العلية : (1 / 329) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 318 .

واعتقد استحقاقه لما مدح به كان أجهل الناس ؛ لأنه ألغى اليقين وقدَّم الظن عليه ، وقدم ما عند غيره على ما عند نفسه[1] .



الرندي :

إذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء عليه ، ولا أهلية فيه لذلك ، فينبغي أن يعرف الحق لأهله ، فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ؛ ليكون شكرًا لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليه[2] .

زرُّوق :

إذا أُطلق الثناء عليك عمومًا أو خصوصًا بأمر عام أوخاص ، ولم تر نفسك أهلًا له من حيث نقصك وقصورك ، فارجع لمولاك بالثناء عليه ، إذ أظهر عليك ما لست بأهل له من حيث ذاتك ذاكرًا نعمته فيما واجهك به من ذلك ؛ إذ ستر القبيح وأظهر الجميل[3] .

الشرنوبي :

إذا أطلق مولاك ألسنة الناس بالثناء عليك ، ولست بأهل للثناء ؛ لعلمك بعيوب نفسك وتقصيرها كما هو شأن المؤمن ، فأثن عليه سبحانه بما هو أهله شكرًا لنعمة إطلاق الألسن بالثناء عليك ، حيث ستر القبيح ، وأظهر المليح ، ولا تغترَّ بمدح المادحين ، فتهلك مع الهالكين[4] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 138 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 330) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 319 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 173 .

146

الزُّهَّادُ إذا مُدِحُوا انْقبَضُوا لِشُهُودِهم الثَّناء مِنَ الخَلقِ ، والعَارِفُون إذا مُدِحُوا انْبَسَطُوا لِشُهُودِهِم ذلك من المَلِكِ الحَقِّ

الرندي :

الزُّهاد إذا مُدحوا وأُثني عليهم ، شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك ؛ لأنهم يخافون فوات نصيبهم من ربِّهم ؛ لأجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك ، والعارفون حاضرون مع ربِّهم ، فهم لا يشاهدون معه غيره ، فإذا مُدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك ، وكان ذلك مزيدًا في حالهم[1] .

زرُّوق :

العارف يرى الخلق أقلام الحق ، إذا أثنوا عليه فرح بذلك من حيث مولاهم ، لا من حيث هم فيزيده ذلك كرًّا لمولاه وسكونًا إليه ، وفرارًا مما سواه ، وغير العارف يرى أفعالهم من حيث هم فيُقْبِلُ ويدبر بحسب ما يوجهه منهم ، فإن كان راغبًا فرح بالمدح فيكون ذبحًا ؛ لكونه يدعوه لمراءاتهم ، والتصنع لهم ، وإن كان زاهدًا لم يقبل ذلك منهم ، بل يسكن لذمِّهم أكثر من مَدْحهم ، ولإدبارهم أكثر من إقبالهم رجوعًا[2] .

ابن عجيبة :

العباد والزهاد محجوبون برؤية الخلق عن شهود الحق ، فإذا مدحوا شهدوا ذلك من الخلق ، وحجبوا عن الجمع بالفرق فانقبضوا وخافوا على نفوسهم أن تغتر بذلك أو تقف هنالك ، وهم عاملون على ما تموت به نفوسهم وتحيا به قلوبهم ، أما العارفون إذا أُثني عليهم رأوا ألسنة الخلق أقلام الحق وشهدوا الجمع في عين الفرق ، ففرحوا بمدح مولاهم وانبسطوا عند من تولاهم ، فيزدادون له حبًّا وشوقًا[3] .

الشرنوبي :

الزهّاد الذين هم في غيبة عنه تعالى ، إذا مدحهم المادح انقبضوا خوفًا من الاغترار القاطع لهم عن الله ؛ لشهودهم الثناء صادرًا من الخلق ، والعارفون الحاضرون مع ربهم إذا مدحوا انبسطوا ؛ لشهودهم ذلك من الملك الحق ؛ لأنهم لا يشاهدون معه غيره[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 330) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 320 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 287 ، 288 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 173 .

147

متى كُنْت إذا أُعْطيت بسَطكَ العَطَاء ، وإذا مُنِعْت قبضكَ المنْعُ فاستدلَّ بذلك على ثُبُوت طُفولِيَّتك ، وعدم صِدْقِك في عبوديتك

الرندي :

القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله ، وهو مناقض للعبودية عند العارفين ، فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته ، وأنه طفيلي بين أهل الله تعالى في ادّعائه مقاماتهم ، وهو لم يُؤهل لها ، **والطفيلي** : هو الذي يأتي الولائم والضيافات من غير دعوة[1] .

زرُّوق :

هذه علامة يَعْرف بها المريد حاله في العطاء والمنع والمدح والذم ؛ فإذا كان يقبل ذلك ويرده من حيث الطبع والعادة ، ومن حيث هو إقبال وإدبار ، فذلك دليل نقصه ؛ إذ هو كالطفل في إقباله وإدباره لا يشعر بما وراء العطاء والمنع ، ولا يفرح ولا يحزن إلا لهما ، وهو من مراعاته للخلق في حاله ، فيحتاج لمقابلتهم بالقبض من الفرار من المدح والفرح بالذم حتى يستوي عنده الحالان ، وعلامة صدقه وجود العدل في الرضا والغضب[2] .

الشرقاوي :

متى كنت إذا أُعطيت بسطك العطاء ، وإذا مُنعْتَ قبضك المنْعُ ، فاستدل بذلك على تطفُّلك على أهل الله ولست منهم ، بل أنت داخلٌ معهم في أمر لا تستحقه ، وعدم صدقك في عبوديتك ؛ لأن القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ ، والعمل على نيله ، وهو مناقض للعبودية عند العارفين[3] .

ابن عجيبة :

إذا أُعطيت حظوظك ومناك ، واتصلت بعوائدك وهواك ، من الغنى والعز والجاه والبسط والصحة والعافية ، انبسطت وفرحت ، وإذا مُنعت من حظوظك وشهواتك ، وأبدلك الله تعالى الغنى بالفقر والعز بالذل ، والجاه بالخمول ، والبسط بالقبض ، والصحة بالمرض ، والعافية بالبلية ، انقبضت وجزعت ، فاستدلَّ بذلك على ثبوت تطفلك ، وعدم صدقك في عبوديتك ؛ إذ الصدق في العبودية يقتضي استواء النعمة والبلية[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 332) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 322 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 140 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 290 .

إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببًا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربِّك ، فقد يكون ذلك آخر ذنب قُدِّر عليك

الرندي :

الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة ، إذا جرى القدر عليه بذلك ، وإنما يناقضها الإصرار عليه ، فإذا وقع من العبد ذنب فينبغي له أن يبادر إلى التوبة منه ، ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربِّه ، ويرى أنه طرده وأبعده عن رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى ؛ لأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدّر عليه[1] .

زرُّوق :

اجعل ما وقع منك من ذنب مفتاح الرجوع إليه بالتوبة والإنابة رجاءً في الله وخوفًا منه ؛ لأن اليأس من رحمة الله كوجود الاغترار بالله ، ولا يُعظِّم الشيطان عندك الأمر بما عسى أن يكون تقدَّم لك من كسر التوبة ، فإن الله لا يتعاظمه ذنب يغفره ، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدّر عليك ، وذلك بأن يصرفك الحق عنه ، أو يصرفه عنك[2] .

الشرقاوي :

إذا وقع منك ذنب على حسب مقامك ، فلا يكن سببًا يقتضي يأسك من حصول اعتدال أحوالك مع ربك ، بأن تعتقد بسبب صدور الذنب منك أن حصول الاستقامة لك مستحيل ، فيحملك ذلك على تعاطي غيره من الذنوب ، وهذا غلط ؛ لأن الاستقامة على العبودية لا يناقضها فِعْلُ الذنب على سبيل الفلتة والهفوة ، فالواجب عليك أن تتوب إلى مولاك ، ولا تيأس من رحمته ، فقد يكون ذلك آخر ذنب قُدِّر عليك ، ويُقبل عليك المولى بعد ذلك بتوفيقه وإحسانه[3] .

ابن عجيبة :

السائر الصّديق أو الواصل إلى التحقيق كالراكب المغير جادًّا ، فإذا وقعت منه كبوة أو صدرت منه عثرة استوى على جواده ، واستمر على إغارته في طلب مراده ، فإذا وقع منك أيها الفقير ذنب فلا يكن سببًا في قطعك عن الله فيتضاعف عليك وبال المعصية ، فقد يكون ذلك رحمة بك ، فإذا سقطت نهضت ، وإذا قمت جددت ، وقد يكون ذلك آخر ذنب قدَّره الله عليك[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 332) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 322 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 141 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 293 .

إذا أَرَدْتَ أنْ يَفْتح لك بابَ الرَّجاءِ فَاشْهَدْ مَامِنْهُ إليك ؛ وإذا أَرَدْت أَنْ يَفْتَحَ لكَ بابَ الخَوفِ فاشْهَدْ ما مِنكَ إليه

الرندي :

الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين ، فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء ، فليشهد ما من الله من الفضل والكرم والإسعاف والألطاف ، فسيغلب عليه حينئذٍ حال الرجاء ، ومن أراد أن يفتح له باب الخوف ، فليشهد ما منه إلى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الأدب بين يديه ، فسيغلب عليه حينئذٍ حال الخوف[1] .

زرُّوق :

إن أردت أن ينْفتحَ لك كلٌّ من باب الرجاء وباب الخوف فاشهد كلَّ واحد في عين الآخر ، وعند ذلك يستوي رجاؤك وخوفك فتكون على كمالٍ في حالك ، والذي منه إليك نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة إبعاد البليَّات والمحن ، وإنما يتحقق شهود كلٍّ بذكر النعم أو ضدِّها تفصيلًا وإلزامها دليلًا ، وتكراره الذكر بكرة وأصيلًا ، وينتفي بالاشتغال بوجه الحكم والحكمة في الواقع ، والقناعة بالجملة قبل التفصيل ، فإنه يزيد في الجرأة ولا يشفي غلَّة ، فاعتبار ذلك بالحفظ والذكر ، حتى يشكر النعمة ويتبرأ من وجود النقمة[2] .

الشرقاوي :

إذا أردت أن يفتح الله لك باب الرجاء فيه ، فاستحضر في نفسك ما هو واصل منه إليك ، من جلب المنافع ودفع المضار ، من حين كونك في بطن أمك إلى الوقت الذي أنت فيه ، فإذا شهدت ذلك غلب عليك حال الرجاء فيه ، وعدم اليأس من رحمته ، ولو مع الوقوع في الذنب ، وإذا غلب عليك الرجاء وخفت أن يوقعك ذلك في مخالفاته ، وأردت أن يفتح لك باب الحزن ليَكفَّكَ عن ذلك ، فاستحضر في نفسك ما هو واصل منك إليه من المخالفات والعصيان وسوء الأدب بين يديه ، فإذا شهدت ذلك غلب عليك حال الحزن فتنكفُّ عن مخالفته[3] .

ابن عجيبة :

إذا أردت أيها الإنسان أن يتقوى رجاؤك في الكريم المنان ، فاشهد ما منَّه إليك من الإحسان ، وإذا أردت أن ينفتح لك باب الحزن والخوف ، فاشهد ما مِنك إليه من الإساءة

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 333 ، 334) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 327 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 142 .

والتقصير في العبادة أو من موافقة الشهوة ، فإنك إن شهدت ذلك دام حزنك وقوي خوفك ، وربما كان سببًا في سوء ظنك بربك فتزل قدم بعد ثبوتها[1] .



الرندي :

ينبغي للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه في ليل القبض ، كما يعرفها في إشراق نهار البسط ؛ لما يعلم أن في الليل من المنافع ما ليس في النهار ، فليكلْ علم ذلك إلى ربه وليحسنْ ظنَّه به ، فإنه لا يدري أيهما أقرب نفعًا ، كما أشار إليه بالآية الكريمة[2] .

زرُّوق :

ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط ، وربما كان العكس ، فاقبل ما واجهك منهما من غير مبالاة بغيره ، واقبل في ذلك ما قال الله تعالى في حق الآباء والأبناء ، فأشار بالآية إلى أن البسط من بساط الجمال وهو أصل وجودنا فهو بمثابة الأب ، والقبض نتيجة أفعالنا فهو بمثابة الابن[3] .

الشرقاوي :

ربما أفادك في القبض ، الشبيه بالليل بجامع السكون في كلٍّ ، ما لم تستفده ، أي علومًا ومعارف لم تستفدهما ، في إشراق البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار في كلٍّ ، فينبغي للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه في حال القبض كما يعرفها في حال البسط ، وأن يكل كل ذلك إلى ربه ، ويحسن ظنه به ، فإنه لا يدري أيهما أقرب نفعًا[4] .

ابن عجيبة :

القبض والبسط حالتان يتعاقبان على الإنسان كتعاقب الليل والنهار ، فالليل محلُّ السكون والقرار ، والنهار محل التحرك والانتشار ، فربما أفادك في ليل القبض من انخناس

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 294 .
(2) غيث المواهب العلية : (1 / 334) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 329 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 143 .

النفس وذهاب الحس وموالاة الأنس ما لا تستفيده في نهار البسط ، من تحصيل العلوم وتحقيق الفنون ومجالسة الأخيار ومخالطة الأبرار ، فالقبض له فوائد والبسط له فوائد ، والعبد لا يدري أيهما أقرب له نفعًا[1] .

الشرنوبي :

ربما أفادك مولاك من المعارف والأسرار في حال القبض الشبيه بالليل ، بجامع السكون في كل ، ما لم تستفده في إشراق البسط الشبيه بالنهار ، بجامع الانتشار ، فإن صاحب البسط يحب نشر ما عنده من الأسرار والمعارف ، وربما حصل له الحجب بذلك ، بخلاف صاحب القبض ، ولكن الأولى له أن يكل الأمر إلى مولاه ، ويختار ما يختاره له سيده ويرضاه ، فإنه لا يدري أيهما أقرب إليه نفعًا[2] .



151
مَطَالِعُ الأَنْوَارِ القُلُوبُ وَالأَسْرَارُ

الرندي :

نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد ، مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم ، وهذه هي الأنوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الأنوار الحسية[3] .

زرُّوق :

مطالع الأنوار القلوب والأسرار ؛ لأن أصلها فهم أو علم ، فالفهوم للقلوب والعلوم للأسرار[4] .

الشرقاوي :

القلوبُ مواضع طلوع وشروق الأنوار المعنوية ، وهي نجوم العلم وأقمار المعرفة ، وشموس التوحيد قلوب العارفين وأسرارهم ، فهي كالسماء التي تشرق فيها الكواكب وتطلع فيها[5] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 295 .
(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 175 .
(3) غيث المواهب العلية : (1 / 334) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 330 .
(5) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 143 .

ابن عجيبة :

النفوس والعقول الظلمة غالبة عليهما ؛ لانهماكهما في الحس وفنائهما في الغلس والخنس ، فليستا مطلعًا لشيء من النور ؛ لعدم توجههما إلى الكريم الغفور ، وأما القلب والروح والسر فهي مطالع الأنوار ؛ إلا أن القلب مطلع لأنوار التوجه ، والروح والسر مطلعان لأنوار المواجهة[1] .



152

نُورٌ مُسْتَوْدَعٌ فِي القُلُوبِ ، مَدَدُهُ مِنَ النُّورِ الوَارِدِ مِنْ خَزَائِنِ الغُيُوبِ

الرندي :

نور اليقين المستودع في القلوب ، يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب ، وهو نور الأوصاف الأزلية[2] .

زرُّوق :

النور المستودع في القلوب هو المطبوع في باطن القلب الفائض من نور مشاهدة يوم الميثاق ، فهو للقلب بمثابة نور العين به تبصر ، لكن بعد ورود نور الإلهام الوارد من خزائن الغيوب ، الذي هو بمثابة الشمس المنبسطة على المنظور فيه ، ولا يحصل الإبصار إلا باجتماعهما[3] .

ابن عجيبة :

النور المستودع في القلوب هو نور اليقين ، ويكون أولًا ضعيفًا كنور النجوم وهو نور الإسلام ، ثم لا يزال يتقوى ويستمد من النور الوارد من خزائن الغيوب حتى يكون كنور القمر ، وهو نور الإيمان ، ثم لا يزال ينمو بالطاعة والذكر والصحبة حتى يكون كنور الشمس وهو نور الإحسان[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 296 .

(2) غيث المواهب العلية : (1 / 335) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 331 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 297 .

153

نُورٌ يَكْشِفُ لَكَ بِهِ عَنْ آثَارِهِ ، وَنُورٌ يَكْشِفُ لَكَ بِهِ عَنْ أَوْصَافِهِ

الرندي :

النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن آثاره ، وهي الأكوان المحدثة ، وليس لك إلى ذلك كبير حاجة إلا من حيث تستدلُّ به على المؤثر ، والنور المستودع في القلوب يكشف لك به عن أوصافه الأزلية حتى تراها عيانًا ، وفي هذا غاية بغيتك ، وبه شرف قدرك ومنزلتك[1] .

زرُّوق :

النوران كلاهما باطنان ، فإذا كشف لك به عن آثاره رأيتها على ما يليق بها من النقص والزوال في هذا الدار ، وعلى ما هي عليه من البقاء والدوام والكمال في تلك الدار ، فترجو وتخاف وتطلب النجاة والثواب لعلمك بالدنيا وانقراضها وعلمك بالآخرة ودوامها ، وما أعدَّه الله لمن أطاعه وما توعّد به لمن عصاه ، وإذا كشف لك عن أوصافه تعالى رأيت النقص في كل شيء بكماله ، بل فناء كل شيء في وجوده[2] .

ابن عجيبة :

النور الحسي يكشف عن المحسوسات ، والنور المعنوي يكشف عن المفهومات ، فنور الإسلام هو كالنجوم يكشف لك الحق تعالى به عن وجود آثاره فتستدل بها على صانعها ، ونور الإيمان يكشف لك به عن ثبوت أوصافه ، ونور الإحسان يكشف لك به عن حقيقة ذاته ، فلا ترى شيئًا إلا رأيت صانعه فيه بواسطة تجلياته[3] .

الشرنوبي :

النور المدرك بالحواس كنور الشمس والقمر يكشف لك به عن آثاره ، وهي الأكوان ، فتستدل بالأثر على المؤثر ، أما النور الذي يكشف لك به عن أوصافه ، فهو المستودع في القلوب من نور اليقين ، الذي يكشف لك به عن أوصافه الأزلية الجمالية والجلالية ، حتى تراها عيانًا ، ولا تحتاج معه إلى دليل ، فإنك تشهد به المؤثِّر ، وشتان بين النورين[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 336) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 332 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 298 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 177 .

154

رُبَّما وَقَفَتِ القُلُوب مَعَ الأنْوار ، كمَا حُجِبَتِ النُّفُوس لِكَثَائِفِ الأغيَار

الرندي :

القلوب نورانية ، فتحتجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم والمعارف، والنفوس ظلمانية ، فتحتجب بمحبتها لكثائف الأغيار الظلمانية من العادات والشهوات ، فالقلوب محجوبة بالأنوار ، كما أن النفوس محجوبة بالظلمات[1] .

زرُّوق :

قد تقف القلوب مع الأنوار فَتُحْجَب عن المنوِّر بوقوفها ، كما تقف النفوس مع الأغيار فَتُحْجَب بوجودها عن الأنوار[2] .

الشرقاوي :

ربما وقفت القلوب مع الأنوار فتحتجب بها ، وتُعطل عن السير إلى الله تعالى ، كما حُجبت النفوس بالشهوات واللذات ، التي هي غير المولى سبحانه وتعالى ، فالحجاب عن المولى قسمان : نوراني ، وهي العلوم والمعارف إذا وقفت القلوب معها وركنت إليها وجعلتها غاي مقصدها ، وظلماني : وهو شهوات النفوس وعاداتها ، ووصفها بالكثافة ؛ لأنها لا تزول إلا بمعاناة ومشقة[3] .

ابن عجيبة :

قد تقف بعض القلوب مع أنوار المقامات دون الوصول إلى الغايات ، فتحجب عن الوصول ، كما حجبت النفوس بكثافة المحسوسات عن إدراك لطائف المعاني والمفهومات[4].

الشرنوبي :

ربما وقفت عن سيرها القلوب ، وهي نورانية ، مع الأنوار التي هي لطائف الأغيار من العلوم والأسرار الربَّانية ، فتُحجَب بها كما حُجبت النفوس ، وهي ظلمانية ، بكثائف الأغيار ، كالشهوات والعادات الإنسانية ، فالأنوار حجاب نوراني ، والعادات والشهوات حجاب ظلماني ، والحقُّ وراء ذلك كلِّه[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 336 ، 337) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 333 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 145 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 299 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 177 .

155

سَتَرَ أَنْوَارَ السَّرَائِرِ بِكَثَائِفِ الظَّوَاهِرِ ؛ إِجْلالًا لَهَا أن تُبْتَذَل بِوُجُودِ الإِظْهارِ ، وأن يُنَادَى عَلَيْها بِلِسَانِ الاشْتِهارِ

الرندي :

أنوار السرائر إنما خفيت عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر ، مع أن الظهور التام لا ينبغي أن يكون إلا لها ؛ لأنها رفيعة القدر جليلة الخطر ، فأجلَّها عن الابتذال بها بوجود إظهارها ، وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار ، فيكون نوعًا من الإهانة بها[1] .

زرّوق :

ستر الله تعالى أنوار السرائر التي هي ما يتحقق به الأولياء والعارفون من أحوال المنازلات ، ومنازلات الأحوال ، وحقائق المعارف ، ومعارف الحقائق بكثائف الظواهر وظواهر الكثائف ، التي هي أوصاف البشرية ؛ إذ جعلها مظهرًا لها وموقفًا فيها وغير منفكة عنها[2] .

الشرقاوي :

سَتَرَ أنوار قلوب أوليائه بالأحوال التي يتلبَّسونها في ظواهرهم ويتعاطونها من الصنائع وغيرها ، فإن تلك الأحوال حاجبة لغيرهم عن الاطلاع على أنوار قلوبهم ، وإنما سَتَرَ تلك الأنوار لأنها رفيعة القدر ، جليلة الخطر ، فأجَلَّها عن الابتذال لها بوجود إظهارها ، وصانها من أن يُنادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك نوعًا من الإهانة بها[3] .

ابن عجيبة :

أنوار السرائر هي العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، أو هي الحرية الباطنية ، وكثائف الظواهر هي البشرية الظاهرة أو هي العبودية الظاهرة ، فأنوار السرائر معانٍ لطيفة رقيقة سترها الله تعالى بالكثائف الظاهرة ؛ ولذلك وقع الإنكار على أهلها قديمًا وحديثًا ، ووقع الإنكار على أولياء الله سنة ماضية ، وحكمة ذلك إجلال وتعظيم لها أن تبتذل ، وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار فلا يبقى لها سرٌّ ولا عزٌّ[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (1 / 337) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 335 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 146 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 301 .

سُبْحَانَ مَنْ لم يَجْعل الدَّلِيل عَلَى أوْليَائِه إلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّليلُ عَلَيْه ، ولَمْ يُوصِلْ إِليْهم إلا مَنْ أَرَاد أن يُوصِلَهُ إِليْه

الرندي :

لا دليـل علـى الله سـواه ، ولا وصـول إليه بغيره ، وكذلـك أولياؤه ، ولمـا كان الوصول إلـى اللـه تعالى لا يكون إلا بالعناية والخصوصية ، ويسـتحيل أن يكون بطلب أو سـبب كان أوليـاؤه المخصوصـون بالقـرب منـه ، كذلـك لمّـا خلع عليهـم الخِلـعَ العظيمـة ، وتولاهم بمننـه الجسـيمة ، فاصطفاهـم لنفسـه ، واختصهـم بمحبتـه وأُنسـه ، وطهَّـر أسـرارهم مـن أنجـاس الأغيـار ، فكانـوا صفوته في عبـاده[1] .

زرُّوق :

كما أن الله تعالى لا يُعرف إلا بما ظهر من أفعاله ، كذلك الولي لا يُعرف إلا بما بدا من أوصافه ، وكما أن الله لا يُعرف إلا بتوفيقه كذلك لا يعرف الولي إلا من عرف الولاية ، ولا يعرفها إلا من صدق بالاختصاص ، وذلك من اتساع الإيمان بالقدرة ، والمراد بالوصول هنا معرفة الولي بوجه يقتضي القيام بحق حرمته والوقوف عند أمره ونهيه ، والتعلق بحاله وهمته ، ولا شك أن ذلك مفتاح الوصول[2] .

الشرقاوي :

سـبحان مـن لـم يجعـل الاهتـداء والوصـول والاسـتدلال علـى أوليائـه إلا مـن جهـة الدليـل عليـه ، أي أنـه مماثـل لذلـك ، فكمـا أن اللـه محتجـب بالأكـوان عـن المخلوقيـن فاهتـداؤ هـم إليـه ووصولهـم إلـى معرفتـه أمـرٌ عسـير يُتعجَّـب منـه ، كذلـك الولي مسـتتر بكثائـف الظواهـر ، فـإذا أراد اللـه تعالـى أن يُعرِّفـك بوليٍّ مـن أوليائه لتنتفع بـه ، طوى عنك وجـود بشـريته وأشـهدك وجود خصوصيتـه ، ولم يعرِّف بهـم ويجمِّع عليهم إلا مـن أراد أن يوصله إليـه[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 5) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 439 ، 440 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 147 .



157
رُبَّما أَطْلَعك على غَيْب مَلَكُوته ، وحَجَب عنك الاسْتِشْراف على أسرار العباد

الرندي :

من لطف الله تعالى إخفاء أسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سرّ يقتضي وجود عيب ، وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الأسرار الملكوتية[1] .

زرُّوق :

ربما أكرمك الحق سبحانه بالاطلاع على غير الملكوت ، الذي هو الاطلاع على مكنون العلم ودقائق المعارف ، ومع ذلك لم يطلعك على شيء من أسرار العباد ، رحمة بك وبهم وإبقاء عليك وعليهم ، فما فُتح لك خير مما حجب عنك[2] .

الشرقاوي :

ربما أطلعك على ملكوته الغائب عنك ، كالذي فوق السماء وتحت الأرض ، وحجب عنك الاطلاع على ما في قلوب العباد من خير أو شر ، وذلك من لطف الله بك ؛ لأن من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية ، بأن يستر على المذنبين ، كان اطلاعه فتنة عليه[3] .

ابن عجيبة :

ربما كشف الله عنك الحجاب وترقّيت إلى الدخول مع الأحباب ، فأخرجك من سجن رؤية الأكوان إلى شهود المكوِّن ، ومن عالم الأشباح إلى عالم الأرواح ، فأطلعك على غيب ملكوته فأبصرت الكون كله نورًا ، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد رحمة بك ؛ لأنك قد تحجب بذلك عن شهود الملكوت[4] .

الشرنوبي :

ربما أطلعك مولاك على ملكوته الغائب عنك كالجنة والنّار والعرش والكرسي ، وحجب عنك الاطلاع على أسرار العباد وما في قلوبهم من خير أو شر لطفًا منه تعالى بك ، فإنك رُبّما اطلعت على معصية ، فبادرت بمعاقبة صاحبها وعدم رحمته ، فتقع في الفتنة[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 7) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 342 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 148 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 306 .
(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 179 .



مَن اطّلع على أسرار العباد ، ولم يَتَخلَّق بالرحمة الإلهيَّة كان اطلاعه فتنة عليه ، وسَببًا لجر الوبال إليه

الرندي :

المطّلع على السرائر التي تقتضي وجود العيب ، إذا لم يتخلّق صاحبه بالرحمة الإلهية فيرحم المذنبين ، ويحلم على الظالمين ، ويصفح عن الجاهلين ، ويُحسن إلى المُسيئين، ويرأف بعباد الله أجمعين ؛ فإنه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه ؛ لأن ذلك يؤديه إلى رؤية نفسه والعجب بعمله ، وهذا أعظم الفتنة ، ويكون ذلك سببًا إلى جرّ الوبال إليه[1] .

زرُّوق :

المتخلق بالرحمة الإلهية هو أن يكون واسع الرحمة لعباد الله ؛ يرحم المذنبين ، ويعطف على المساكين ، ويصفح عن الجاهلين ، ويحسن للمسيئين إذا كان خلقه القرآن ، فمن كان متخلقًا بهذا الخلق كان اطلاعه إكرامًا له ورحمة لعباد الله ، وإلا كان فتنة في الحال عليه ، وسببًا يجر إليه المكروه وسوء العقبى وهو الوبال[2] .

ابن عجيبة :

الاطلاع على أسرار العباد ، قبل التمكين في الشهود والتخلق بأخلاق الملك المعبود ، فتنة عظيمة وبلية ومصيبة ؛ لأنه قبل التمكين في المعرفة قد يشتغل بذلك قلبه ويتشوش خاطره ولبّه ، فيعتقد بذلك المزية على الناس فيدخله الكبر ، فكان اطلاعه حينئذ على أسرار العباد سببًا في جر العقوبة إليه[3] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (2/ 8 ، 9) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 343 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 307 .

159

حَـظُّ النَّفـس فـي المعصيـة ظاهـرٌ جلـيٌّ ، وحظُّهـا فـي الطَّاعـة بَاطِـن خَفِـيٌّ ، ومُـدَاوَاةُ مـا يَخْفـى صَعْـبٌ عِلاجُـهُ

الرندي :

النفس من شأنها أبدًا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق ، فهي لا تسعى إلا في ذلك ، ولو في عملها في الطاعات فضلًا عن المعاصي ، ومن حاسب نفسه تبين له مصداق هذا ، وقد تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر ، وإن كان هذا النوع الآخر أتمَّ فضيلة منه ، وما ذاك إلا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر[1] .

زرُّوق :

حـظ النفـس فـي المعصيـة فعـلًا واطلاعًـا ظاهـر جلـي ؛ لأنهـا مـن بسـاط الحظوظ ، ففعلهـا بحـظٍّ نفسـانيٍّ ، وحظهـا فـي الطاعـة باطـن خفـي فعـلًا واطلاعًا ؛ فـإن فعلهـا قُربةً ربمـا احتـوت على ريـاء أو قصد غـرض ، لكن ربما جَـرَّ لتزكيـة النفس ، والمقصـود هنا أن الطاعـة قـد تحتـوي علـى حظ كمـا تحتوي علـى المعصيـة ، لكنه خفـي لا ينظـر إلا بتدقيق ومسـاعدة مـن التوفيـق ، ومـداواة مـا يخفـى صعـب علاجـه ؛ لأن المـداواة تابعـة للمعرفة بأصـل العلـة وسـببها وعرضها ، فـلا يمكـن مداواتها إلا بمشـقة[2] .

الشرقاوي :

حـظ النفـس فـي المعصيـة كالزنا ظاهـر جلـيٌّ ، وهو التـذاذه بهـا ، وحظها فـي الطاعة باطـن خفـي ، لا يطلـع عليهـا إلا أرباب البصائـر ؛ لأن في الطاعة مشـقة عليها ، فـإذا أمرتك بهـا لـم تعلـم حظها فيهـا إلا بعـد تفتيـش ، ومـداواة حظوظها الخفيـة صعب علاجـه ؛ لأنه يحتـاج إلى دقة وفهـم ونفـوذ إدراك[3] .

ابن عجيبة :

حـظ النفـس مـن المعصيـة هـو المتعـة البشـرية الظاهـرة كالأكل والشـرب والنـكاح وسـماع اللهـو ، وحظهـا في الطاعـة هي طلـب الكرامات وخـوارق العادات ، ومـداواة هذا المـرض الخفـي أصعب مـن مـداواة الأول الجلـيِّ[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 9) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 344 ، 345 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 149 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 308 .



160

رُبَّما دخل الرِّيَاء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك

الرندي :

رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر ، لا يحتاج إلى أمارة عليه ، ورياؤه بعمله حيث لا يراه أحد أمرٌ خفي لا يُعرف إلا بالأمارات والعلامات ، بل هو أخفى من دبيب النمل[1] .

زرُّوق :

وذلك لأن الرياء راجع لرؤية العامل للخلق ، لا لرؤيتهم إياه ، فكل من نظر للخلق في عمله فهو مُراءٍ ، ولو كان في جوف بيت ، بل في صخرة مطبقة في قعر البحر ، ومن لم يداخله نظرٌ إليهم في أعمالهم بكل حال فهو مخلص ، ولو كان في وسط أهل الأرض بأجمعهم ، وسواء كان يعمل لأجلهم أو يترك لأجلهم[2] .

الشرقاوي :

الرياء كما يدخل في العمل ، إذا عمله صاحبه عند الناس ، ويسمى الرياء الجليَّ ، يدخل فيه إذا عمله وحده بأن يقصد به توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل ، فإذا وجد العبد هذه الأمارة في نفسه فليعلم أنه مراءٍ بعمله وإن أخفاه عن الناس ، ويسمى هذا الرياءَ الخفيَّ[3] .

ابن عجيبة :

الرياء هو طلب المنزلة عند الناس ، وقصد ذلك بعمل صالح ، سواء كان ذلك العمل ظاهرًا للناس وهو الغالب أو خفيًّا عنهم ، فقد يكون الرياء في العمل الخفي فيدخل الرياء عليك حيث لا ينظر أحد إليك ، وهذا أصعب من الأول ؛ لأنه أخفى من دبيب النمل[4] .

★ ★ ★

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 13) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 346 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 151 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 310 .

161

اسْتِشْـرَافُك أَنْ يَعْلـم الخَلْـق بخُصُوصِيَّـك دليـلٌ علـى عـدم صِدْقـك فـي عُبوديَّتـك

الرندي :

الخصوصية هنا : ما اختص الله تعالى به بعض عباده من علم نافع ، أو عمل صالح ، **وصدق العبودية فيه** : أن يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ، ولا يتطلع إلى أن يعرف بذلك أحدٌ من الخلق ، فيشغله حينئذٍ الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف إلى معرفة الخلق بذلك ، ويغار على حاله من رؤية الأغيار له ؛ ولهذا فضَّل عمل السر على عمل العلانية[1] .

زرُّوق :

استشـرافك أن يعلـم الخلـق بخصوصيتـك دليـل علـى عـدم صدقـك فـي عبوديتك ؛ لأنـك لـو كنـت صادقًـا مـع مولاك مـا أحببـت أن يـرى عملـك غيـره ، وإنما الخـلاص من الريـاء وغيـره بالنظـر إلـى الحـق ، ورفـض مـا سـواه بكل حـال[2] .

الشرقاوي :

ميلُـك ومحبتُـك إلـى أن يعلم الخلـق بما خصك الحق بـه من علم نافـع أو عمل صالح أو أحـوال باطنيـة ، دليـل علـى عـدم صدقك فـي عبوديتـك ؛ لأن الصـدق فـي العبودية هو طـرحُ الأخيـار وعدم الالتفات إليها رأسًـا ، فلو كنـت صادقًا في عبودية الـرب لقنعت بعلمه بـك ، ولـم تحـب أن يعلمـك غيره ، فتغـار على حالك مـن رؤية الأغيـار له[3] .

ابن عجيبة :

إذا خصـك الحـق تعالـى بخصوصيـة ؛ كزهـد أو ورع أو تـوكل أو محبـة ، وتمنيـت أن يعلـم الخلـق بخصوصيتـك بـأن يطلعوا علـى تلـك الخصوصية ، فذلـك دليل علـى وجود الريـاء الخفـي فـي باطنـك ، ولو كنـت صادقًـا فـي عبوديتك لاكتفيـت بعلم اللـه[4] .

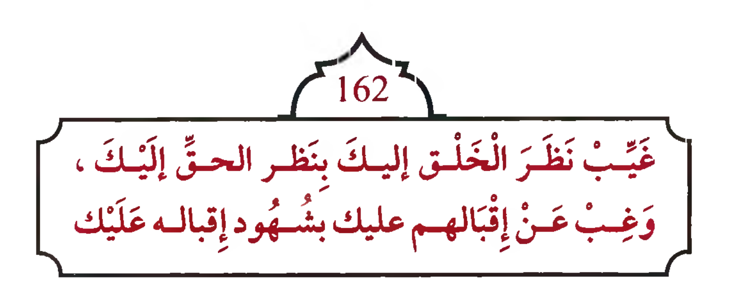
★ ★ ★

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 15) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 347 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 151 ، 152 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 312 .



162

غَيِّبْ نَظَرَ الْخَلْق إليكَ بِنَظر الحقِّ إلَيْك ، وَغِبْ عَنْ إِقْبَالهم عليك بشُهُود إِقبالِه عَلَيْك

الرندي :

صدق عبودية العبد لله تعالى هو أن يكون له شعور بما من الخلق إليه ، من نظر وإقبال ، ولا تشوف إليه ولا طلب له ، وإنما يكون شعوره وتشوّفه وطلبه مقصورًا على ما منَّ الله إليه من نظره إليه وإقباله عليه ، فيغيب أدنى الحالين بأعلاهما ، وذلك بأن يعلم أن ما من الخلق إليه أمر وهميّ باطل ينقاد إليه كل ذي عقل قاصر[1] .

زرُّوق :

لا تنظر لنظر الخلق إليك ، وانظر لنظر الله إليك ؛ فإنه يراك في كل حال ، ويطلع على خفي الخفي من حالك ، والخلق لا يعلمون منك إلا الظاهر ، ثم إذا نظر إليك بالرحمة ، لم يضرك نظرهم بنقضها ، وإن نظرك بالنقمة لم ينفعك نظرهم بالرحمة ، فانظر لإقباله تعالى عليك بنسيان إقبال الخلق عليك ؛ حتى لا تبالي بهم في إقبال ولا إدبار اكتفاءً بربك[2] .

الشرقاوي :

لا تلتفت إلى نظر الخلق إليك ، ولا تطلبه ، ولا تخطره ببالك ، بل اجعله غائبًا عنك ، فلا يكن التفاتك وتشوُّفك إلا لنظر الله إليك ، فلا تلتفت إلى إقبالهم عليك ولا تطلبه ، بل لا يكون التفاتك وطلبك إلا لإقبال الله عليك[3] .

ابن عجيبة :

غيِّب عنك نظر الخلق إليك اكتفاء بنظر الحق إليك ، إذ لا نظر لسواه ، وغب عن إقبالهم عليك بالتعظيم والتكريم بشهود إقبال الملك الكريم ، فغب عن الوهم بثبوت العلم ، فإقبالك على الخلق إدبارك عن الحق ، وإدبارك عن الخلق إقبالك على الحق ، ولا يجتمعان[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 19 ، 20) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 348 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 152 ، 153 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 313 .

163

مـن عـرف الحـق شـهده فـي كل شـيء ، ومـن فنـي بـه غـاب عـن كل شـيء ، ومـن أحبّـه لـم يُؤثِـرْ عليـه شـيئًا

الرندي :

مـن عـرف الحق شـهده في كل شـيء ، فلا يسـتوحش من كل شـيء ، ويسـتأنس به كلُّ شـيء ، ومـن فنـي به غـاب عن كل شـيء ، فلا يكون منـه على الأشـياء اعتمـاد ، ولا له إليها اسـتناد ، ومـن أحبه لم يؤثر عليه شـيئًا مـن مراداته وشـهواته[1] .

زرُّوق :

مـن عـرف الحـق شـهده فـي كل شـيء ، فـكان كل شـيء عنده ولـه ، وبحسـب ذلك فهـو لاينظر لشـيء سـواه ؛ إذ محـال أن يراه ويشـهد معه سـواه ، ومن فني به غـاب عن كل شـيء ، **والفنـاء** : شـهود حـقٍّ بـلا خلق ، ومـن أحبه لـم يُؤثر عليه شـيئًا ، وذلـك لأن حقيقة المحبـة أَخْـذُ جمـال المحبـوب بحبة القلـب حتى لايدعـه لغيره في حـال مـن أحواله[2] .

الشرقاوي :

مـن تحقـق في مقـام المعرفـة باللـه رآه ظاهرًا فـي أعيان الموجـودات ، فلا يسـتوحش مـن شـيء ويأنـس بـه كل شـيء ، ومن تحقق فـي مقـام الفناء غاب عـن كل شـيء ، فلا يرى ظاهـرًا فـي الوجـود إلا اللـه ، ويغيب هو عن نفسـه وحسِّـهِ فلا يشـاهد لـه وجـودًا وتحققًا ، ومـن أحبه لـم يؤثر عليه شـيئًا مـن إراداته وشـهواته[3] .

ابن عجيبة :

معرفـة الحق هو شـهود ربوبيته فـي مظاهر عبوديتـك ، **والفناء** : هو أن تبـدو لك العظمة فتنسـيك كل شـيء وتغيّبك عن كل شـيء سـوى الواحـد الذي ليـس كمثله شـيء ، والمحبة أَخْـذُ الحـق قلـبَ مـن أحب من عبـاده ، فـلا يكون له عن نفسـه أخبـار ، ولا مع غيـر محبوبه قـرار ، فمـن عـرف الحق شـهده في كل شـيء ولـم ير معه شـيئًا ، ومـن فني به وانجـذب إلى حضرتـه غـاب في شـهود نـوره عن كل شـيء ، ولـم يثبـت مع الله شـيئًا[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 22) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 350 ، 351 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 153 ، 154 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 315 .



164
إِنَّمَا حَجَبَ الحَقَّ عَنْك شِدَّةُ قُرْبِهِ مِنْك

الرندي :

شـدة القـرب حجـاب ، كمـا أن شـدة البعـد حجـاب ؛ لأن شـدة قربـه منـك موجبـة لاضمحلالـك و ذهابـك ، والمضمحـل الذاهـب لا مناسـبة بينـه وبيـن الثابـت الموجـود ، فكيـف يـراه ؟!(1) .

زرُّوق :

قُرْبُ الحق سبحانه وتعالى ليس بالمداناة ولا بالمسافات ولا بالمناسبة ؛ لأن كلها محال عليه تعالى ؛ فهو إذن قُرب إحاطة بالعلم والقدرة والإرادة ، كما يليق بجلاله وكماله ، والحجب للخلق إنما وقع بوجودهم أو موجودهم ، ثم كلما اتسع موجودهم واتسعت مظاهر التصريف اشتد احتجابهم باشتغالهم ، وذلك من مظهر قرب الإحاطة ، فشدة القرب هي الحجاب عن القرب وعن المقرِّب(2) .

ابن عجيبة :

لا شـك أن شـدة القـرب توجـب الخفـاء كسـواد العين مـن الإنسـان ، فإن الإنسـان لا يُـدْرك سـواد عينـه لشـدَّة قربـه منـه ، والله تعالى أقـرب إليك مـن كل شـيء(3) .

الشرنوبي :

لمـا كان الحـق أقـرب إلـى العبـد من حبـل الوريـد ، كانت شِـدَّة القـرب حجابًـا ؛ لأن الحجـاب كمـا يكـون بشـدة البعـد يكـون بشـدَّة القـرب ، فـإن اليـد إذا قُربـت مـن البصـر والتصقـت بـه لـم يرهـا ، وكذلـك الـربُّ لـم نـره لإحاطته بنـا إحاطـة تامّـة(4) .



---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 22) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 353 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 316 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 182 .



165

إنَّما احْتَجَبَ لِشِدَّة ظُهُوره ، وخَفِيَ عَن الأَبْصَار لِعِظَم نُورِه

الرندي :

الحجاب ها هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور ، فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدّة ظهوره ، وخفي عن الأبصار لعظم نوره[1] .

زرّوق :

ظهور الحق سبحانه بأفعاله هو الذي يستر الخلائق عن رؤيته ، وذلك من ظهور نور أوصافه ، الذي هو أثرها المظهر لجميع الكائنات عن الرؤية المعنوية في هذه الدار ، وبقدر تعلقه بها يكون انصرافه في الآخرة حسب سنة الله تعالى ؛ فشدة الظهور هي المانع من الرؤية[2] .

الشرقاوي :

إنما حُجب اللهُ عنك لشدة ظهوره ؛ ولأن الحجاب كما يكون بشدة البعد يكون بشدة القرب ، فإن اليد إذا قرُبت من البصر والتصقت به لم يرها بخلاف ما إذا كانت بعيدة عنه ، وكذلك الرب لم نره لإحاطته بنا إحاطة تامة ، وإنما خفي عن الأبصار في الدنيا فلم تدركه ؛ لعظمة نوره[3] .

ابن عجيبة :

ذُكِر في حكمة خفائه مع شدة ظهوره ثلاثُ حكم ؛ **الأولى** : شدة القرب ، ولا شك أن شدة القرب توجب الخفاء كسواد العين ، **الثانية** : شدة ظهوره ، ولا شك أن شدة الظهور موجبة للخفاء ، **الثالثة** : شدة نوره ، ولا شك أن شدة النور موجبة لعدم الإدراك ، فإن البصر لا يقاوم النور الباهر[4] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 23) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 354 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 154 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 316 ، 317 .

لا يكـنْ طَلَبُـك تَسَـبُّبًا إلـى العَطَـاء منـه ، فَيَقِـلَّ فَهْمُـك عَنْه ، وَلْيَكُـنْ طَلَبُـك لإظْهَـارِ العُبُودِيَّـة ، وَقِيَامًـا بِحُقُـوق الرُّبُوبيَّـة

الرندي :

لـم يأمـر اللـه تعالـى عبـاده بالطلـب لـه والسـؤال منـه ، إلا لِيُظهـر افتقارهـم إليـه ، والخضـوع بيـن يديـه ؛ ليكـون ذلـك إظهـارًا لعبوديتهـم ، لا لأن يتسـببوا به إلـى حصول ما طلبـوه ونيـل مـا رغبـوه ممـا لهم فيـه منفعـة وحـظ[1] .

زرُّوق :

الطلـب على وجه التسـبب هـو أن ترى وقوع مـا تريده ملزومًـا به ، أو لازمًـا له ، بحكم سـنة اللـه تعالى علـى وجه لا ينفـك ، والحقيقـة أن تعتقد بـأن الدعاء عبودية اقترنت بسـبب الحاجـة كاقتـران الصـلاة بوقتهـا ، ورتبت عليهـا الإجابة كما رتـب ثواب الأعمـال ، وليكن طلبـك لإظهـار العبوديـة ، وقيامًـا بحقـوق الربوبيـة ، وهما متلازمـان ، بل كل واحـد منهما عيـن الآخـر ، فالصـدق في العبودية عيـنُ القيام بحقـوق الربوبيـة ، وبالعكس[2] .

الشرقاوي :

لا تقصـد بتوجهـك لـه بالدعـاء والأعمـال الصالحـة حصـول النـوال منـه ، وتعتقد أنه سـبب مؤثـر فـي ذلـك ، فـلا تفهـم السـر والحكمـة فـي أمـر اللـه عبـاده بالطلـب ، وليكـن طلبـك لإظهـار كونـك عبـدًا ذليـلًا ضعيفًـا لا غنـى لك عـن سـيدك ، فـإن الربوبيـة تقتضي التذلـل والخضـوع مـن المربـوب ، يعني أن اللـه تعالى لم يأمـر عباده بالطلب منـه إلا ليظهر افتقارهـم إليـه وتذللهـم بين يديـه[3] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 24) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 357 ، 358 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 155 .



167

كَيْـفَ يكـونُ طلبُـك اللاحِـق سـببًا فـي عَطَائِه السَّـابِق ؟!

الرندي :

هذا دليل على نفي السببية المذكورة ؛ لأن ما طلبه العبد أمر سابق في الأزل تقديره ، وطلبه أمر لا حق فيما لا يزال ، وكيف يكون اللاحق سببًا في وجود السابق ؟! وهل السبب أبدًا إلا متقدّم على المسبب ؟![1] .

زرّوق :

كيـف يكـون طلبـك اللاحق فيما لا يزال سـببًا فـي عطائه السـابق فـي الأزل ؟! ذلك لا يصـح أبـدًا ؛ لاسـتحالة تقديـم المتأخر وتأخيـر المتقدم ، وقد جـف القلم بما أنـت لاقٍ[2] .

ابن عجيبة :

العطاء السابق هو ما تعلق به علمه القديم قبل أن تظهر تجليات الأكوان ، ولا شك أن الله سبحانه قدّر في الأزل ما كان وما يكون إلى أبد الأبد ، فإذا علمت أيها الإنسان أن القضاء والقدر قد سبق رزقكَ وأجلكَ ، وأنه قد سبقت قسمتُك وجودَك فماذا تطلب ؟! وإذا طلبت فكيف يكون طلبك اللاحق سببًا في عطائه السابق ؟! إذ قد سبق منه العطاء قبل أن يكون منك الطلب[3] .



168

جَلَّ حُكْمُ الأزل أن ينضاف إلى العِلَل

الرندي :

حصـول مـا طلبـه الداعـي حكـم مِن اللـه تعالـى فـي الأزل ، فـلا يكـون سـببه الدعاء والسـؤال ؛ لأن أحـكام اللـه تعالـى تجـلُّ عـن أن تنْصـاف إلى علة أو سـبب ، من قِبـل أنّ له الإرادة المطلقـة والمشـيئة النافـذة ؛ فصُنعُـه علـة لكل شـيء ولا علـة لصنعه[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 25) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 359 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 320 ، 321 .

(4) غيث المواهب العلية : (2 / 25) .

زرّوق :

جلّ حكم الأزل أن يضاف إلى العلل ؛ لأن العلل محدثةٌ مسبوقة ، وحكم الأزل سابق غير مسبوق[1] .

الشرقاوي :

جلَّ ما حُكِمَ به في الأزل ، وعلقت إرادته وهو الإعطاء ، أن يُنسب لِعلَّة ، وهو الطلب ، أي أن يكون سببًا مؤثرًا فيه ، إن قيل : قد يكون ذلك الإعطاء معلقًا على الطلب فيكون سببًا فيه ، أُجِيبَ بأن السبب في الحقيقة هو تعلق إرادة الله في الأزل[2] .



عنايته فيك لا لشيء منك ، وأين كُنتَ حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ؟ لم يكن في أزله إخلاصُ أعمال ، ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال ، وعظيم النَّوال

الرندي :

عناية الله تعالى لك في الأزل ، حين لم تكن ، حين لا حين ، غير معللة بشيء كائن منك من إخلاص أعمال أو وجود أحوال تتوسل بجميع ذلك إليه ، وأين كنت إذ ذاك وأنت عدم محضٌ ، بل لم يكن هناك إلا محض كرمه وإفضاله وعظيم إحسانه ونواله لا غير[3] .

زرّوق :

أراد بعنايته فيك : ما أظهر فيك من اعتنائه بشأنك ؛ إذ أوجدك من العدم ، وأمدك بالنعم ، وهو غني عنك ، وذلك من غير استحقاق ولا وسيلة سابقة ؛ إذ كنت عدمًا محضًا ، ونفيًا صرفًا ، ولم تكن شيئًا مذكورًا ، فقابلتك عنايته بإيجادك وإيجاد ما أنت محتاج إليه ، وواجهتك رعايته ، والثواب يتعلق بالأعمال ، والأحوال بساط الكرامات ،

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 360 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 156 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 26) .

وهمـا الوسـائل عنـد الطلـب ، ولـم يكونـا في محـل القسـمة الأزلية ولا فـي وقتهـا ، وإذا لـم يكـن أزلًا إلا محـض الإفضـال وهو العطـاء بلا علة ، وعظيـم النوال وهو التفضل بلا سـبب ، فـلا يكون فـي الأزل إلا ذلـك[1] .

الشرقاوي :

تعلُّـق إرادتـه فـي الأزل بالإعطاء ، لا لشـيء وقع منـك اقتضى حصـول العناية كالدعاء والأعمـال الصالحـة ، وقـد كنـت معدومًا فـي الأزل ، ويلزم مـن ذلك عدم ما يصـدر منك ، ولـم يكـن في أزله أعمـال خالصة كالدعـاء والصلاة والصـوم ، بل لم يكن هنـاك إلا محض الإفضـال وعظيـم النـوال ، فالدعـاء ليـس سـببًا مؤثرًا فـي المطلـوب ، والأعمـال الصالحة ليسـت سـببًا مؤثرًا فـي عناية اللـه ، أي دخول الجنـة أو النجاة مـن النار[2] .

ابن عجيبة :

عنايتـه فيـك سـابقة علـى وجـودك لا لشـيء منك تسـتحق بـه عنايتـه ومنّتـه ، وأين كنت حيـن واجهتـك عنايته فـي أزله ، حين سـبقت لك منه العنايـة ؟ وأين كنت حيـن قابلتك رعايته وحفظـه ، وأنـت فـي ظلمة الأحشـاء حيـن أجـرى عليك رزقـه من عـرق الـدم ، وحفظك في ذلـك المسـتودع حتى اشـتدت أعضـاؤك وقويـت أركانك ؟ لم يكـن في أزله ، حيـن واجهتك عنايتـه ، ولا فـي مسـتودعك فـي الرحـم ، حيـن قابلتـك رعايتـه ، إخـلاص أعمـال ولا وجود أحـوال تسـتحق بهمـا وجود النـوال ، بل لم يكن في ذلـك الوقت إلا محـض الإفضال وعظيم النوال[3] .

الشرنوبي :

عنايتـه سـبحانه بـك فـي الأزل - بمعنـي تعلّق إرادتـه فـي الأزل بإعطائك مـا تطلبه - كانـت لا لشـيء حصـل منـك يقتضـي حصول تلـك العنايـة كالدُّعـاء ؛ لأنك لـم تكن حين واجهتـك عنايتـه ، وقابلتـك رعايتـه ، ولم يكـن في أزله إخـلاص أعمال بدنيـة ، ولا وجود أحـوال قلبيـة ، بـل لـم يكـن هنـاك إلا خالـص الإفضـال ، والعطـاء العظيـم من المحسـن المفضـال ، فليـس الدعـاء سـببًا مُؤثـرًا فـي المطلـوب ، وإنمـا العبـرة بما سـبقت بـه إرادة علّام الغيـوب[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 361 ، 262 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 156 ، 157 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 322 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 184 .

علم أن العباد يتشوَّفون إلى ظهور سرِّ العناية فقال : ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ [آل عمران : 74] ، وعلم أنه لو خلَّاهُمْ وذلك لتركوا العمل اعتمادًا على الأزل ، فقال : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف : 56]

الرندي :

ظهور سرِّ العناية التي مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة في قوله - عزّ من قائل : ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ [آل عمران : 74] ولا علَّة له من العبد ، والإحسان المنسوب إليه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف : 56] أمارة وعلامة على تلك العناية ، وليس بعلة موجبة ، وإنما أسند الرحمة إليه وعلّقها به ؛ لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذي هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى عليهم[1] .

زرُّوق :

يعني أنه لا حجر عليه في أفعاله ، فالتخصيص بحكم منه غير معلل ، وإن كان لحكمة ، فهو الموجد لها والمبدئ والمنشئ ، فلا علة لصنعة وعلة كل شيء صنعه ، وإنما يتشوف العباد لما ذكر ، وذلك لا يصح لهم من حيث الحكمة ، وإن صح من طريق الحكم ؛ لأن أفعال العباد مظاهر لمقتضيات الأسماء وآثار الصفات فقال : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف : 56] ، فجعل الرحمة بساط الإحسان ؛ لأن الإحسان بسبب الرحمة[2] .

الشرقاوي :

السر : هو الشيء المُغَطّى ؛ لأنه مَخْفِيٌّ عنا ، **والعناية** : هي تعلق الإرادة بحصوله في المستقبل ، فلما علم أننا نتشوف إلى حصوله فنطلبه بالدعاء والأعمال الصالحة ونعتقد تأثير ذلك فيه ، فقال : ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ [آل عمران : 74] زجرًا لنا وقطعًا لأطماعنا لاحتمال أن سر العناية خاصٌّ ببعض الناس ، فزجرهم الله بقوله : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام : 124] ، وعلم أنه لو خلَّاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادًا على الأزل ، لا حاجة إلى الأعمال ولا إلى الدعاء بحصول المطالب ، فقال : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف : 56] بالأعمال الصالحة ، فهي علامة وأمارة على تلك العناية الأزلية[3].

---

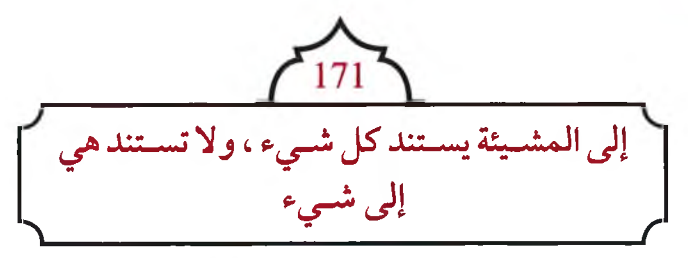
(1) غيث المواهب العلية : (2 / 26) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 363 ، 364 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 157 ، 158 .

ابن عجيبة :

لما أخبر الله سبحانه في كتبه ، على ألسنة رسله ، أن المدار إنما هو على السابقة ، فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية ، تشوق الخلق كلهم إلى ظهور سر هذه العناية ، فكل واحد يظن أنه من أهلها ، فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر إنما هو للبعض دون البعض ، فقال : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : 74] ، فأسندها إلى مشيئته دون مشيئتهم ، فعلموا أن ذلك إنما هو للبعض دون الكل ، فربما يتركون العمل ويعتمدون على سابق الأزل ، فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر له علامات تدل على من هو من أهله ومختص به ، فقال : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : 56] ، فالرحمة هنا هي العناية السابقة وهي قريبة من المحسنين[1] .



171

إلى المشيئة يستند كل شيء ، ولا تستند هي إلى شيء

الرندي :

إلى المشيئة يستند كل شيء ؛ لأن وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال ، ولا تستند هي إلى شيء ؛ لاستحالة وجود النقص فيما يجب له من الكمال[2] .

زرُّوق :

الأمر والنهي لله ، والأحكام والأسباب والفوائد وغيرها لا يصدر شيء من ذلك إلا بالمشيئة ، وعلى ظهور أثرها تترتب الأحكام[3] .

الشرقاوي :

كل موجود يستند إلى مشيئة الله من حيث تعلقها به أزلًا ، وليست تستند هي إلى شيء من الموجودات ، والمراد بالمشيئة في مرجع الضمير ما تعلقت به أزلًا ، وهو مطالب العباد التي سبق العلم بها[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 325 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 26 ، 27) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 365 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 158 .

ابن عجيبة :

المشيئة والإرادة شيء واحد ، وإليهما تستند الأشياء كلها ، وأما هي فلا تستند إلى شيء ، ولا تتوقف على شيء ، فلا تتوقف على سؤال ، ولا على طلب ، فما شاء الله كان من غير سبب ولا سؤال ، وما لم يشأ ربنا لم يكن ، قرَّب من شاء بلا عمل ، وبعَّد من شاء بلا سبب ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون[1] .

الشرنوبي :

أدب التوحيد أن يعتقد الإنسان أن كل شيء يستند إلى المشيئة ، فلا يكون شيء إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته أزلًا ، وليست تستند هي إلى شيء من الموجودات ؛ لاستحالة وجود النقص فيما يجب له الكمال[2] .



172

رُبَّما دَلَّهُمُ الأدب على ترك الطَّلَب ، اعتمادًا على قسمته واشتغالًا بذكره عن مسألته

الرندي :

قد يكون من الأدب ترك السؤال ، والطلب لمن هو مستغرق في الأذكار ، راضٍ بما يجري عليه من تصاريف الأقدار[3] .

زرُّوق :

« **ربما** » : إثبات للشيء وقسمته بطريق التجويز ، فكما يدلهم الأدب على ترك الطلب قد يدلهم على وجوده ، وقد يدلهم على التعريض ، فالاعتماد على قسمته هو المثير ؛ لسكون النفس عن الطلب ، **والاشتغال بذكره** : هو العبادات الواقعة بدلًا منه ، بل هي أقوى منه لنفي الحظ منها على حال[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 326 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 185 ، 186 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 28) .

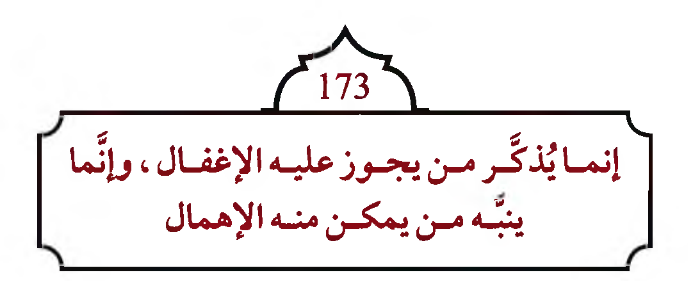
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 369 .

الشرقاوي :

بعض العارفين قد يغلب عليهم التفويض والتسليم ، فيترك السؤال والطلب اعتمادًا على القسمة الأزلية[1] .

ابن عجيبة :

الظاهر أن رُبَّ هنا للتكثير ؛ لأن الغالب على العارفين وأهل الفناء السكوت والسكون تحت مجاري الأقدار ، فصدور الطلب منهم قليل ؛ لأن العارف فانٍ عن نفسه غائب عن حسه، والله سبحانه ليس بغافل حتى يذكر ، هو عليم بخفيات أمورك ، فيأتيك منها ما قسم لك[2] .



الرندي :

أورد هذا كالدليل على ما ذكره من أن ترك الطلب قد يكون من الأدب ، وذلك لأن في الطلب إشعارًا بتجويز الإغفال عليه ، فيقع بذلك التذكير له ، وتلويحًا باحتمال وجود الإهمال منه ، فيكون ذلك تنبيهًا له ، وجميع ذلك محال على الحق ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، فلأجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبًا[3] .

زرُّوق :

كما لا يصح أن يكون الطلب سببًا لا يصح أن يكون تذكيرًا ولا تنبيهًا ؛ لأنك إن قلت بالسببية فجلَّ حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل ، وإن قلت تذكيرًا فالتذكير للإغفال ، ولا إغفال ، وإن قلت تنبيهًا فالتنبيه للإهمال ، ولا إهمال[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 159 ، 160 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 328 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 30) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 371 .

الشرقاوي :

إنما يُذكَّرُ بالدعاء من يجوز عليه السهو ، بأن يكون عنده غفلة وعدم علم بحال السائل فيذكّره بالسؤال ، وإنما يُذكِّر من يمكن منه عدم الاعتناء بحال السائل مع علمه بحاله ، فهو مستحيل على الله تعالى ؛ ولذا كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبًا[1] .

ابن عجيبة :

الله سبحانه وتعالى ليس بغافل حتى يُذكَّر ، بل هو عليم بخفيات أمورك ، ولا يحتاج إلى تنبيه ؛ لأنه لا يهملك فيما هو من قسمتك ، والحق تعالى لا يجوز عليه الإهمال لكمال قدرته وإحاطة علمه ، فمن كمل يقينه اكتفى بتدبير الحق عن تدبيره ، واستغنى بعلم الله عن استعجاله[2] .

الشرنوبي :

إنما يحصل التذكير بالطلب لمن يجوز عليه الإغفال ، أي : السهو ، وإنما ينبّه على المراد منه من يمكن منه الإهمال ، وكلٌّ من الإغفال والإهمال مستحيل على ذي العزّة والجلال ؛ فلذا كان ترك الطلب عند بعض العارفين أدبًا[3] .



174

وُرُودُ الفَاقَاتِ أَعيادُ المُرِيدِينَ

الرندي :

الأعياد عبارة عن الأوقات العائدة على الناس بالمسرات والأفراح ، منهم مَنْ مسرته وفرحه بوجود حظه وشهواته ، وهو حال عامة المسلمين ، ومنهم من مسرّته وفرحه بفقدان حظوظه وأغراضه ، وهو حال الخاصة ؛ إذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة ؛ لأنهما من وجودهم لقرب ربّهم ورؤيتهم له في حال فقدان حظهم ، وكلما ازدادوا فاقة وبلاء ، زادهم ربهم قربة وبلاء[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله الشرقاوي : ص 159 ، 160 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 329 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 186 ، 187 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 30 ، 31) .

زرُّوق :

الفاقة : شدة الحاجة ، وهي ذاتية للعبد ، وإنما يرد عليه مذكِّراتها ، فإذا وردت أثارت ذِكْرَها فحصل شهودها ، وخير أوقاتك وقت تشهد فيه فاقتك ؛ لأن ذلك يقطعك عن غيره ويردك إليه ، وهو رأس الفوائد[1] .

الشرقاوي :

الأعياد جمع عيد ، وهي الأوقات العائدة على الناس بالمسرات والأفراح ، فالمريدون يسرُّون بالفاقات ؛ لأنها تسرع بوصولهم لمقصودهم لما فيها من الذل وقهر النفس ، كما تُسرُّ العوام بالأعياد لما فيها من نيل شهواتهم من ملابس وغيرها[2] .

الشرنوبي :

أيام البلايا والمحن هي أعياد المريدين ، أي : الأيام العائدة عليهم بالمسرَّات والأفراح ، فإنَّهم يفرحون بالفاقات لما فيها من ذُلِّ النفس المُوصل إلى ربِّ البريَّات ، كما يفرح العوام بأيام الأعياد ؛ لما فيها من الشهوات التي تُوصل نفوسهم إلى بلوغ المراد[3] .



175

رُبَّما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة

الرندي :

ورود الفاقات يحصل بها للمريد مزيد كثير من صفاء القلب ، وطهارة السريرة ، وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة ؛ لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى ، بخلاف ورود الفاقات ، فإنها مباينة للهوى والشهوة على كل حال[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 372 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 160 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 187 .

(4) غيث المواهب العلية : (2 / 33) .

زرُّوق :

قـد يجـد في الفاقـات مـن مزيد الإيمـان والعلـم والمعرفـة والحقيقـة مـا لا يجده في غيرهـا ؛ لأن العبوديـة فيهـا أظهـر والدعـوى فيهـا أبعـد ، والنفـس فيهـا أقرب إلـى الحق ، وأبعـد مـن التكبـر ، والصـوم والصـلاة تعـرض لهمـا عـوارض الدعـاوى ، بخـلاف الفاقة فإنهـا تسـلب العبـد مـن هواه ، وتـرده لمـولاه ، وتشـغله عمـا لا يعنيه بمـا به تـولاه[1] .

الشرقاوي :

ربما وجدت أيها المريد الزيادة في حالك ، من طهارة السر وحصول الأنوار والمعارف ، في حال ورود الفاقات عليك ، ما لا تجده في الصوم والصلاة ؛ لأنه قد يكون قيامك بهما نفسك وحظوظها ، ومن كان هذا سبيله فلا يؤمن فيه دخول الآفات ، فلا يفيده تزكية ولا تحلية ، بخلاف ورود الفاقات فإنها مباينة للهوى والشهوة على كل حال[2] .

ابن عجيبة :

إنمـا كان الإنسـان يجـد فـي الفاقـة مـن المزيد مـا لا يجده فـي الصوم والصـلاة ؛ لأن الفاقـة مـن أعمـال القلـوب ، والصـوم والصـلاة من أعمـال الجـوارح ، والذرة مـن أعمال القلـوب أفضـل مـن أمثال الجبـال مـن أعمال الجـوارح[3] .



176

الفاقات بُسُطُ المَوَاهِبِ

الرندي :

الفاقـات تُحْضـره مـع الحـق ، وتجلسـه على بسـاط الصـدق ، وناهيك بمـا يكون في تلـك المحاضرة والمجالسـة مـن المواهب الربَّانيـة والنفحـات الرحمانية[4] .

زرُّوق :

البُسـط : هـو مـا يجري فيـه الشـيء ويظهر عنـده ، **والمـراد بالمواهـب** هنا مـا هو أعم مـن الفتوحـات العرفانيـة ، والفاقة لا تكـون نافعة لصاحبهـا إلا بتحقيـق العبودية[5] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 373 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 160 ، 161 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 331 .

(4) غيث المواهب العلية : (2 / 33) .

(5) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 374 .

الشرقاوي :

أي : الفاقات كالبسط التي ترد عليها المواهب الإلهية لكل من جلس عليها ، كما أن الملك إذا جلس أحد على بساطه أعطاه شيئًا من مواهب الدنيا ، فالفاقات تحضرك مع الحق وتجلسك على بساط الصدق ، وناهيك بما يكون في تلك الحضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية[1] .

ابن عجيبة :

المراد بالمواهب : معارف وكشوفات وطمأنينة وحكم وعلوم وأسرار ترد على القلوب من خزائن الغيوب حال صفائها وتصفيتها من الغيرية ، وأصفى ما يكون القلب حين تذهب النفس بترك حظوظها ، ولا يتحقق ذلك في الغالب إلا في حالة الفاقة والفقر[2] .

الشرنوبي :

الفاقات تُدخل المريد حظيرة القدس ، وتجلسه على بساط الأنس ، فتحصل له المواهب الربَّانية ، والنفحات الرحمانية[3] .



الرندي :

تصحيح الفاقة والفقر : هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة في المسألة التي تأتي بأثر هذه ، ومما يتعلق بظاهر التي استشهد بها المؤلف على طريقة القوم ما **قال بعضهم** : « صدق الفقير أخذُه الصدقة ممن يعطيه ، لا ممن تُقبل إليه على يده » ، فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة ؛ لأنه جعلها لهم ؛ فإن قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلوّ همته ، ومن قبلها من الوسايط فهو المتوسّم بالفقر مع رداءة همَّته[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 161 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 331 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 188 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 34) .

زرُّوق :

تصحيح الفقر والفاقة بمعني تأكيدهما في النفس ؛ حتى يكون ثبوتهما مستشعرًا في عموم الأوقات والحالات ، وإلا فهما ثابتان لوجودك بنفس وجودك ؛ إذ فاقتك لك ذاتية ، ويتحقق لك ذلك بثلاث : تقدير عدمك ، واستشعار ، وتتبع ذلك بالتفصيل في شواهد أحوالك ؛ إذ ما من حركة ولا سكنة إلا وهي مشاهدة بذلك ، فمن تتبعه وجده فانتفع ، ومن أهمله غفل فاندفع ، فمن صح فقره استحق الصدقة ، هذا ظاهر الحكم شرعًا ، وإشارته في محل الحقيقة جارية كذلك[1] .

ابن عجيبة :

إن أردت أيها الفقير بسط المواهب وورودها عليك ، فصحح الفقر والفاقة لديك ، فإذا صححت الفاقة والفقر عندك فاستعد لِكَتْبِ المواهب ، فإنها ترد عليك كالسحاب[2] .

الشرنوبي :

إن أردت ورود المواهب الربانية من الله تعالى عليك ، صَحِّح الفقر والفاقة لديك ، بأن تتحقَّق بهما تحقُّقًا تامًّا ، فلا يكون عندك استغناء بغيره بوجه من الوجوه ، وَمِنْ صِدْقِ الفقير أخذه الصدقةَ ممن يعطيه على الحقيقة ، فإن قبلها فهو الصادق في فقره لعلوِّ همَّته ، وإن قبلها من الوسائط فهو المتوسِّم بالفقر مع دناءة همَّته[3] .



تَحقَّقْ بأوصَافِك يُمِدَّكَ بأوصافه ، تَحقَّقْ بذُلِّك يُمدَّك بِعِزِّه ، تَحقَّقْ بِعَجْزِك يُمِدَّك بِقُدْرتِه ، تَحَقَّقْ بِضَعْفِكَ يُمِدَّك بِحَوْلِه وَقوَّتِه

زرُّوق :

وذلك أن إقرارك بالعجز والفقر والذل والضعف يرجعك إليه ، فتصير قادرًا به ، غنيًّا به ، عزيزًا به ، قويًّا به ، فيعودُ فقرُك غنى ، وعجزك قدرة ، وضعفك قوةً ، وذُلُّكَ عِزًّا ، وتحقَّق بذُلِّك يُمدك بعزِّه ، حتى لا يكون عزٌّ في الوجود إلَّا بك وبمن تعتز به ،

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 376 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 331 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 188 .

وتحقَّـق بعجـزك يمدك بقدرتـه ، حتى تصير قُـدرةُ القادرين مـن الخلق عجزًا فـي قدرتك ، وتحقـق بضعفـك يمـدَّك بحوله وقوتـه ، حتى يكـون كل شـيء ضعيفًا فـي قوتك[1] .

الشرقاوي :

تحقق بأوصافك يُمدَّكَ بأوصافه ، ثم فصل ذلك بقوله : تحقق بذُلِّك يُمدك بعزِّه فتصير عزيزًا به لا بنفسك ، وتحقق بعجزك يُمدَّك بقُدرته ، فتصير قادرًا به لا بنفسك ، وتحقق بضعفك يُمدَّك بحوله وقوته ، فتصير قويًّا به ، وكذا إن تحققت بفقرك يمدك بغناه[2] .

ابن عجيبة :

التحقـق بالوصف هـو التحلِّي والاتصاف به قلبًـا وقالبًا ، فمن أراد أن يمـده الله بالغنى بـه عما سـواه فليتحقـق بالفقر مما سـواه ، ومـن أراد أن يمده اللـه بالعز فليتحقـق بالذل لله والتواضـع بيـن خلقـه ، ومـن أراد أن يمـده اللـه بالقـدرة الخارقـة للعوائد فليتحقـق بعجزه ويتبـرأ مـن حولـه وقوته ، ومـن أراد أن يمـده الله بالقوة علـى طاعة مولاه ومجاهدة نفسـه فليتحقـق بضعفه ويسـند أمره إلى سـيده[3] .



179

رُبَّمَا رُزق الكرامـةَ مَـنْ لـم تكمُـل لـه الاسـتِقَامَةُ

الرندي :

الكرامـة الحقيقيـة إنمـا هـي حصـول الاسـتقامة والوصـول إلـى كمالهـا ، ومرجعهـا إلـى أمريـن : صحـة الإيمـان باللـه عـز وجـل ، واتبـاع مـا جـاء بـه رسـول اللـه ﷺ ظاهرًا وباطنًـا ، فالواجـب على العبـد أن لا يحرص إلا عليهما ، ولا تكون لـه همّة إلا في الوصول إليهمـا ، وأمـا الكرامـة بمعنـى خـرق العـادة ، فـلا عبـرة بها عنـد المحققيـن ؛ إذ قـد يُرزق ذلـك من لـم تكمل لـه الاسـتقامة[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 378 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 161 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 333 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 34) .

زرُّوق :

الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدّي ، ولا خال عن الاستقامة ، ولا مستند للأسباب ، يُظهره الله تعالى على من أراد اختصاصه من أهل طاعته في البداية أو في النهاية أو بينهما ؛ فهي تدل على اختصاص صاحبها لا على استقامته ، فيتعين تعظيمه واحترامه ، لا تقديمه واتباعه ، إلا أن يظهر عليه كمال الاستقامة ، وهو الاستواء في اتباع الحق ظاهرًا وباطنًا[1] .

ابن عجيبة :

الكرامة الحسية : هي خرق الحس العادي ، كالمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، وطي الأرض ، ونبع الماء . **والكرامة المعنوية** : هي استقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن ، والظفر بنفسه ومخالفة هواه ، وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله ، وهذه هي المعتبرة عند المحققين ، أما الكرامة الحسية فلا يطلبونها ، إذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته ، ومن لا استقامة له أصلًا كالسحرة والكهان ، وليست بكرامة إنما هي استدراج[2] .



180

من عَلَامة إقامة الحق لك في الشيء إقامته إيَّاك فيه مع حصول النَّتائج

الرندي :

لا اعتبار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل أو حال ، وإنما العبرة بما يقيمه فيه ربه ، وعلامة إقامة الله عبده في الشيء أن يديمه عليه ، ويحْصُل له ثمرته ونتيجته[3] .

زرُّوق :

من علامة إقامة العبد في الكرامة إدامةُ جريانها عليه مع حصول نتائجها ، وهي أربع : وقوع الهداية بإنهاض النفس ، وعلو الهمة بالتعلق بالمعاني ، وكمال المعرفة بتحقق اليقين ، والرضا عن الله في كل وقت وعلى كل حال[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 381 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 336 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 37) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 383 .

الشرقاوي :

من علامة إقامة الله لك في الشيء ، كالاكتساب أو التجريد ، إقامته إياك فيه ، بتيسير أسبابه لك وإدامته عليك ، مع حصول النتائج ، أي ثمرات ذلك الشيء كسلامة الدين ووجود الربح من الكسب[1] .

ابن عجيبة :

إذا أقام الحق تعالى عبده في حالة لا يستقبحها الشرع ، فلا ينبغي له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذي أدخله فيها هو الذي يتولى إخراجه منها ، ومن علامة إقامة الله تعالى لك في ذلك الشيء الذي أنت فيه إدامةُ الحق إياك فيه مع حصول النتائج ، كأداء الزكاة ، وإطعام الجائع ، وستر العريان ، وإغاثة اللهفان ، وغير ذلك من أنواع الإحسان[2] .



الرندي :

من شـاهد إحسـان نفسـه وعمـل بطاعة ربّه انبسـط لسـانُه بالنصيحـة والموعظـة لعباد اللـه ، فـإن وقعـت منـه إسـاءة أو مخالفـة انقبـض عن ذلـك وصمت ، ومن شـاهد إحسـان اللـه إليـه ، وغـاب عـن رؤيـة إحسـانه هو ، انبسـط لسـانه فـي الحالين مـن غير فـرق ؛ لأن مشـاهدته لوحدانيـة ربّـه وقيوميتـه في الحاليـن أوجبـت جراءته على ذلـك[3] .

زرُّوق :

من دخل حضرة الحق ناظرًا لنفسه ، إذا أراد أن يُظْهر ما جرى له من الكرامات وغيرها ، ناداه منادي الحقيقة : تذكَّر كرامتك ، ولا تذكر ذلَّتك ، فيقف عند حدّه فيكون حاله سترًا في ستر ، وكتمانًا في كتمان ، وهذا حال الزهاد والعبَّاد وأهل الطاعة ، فأما من دخل ناظرًا لإحسان مولاه عاملًا على ما به يتولاه ، راجعًا إليه فيما منَّ به عليه وأولاه ، فذلك الذي ينطلق لسانه ويسترسل بالإظهار بيانه ، فلا يحتشم عند التعبير ، ولا يبالي بما هو فيه من جليل وحقير[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 162 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 337 ، 338 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 37) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 384 .

الشرقاوي :

من تكلم في علوم القوم وأفادها للمريدين ، ملاحظًا أن تعبيره وإفادته تلك العلوم نشأ من إحسانه وأعماله الصالحة الشبيهة بالبساط الذي يجلس عليه عند ورود المواهب ، أسكتته إساءته ومخالفته للرب فينقبض عن ذلك التعبير لما يعتريه من الخجل والحياء بسبب المعصية التي صدرت منه ، وسبب ذلك مشاهدته إحسان نفسه ، ومن لاحظ أن تعبيره وإفادته تلك العلومَ ناشئ من إحسان الله إليه غائبًا عن رؤية نفسه ، لم يسكت عند ذلك التعبير إذا صدرت منه معصية ؛ لأن غيبته عن نفسه ومشاهدته لوحدانية ربه أوجبت جراءته على ذلك[1] .



الرندي :

الحكماء : هم العارفون بالله تعالى ، العالمون به ، والأنوار المنسوبة إليهم هي أنوار معرفتهم ، وهي قوَّة يقينهم ، فإن الأمور كلها بيد الله تعالى ، لا شريك له فيها ، فإن أرادوا إرشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم بإذن من الله تعالى ، سبقت أنوار قلوبهم إلى الله تعالى باللجاء والافتقار إليه ، في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده ، بأن يجعل فيها أهلية واستعدادًا لقبول ما يريدون إيراده عليهم من كلام الحكمة ، فيجيبهم إلى ذلك ، فإذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل إليها أنوار أسرار الحكمة ، كما تتلقى الأرض الميتة وابل المطر[2] .

زرُّوق :

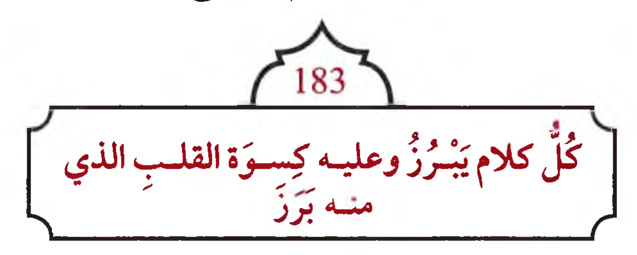
أنوار الحكماء : هي الظلال الواقعة في صدورهم من معاني ما فُتح لهم من الحكمة ، التي هي إصابة الحق في القول والعمل ، فهي تسبق إلى قلوبهم ثم ينطقون بما يناسبها على حسب حالهم منها ، فتصل إلى قلوب السامعين ، فحيث صار التنوير من قلوبهم وصل التعبير من قلوب غيرهم ، ومن كان عن هوى فهو كذلك ؛ لأن ما خرج من القلب دخل القلب ، وما قصر على اللسان لم يجاوز الآذان ، ثم إذا وصل القلب وعرفه لم يمنعه من التمكن إلا جحود أو ضلال ، كحال الكفار إذ أقروا بالحقيقة ولم يصدقوا بها جحودًا وعنادًا[3] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 163 .
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 41) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 386 .

الشرقاوي :

الحكمـاء هـم العارفـون بالله تعالـى العاملـون بـه ، وأنوارهـم هـي أنـوار معرفتهم ، وهـي قـوة يقينهـم بـأن الأنـوار كلها بيـد اللـه تعالى لا شـريك لـه فيها ، فـإذا أرادوا إرشـاد عبـاد اللـه ونصيحتهـم بإذن من اللـه ، توجهوا إلـى الله والتجـأوا إليه في أن يتولـى لهم أمر قلـوب عبـاده ، بـأن يجعـل فيهـا أهليـة واسـتعدادًا لقبول ما يـرد عليهـا فيخرج مـن قلوبهم حينئـذٍ نور ناشـئ مـن نور سـرائرهم يصل إلى تلـك القلـوب ، فحيث حصل النور واسـتقر فـي قلـوب عبـاد اللـه الذيـن يريـدون إرشـادهم ، تلقتـه تلـك القلـوب بالقبول كمـا تتلقى الأرض الميتـة وابـل المطـر فينتفعـون بذلك أتم الانتفـاع[1] .



الرندي :

اللسان ترجمان القلب ، فإذا صفا من الأكدار ؛ وتزكى من الأغيار ، وأشرقت فيه الأنوار ، كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك ، فيتكلم بالكلام النوراني الذي يَلِجُ آذان السامعين ، فتفتح بسببه إذ ذاك أقفال قلوبهم ، ويستجيبون به لنداء الحق حبيبهم[2] .

زرُّوق :

الألفاظ حِلْية المعاني ، والمعاني قلبية ، وما برز من بساط ظهر أثره فيه ، **والناس ثلاثة :** متكلم مجموع ، ومتكلم مسموع ، ومتكلم مدفوع ؛ فالمجموع هو الذي تنفع إشارته وتفيد عبارته ، والمسموع هو الذي تُسْتَحلى عبادته وتُفهم إشارته ، والمدفوع هو الذي تمجُّه الأسماع ولا يحصل به الانتفاع[3] .

الشرقاوي :

إذا كان القلـب منـورًا اكتسـى الـكلام نـورًا ، فـلا تمجـه الأسـماع ولا تنكـره القلـوب ، فكسـوته هـو ذلـك النـور ، وكلام الحكمـاء يبـرز مكسـوًّا بكسـوة الأنـوار فتنفتـح بـه أقفال

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 164 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 42) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 387 .

القلوب ويستجيبون لنداء حبيبهم ، وكلام المدعين يبرز وعليه الظلمة ، فلا ينتفع به أتم الانتفاع ، وقد ينتفع به من جهة حقيقته ومضمونه لا من جهة قائله[1] .

ابن عجيبة :

علامة الكلام الذي يسبقه التنوير هو تأثيره في القلوب وتهييجه الأرواح وتشويقه الأسرار ، فالكلام صفة المتكلم ، فإذا كان المتكلم ذا تنوير وقع في قلوب السامعين ، وإذا كان ذا تكدير حدَّ كلامه آذان المستمعين ، فكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز[2] .

الشرنوبي :

اللسان تَرْجُمان القلب ، فإذا تطهَّر القلب من الأغيار ، وأشرقت عليه الأنوار ، اكتسى الكلام نورًا ، وانتفع به السَّامعون وازدادوا سرورًا ، وأمَّا إذا تدنَّس القلب بالذنوب ، فإن كلام صاحبه يوجب قسوة القلوب[3] .



الرندي :

المأذون له في التعبير هو الذي يتكلّم لله وبالله وفي الله ؛ ولذلك كان كلامه صوابًا ، فإذا قرع أسماع السامعين كلامُه فُهِمت في مسامعهم عبارته ، فلم يفتقروا إلى معاودة ولا تكرار ، وجُلّيت إليهم إشارته ، فلم يحتاجوا معها إلى إطناب ولا إكثار ، بخلاف غير المأذون له في ذلك[4] .

الشرقاوي :

من أُذن له في التعبير عن الحقائق من العارفين بالله تعالى ، وهي علوم الوهب والفتح المأخوذة عن الله تعالى بلا واسطة ، وعلامة الإذن له في ذلك تيسير التعبير عليه ، وسهولته ، وعدم احتياجه في إلقاء المعارف إلى كلفة ، بل

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 164 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 340 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 191 .

(4) غيث المواهب العلية : (2 / 48) .

يجد لسانه منطلقًا بها ، ويجد عنده باعثًا إلى التعبير عنها مع السلامة من آفات النطق ، وعلامة ذلك بالنسبة للسامعين عدم الافتقار إلى المعاودة والتكرار ، وظهرت إليهم إشارته ، فلا يحتاجون إلى إطناب ، بخلاف غير المأذون له[1] .

ابن عجيبة :

الإذن في التعبير إنما يكون على يد الشيخ الكامل العارف ، الذي أهَّله الله للتربية ، فإذا رأى على تلميذه أهلية التذكير أذن له في التعبير ، فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب ، وفاض من لسانه أسرار علم الغيوب ، فتحسن في مسامع الخلق عبارته وتُجلَّى إليهم إشارته ، ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام وإعرابه ، وإنما العبرة بالمعاني دون القوالب والأواني[2] .



الرندي :

من لم يستكمل الأوصاف المذكورة ، لم يؤذن له في إظهار شيء من الحقائق الربانية ، فإن أظهرها برزت مكسوفة الأنوار بما غشيها من ظلمة رؤية الأغيار ؛ فمجَّتها آذان السامعين ، وأنكرتها قلوبهم ، وعلامة استكمال الأوصاف المذكورة أن يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من آفات المنطق[3] .

زرُّوق :

الحقائق ما يقع من نكت الإلهام بالأمور العرفانية بالقلب ، ويتمكن منها ، ولها صورة في النفس وعبارة في الخارج ، إذا تم نورها ظهر في الباطن والظاهر ، والعبارة من نورها ما يشهد لصاحبها بالتحقق ، ثم إذا أذن له في التعبير عنه برزت بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، وإلا ظهر بنعوت الظلمة كأنها شمس اعتراها كسوف لا تكاد تُقبل لثقلها ولا تُفهم لبعدها ، ولا تسمع لامتجاجِها[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 165 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 341 .
(3) غيث المواهب العلية : (2 / 49) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 389 .

الشرقاوي :

ربما برزت العلوم العرفانية مكسوفة الأنوار بما غشيها من ظلمة رؤية الأغيار ، فمجّتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم ، إذا لم يُؤذن لك فيها بالإظهار[1] .

ابن عجيبة :

قد يتكلم الإنسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة ، لكنها مكسوفة الأنوار مطموسة الأسرار ليس فيها حلاوة ولا عليها طلاوة ، سبب ذلك عدم الإذن فيها ؛ إذ لو أذن له في التعبير لظهر عليها كسوة التنوير[2] .

الشرنوبي :

ربما برزت الحقائق التي هي العلوم الوهبية مكسوفة الأنوار ، إذا لم يؤذن لك في إظهارها ، فتمجها الأسماع ، ولا يحصُل بها للسامعين استبصار[3] .



الرندي :

إنما يقع التعبير منهم ، عمّا يطالعون به من الأمور الغيبية والعلوم الإشهادية ، لأحد معنيين : إما حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه ، وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة ، وهذا حال السالكين من أهل الهداية ، وإمّا لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الإرشاد والهداية ، وهذا حال أهل التمكين والمحققين من أهل النهاية[4] .

زرُّوق :

فيضان الوجد : غلبته وإتيانه بصفة القهر ، **وهداية المريد** : إرشاده لما به صلاح حاله ، **فالأول** حال السالكين ؛ لأن السالك تغلبه أحواله ولا يتمالك وليس من أهل القدوة ، **والثاني** حال أرباب المكنة ، **والمكنة** : المتمكن في المعرفة ، وحصول المكانة

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 165 ، 166 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 343 .
(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 191 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 49 ، 50) .

فيها بحيث لا تؤثر فيه عوارض التقلّب وإن عارضته ؛ لتحقق القلب والسرّ والروح بما هو فيه من حاله الذي بين يديه ، ثم يتعين على المكنة عند قصد الهداية أن يراعي في تعبيره حق نفسه ، بأن لا يعبِّر إلا عما هو متمكن فيه ، ويراعي حق المخاطب ، بأن يأتيه بذلك على قدر حاله ويراعي حق عامة أهل الطريق ، بأن يُعبِّر عبارة تفيد العام في عمومه[1] .

الشرقاوي :

عباراتهم التي يعبِّرون بها عن العلوم والمعارف التي يجدونها في باطنهم ؛ إما لفيضان ما يجدونه في قلوبهم من ذلك ، فقلوبهم ضيقة يفيض عنها ما يحلّ فيها قهرًا عنهم ، كالإناء الضيق إذا وُضع فيه ماءٌ كثيرٌ فإنه يفيض منه قهرًا ، وإن كانت قلوبهم متسعة يمكنهم رد ما يستقر فيها فلا يفيض منها شيء ، **فالأول** حال السالكين من أهل البداية ، **والثاني** حال أرباب المكنة والمتحقِّقين من أهل النهاية[2] .

ابن عجيبة :

ما اشتملت عليه قلوب العارفين من المعارف والعلوم التي لا تطيقها جل الفهوم ، هو سر من أسرار الله ، وهم أمناء الله عليها ، فلا يطْلعون عليها إلا من رأوه أهلًا لها ، إلا من كان مغلوبًا على حاله لا يقدر على إمساكها ، وهو من لم يتمكن من حاله فيها ، فعبارتهم إما لفيضان وجْدٍ غلبه فلم يقدر على إمساكه ، أو لأجل هداية مريد وإرشاده ، **فالأول** : حال السالكين ، وهم المستشرفون من السائرين ، حققوا ولم يتمكنوا ، فهم مملوكون في يد الأحوال إذا غلب عليهم الوجد فاضوا ولم يشعروا ، وإذا رجعوا إلى أنفسهم ندموا واستغفروا ، **والثاني** : حال أرباب المكنة والمتحققين ، وهم الراسخون والمتمكنون ، فلا يعبرون عن الأسرار إلا لأجل هداية المريدين[3] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 390 ، 391 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 166 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 343 ، 344 .

187

العِبَـارَاتُ قُوتٌ لِعَائِلَةِ المُسـتَمِعِين ، وَلَيْس لَـكَ إِلَّا مَا أَنْـتَ لهُ آكِلٌ

الرندي :

المستمعون موسومون بالفقر والحاجة إلى معنى ما يستمعون إليه من المواعظ والحكم ، وهو قوت قلوبهم وغذاء أرواحهم ، كما أن المستطعمين والسُّؤَّال موسومون بالفقر والحاجة إلى قوت أبدانهم ، وكما أن أقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح للآخر من الأطعمة والأشربة لاختلاف طبائعهم ، فكذلك أقوات الآخرين مختلفة ، فلا يصلح لواحد منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم ، فإذا سمعت عبارة ولم تحظ منها بشيء فاعلم أنها لا تصلح لقوتك ، وهي صالحة لقوم آخرين[1] .

زرُّوق :

المستمعون للحقائق وغيرها عيال على المتكلّم فيها ، وهي أقواتهم منه ؛ لأنهم يطلبونها لقوام المعاني كما يطلبونها لقوام الأبدان ، فينبغي أن يراعى حقهم في ذلك بتهذيبه وتربيته حتى تسوغه قلوبهم وتدركه عقولهم ، فليس لك إلا ما انتفعت به ، فلا تشتغل بنفع أحدٍ ، وليس لك إلا ما يليق بك فلا تشتغل نفسك بما يليق بغيرك ، وليس لك إلا ما سمعته فأثره فيك ، لا ما تأثر به غيرك[2] .

ابن عجيبة :

العائل هو الفقير ، والعائلة جمع له ، فعبارة العارفين قوت لقلوب الفقراء الطالبين لزيادة إيقان قلوبهم ومشاهدة محبوبهم ، فلا يزالون في حضانة الشيوخ وعيالهم حتى يكملَ إيقانهم وتَرْشُدَ أحوالهم ، فحينئذٍ يستقلون بأنفسهم ، وعلامة رشدهم أنهم يأخذون النصيب من كل شيء ، ولا ينقص من حالهم شيء ، يفهمون عن الله في كل شيء ، ويعرفون في كل شيء ، ويشربون من كل شيء ، فإذا كانوا كذلك فقد استقلوا بأنفسهم وتأهلوا لإرشاد غيرهم[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 50) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 392 ، 393 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 345 ، 346 .

رُبَّما عَبَّر عَنِ المَقَامِ مَن استَشْرَف عَلَيْه ، وربَّمَا عبَّر عَنْه مَن وَصَل إليه ، وذلك مُلْتَبِسٌ إلَّا على صَاحِب بَصِيرَةٍ

الرندي :

كما أن الواصل إلى مقام من مقامات اليقين يعبِّر عنه ، كذلك يعبِّر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والمواصلة والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة ، وأما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك ؛ لأنه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص[1] .

زرُّوق :

التعبير عن المقام لا يفيد كون المعبِّر محققًا به ولا واصلًا إليه ، بل كونه مستشرفًا عليه ، فإمَّا بزيادة وصوله إليه ، وإما مجردًا عن ذلك ، والفرق بين الحالين غامضٌ إلا ببصيرة نافذة ، وتأييد ربَّانيٍّ ينشأ عن تحقق وتحقيق ، وذلك مُشتبه ومختلط لا يميِّزه إلا صاحب بصيرة نافذة تنظر بنور إلهي[2] .

الشرقاوي :

ربما عبر عن مقام من مقامات اليقين ، كمقام الزهد ومقام الورع ومقام التوكل ، من اطلع عليه وقارب الوصول إليه ، ولم يظفر به ، ولم يتحقق فيه ، وربما عبر عنه من وصل إليه ، وتحقق فيه ، وما ذُكِر من الحالين ، يلتبس الفرق بين حال هذا وحال هذا إلا على صاحب بصيرة ، فلا يخفى عليه ، فإنه يرى في الكلام صورة المتكلم الباطنية وهي ما عليه من كمال ونقص[3] .

ابن عجيبة :

العبارة لا تدل على نهاية المعبِّر ولا وصوله إلى ما عبّر عنه ، فقد يعبّر عن المقام من لم يصل إليه ولكن استشرف عليه ، وقد يعبِّر عنه من وصل إليه ، وربما عبر عن المقام وقدمه فوق ما عبر عنه ، وذلك ملتبس ؛ إذ لا يعرف المستشرف من الواصل إلا ذو بصيرة نافذة ، الذي فُتح عليه في المعرفة ، ورُفِع عنه الحجاب ، فعرف كلام الواصل من المستشرف[4] .

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 53) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 394 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 168 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 347 ، 348 .



لا ينبغي للسَّالِك أن يُعَبِّرَ عَن وَارِدَاتِه ، فإنَّ ذلك يُقِلُّ عَمَلَها في قَلبِه ، ويَمْنَعُهُ وُجُود الصِّدق معَ ربِّه

الرندي :

الواردات الإلهية لا ينبغي للسالك أن يعبّر عنها اختيارًا منه ، بل يخفيها ويصونها ولا يُطلع أحدًا عليها إلا شيخًا مرشدًا ؛ لأن نفسه تجد في ذلك لذة وإشراقًا ، فتقوى به صفاتها ، فيقلُّ بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التأثير المحمود ، ولأجل غلبة أحكام نفسه وإيثار حظّه ، يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربّه[1] .

زرُّوق :

لا ينبغي للسالك أن يعبِّر عن وارداته قبل تمكنه من الحقيقة واستيفائه موجبات الطريقة ؛ فإن شأن المريد شغلُه بنفسه ، ومتى عبَّر فقد اشتغل بغيره ، وذلك يُشوّش عليه حاله ويوجب نقصه ، فإن ذلك مما يقل عملها في قلبه ، ويمنعه وجود الصدق مع ربِّه[2] .

الشرقاوي :

لا ينبغي للسالك أن يُعبر عما يمنحه الله له من العلوم الوهبية والأسرار التوحيدية ، فلا ينبغي له أن يعبر عنها اختيارًا منه ، بل يخفيها ويصونها ، ولا يُطلع عليها أحدًا إلا شيخًا مُرشدًا له ، فإن ذلك يُقلُّ عملها في قلبه ، فلا يحصل له كمال الانتفاع بها ، وهو تمكنها في القلب وتأثره بها ، ويمنعه وجود الصدق مع ربه ؛ إذ لا يخلو التعبير عنها لذةً وانشراحًا ، وذلك يقوي صفاتها ، وقوة صفاتها مما يمنعها من وجود الصدق مع ربه[3] .

ابن عجيبة :

المريد في حال سيره مأمور بالكتمان لعلمه وعمله وحال وارداته ، فإفشاؤه لعمله من قلَّة إخلاصه ، وإفشاؤه لأحواله من قلَّة صدقه مع ربه[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 53) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 395 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 169 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 348 .

لا تَمُدَّنَّ يدك إلى الأخْذِ مِن الخَلائِقِ إلّا أنْ ترى أن المُعْطِيَ فِيهِمْ مَولاك ، فإذا كُنتَ كَذَلِك فَخُذ ما وَافَقَك العِلمُ

الرندي :

أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم إلى قسمين : **أحدهما** : رزق يصلون إليه بأسباب وأعمال وتصرّفات كالتجارات والصناعات وغيرهما ، وهذا حال أهل الأسباب ، وأحكام هذا القسم وآدابه مذكورة في فن « الفقه » ، **الثاني** : رزق يصل إليهم على أيدي الخلق من غير عمل ولا سعي ، وهذا حال أرباب التجريد ، وأحكام هذا القسم وآدابه في مراعاة شرطين : **الأول** : أن لا يرى العطاء إلا من مولاه - عز وجل ، **والثاني** : أن لا يأخذ إلا من موافق العلم ، وموافقة العلم على قسمين : موافقة العلم الظاهر فلا يأخذ إلا من يد بالغ عاقل تقي ، وموافقة العلم الباطن ، فلا يأخذ إلا ما كان على وجه الرفق والمعونة ، فلا يأخذ إلا ماهو مفتقر إليه في الحال[1] .

زرُّوق :

لا تمدنَّ يدك إلى الأخذ من الخلائق حتى ترى أن المعطي فيهم مولاك ، فأنت بمعزل عنهم في عين التوجه إليهم ، سواء كان الأخذ منهم بسبب وبلا سبب ، فلابد من هذا الشرط ، وعلامة التحقق عدم حصر الجهات بترك الإشراف والتشوّفات ، وسقوط الحرص في عموم الأوقات والحالات ، والتمسّك بالحق في كلّ وقت وحال ، فإن كنت معقود القلب بالحقيقة ، كما ذكرنا ، فلا تهمل الشريعة ، بل خذ من الله ما أجرى على أيديهم مما وافق العلم على أخذه ، أو المتفق عليه عند أئمة الفتوى ، أو الراجح عند إمامك أو غيره عند الضرورة[2] .

الشرقاوي :

لا تمدن يدك أيها المريد المُتجرِّد إلى الأخذ من الخلائق مما يعطونه لك من الأرزاق على وجه الرفق إلا بشرطين : إلا بعد ملاحظتك أن المُعطي فيهم مولاك ، فلا ترى العطاء الذي يصل إليك إلا منه ، وأن الخلق أسباب ووسائط ، ولا يكفي في تلك الرؤية أن تكون علمًا وإيمانًا فقط ، بل لابد أن تكون حالًا وذوقًا ، فإن كنت ملاحظًا مولاك فخذ ما وافقك العلم على أخذه ، والمراد علم الظاهر بأن لا تأخذ إلا من يد مُكلّف رشيد تقيّ ، وعلم الباطن بأن لا تأخذ إلا ما كان على وجه الرفق والمعونة ، فلا تأخذ إلا ما أنت مفتقرٌ إليه[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 54 : 60) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 396 ، 397 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 169 ، 170 .

191

رُبَّمَا اسْتَحْيَا العَارِفُ أنَ يَرْفَعَ حَاجَتَهُ إلى مَوْلاه لاكْتِفَائِهِ بِمَشِيئَتِهِ ، فكيف لا يَسْتَحِي أن يَرْفَعَها إلى خَلِيقَتِه ؟!

الرندي :

من الأدب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ، ورضًا لسابق قسمته ، والعارفون المحققون يستحيون من الله تعالى في ذلك ، فكيف لا يستحيون من مولاهم - عز وجلّ - عند سؤالهم للمخلوقين ؟! وهل أدبهم في ذلك واستحياؤهم من ربهم إلا واجب عليهم ، فلا يسألون منهم شيئًا ولا يرفعون إليهم حاجة ؛ لأنهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد[1] .

ابن عجيبة :

العارف هو الذي بلغ من التقرُّب والقرب حتى امتحق عن نفسه بالكلية وزالت عنه الأينية والغيرية ، بحيث لم يبق له عن نفسه إخبار ولا مع غير مولاه قرار ، فإذا أراد أن يسأل عبودية استحيى من مولاه أن يثبت معه سواه اكتفاء بمشيئته وتحقيقًا لأحديته ، فإذا كان يستحيي من مولاه أن يرفع حوائجه إليه فكيف لا يستحيي منه أن يرفعها إلى غيره ، فلا جرم أن الحق سبحانه يعطيه أفضل ما يعطي السائلين[2] .

الشرنوبي :

رفع الهمّة لسالكي طريق الآخرة عن المخلوقين مما يُوجب قربهم من ربِّ العالمين ، فإن العارف ربَّما استحيا من سؤال المولى - عزَّ وجلَّ - اكتفاءً بما قضاه له في الأزل ، فكيف لا يستحي من رفع حاجته إلى بعض العبيد ، وهم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد[3] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 67) .

(2) إيقاظ الهمم : ص 354 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 195 .



192

إذا التَـبَسَ عليـك أمـران فانظـر أثقَلَهُمـا علـى النَّفـسِ فَاتَّبِعْه ، فإنَّـه لا يثقُـل عليهـا إلَّا مـا كان حقًّـا

الرندي :

هـذا ميـزان صحيـح باعتبـار غالـب الأنفـس ؛ لأنهـا مجبولـة علـى الجهـل والشـره ، فشـأنها أبـدًا إنمـا هـو طلب الحظـوظ ، والفـرار من الحقـوق ، فـإذا وجد المريد من نفسـه ميـلاً وخفـة عنـد بعض الأعمـال دون البعـض اتهمها ، وتـرك ما مالـت إليه وخـفَّ عليها ، وعمـل بما اسـتثقلته[1] .

زرُّوق :

إذا اشـتبه واختلـط أمران واجبـان ، أو مندوبان ، أو مباحـان ، أو مكروهان ، لا مندوحة عنهمـا ، ولا أرجحيـة لأحدهمـا على الآخـر ، ولا يمكن الجمـع بينهما : كَبِـرِّ أحد الأبوين لمخالفتـهِ الآخـر ، وثقـل الشـيء علـى النفس ، فـإذا توجهـت لشـيءٍ لا تعرف له مـادةً في الأحـكام تُرجِّـح فيـه التـرك مـن الفعل ، فاعلـم أن خفَّتـه على النفس مـن هواهـا ، وإن ثقلَ عليهـا مـع كـزازة وطيش وعمي فاتبعـه ، فإنه لا يثقـل عليها إلا مـا كان حقًّا ؛ لأنهـا مجبولة على ضـد الخير .

الشرقاوي :

إذا التبـس عليـك أمـران واجبـان أو مندوبـان ، فلـم تـدْرِ أيهمـا أولـى أن تشـتغل بـه كطلـب مـا لا بـد منـه مـن العلم وسـعي علـى العيـال ، فانظـر أثقلهما علـى النفـس فاتبعه، فإنـه لا يثقـل عليهـا إلا مـا كان حقًّـا ؛ لأنهـا مجبولـة علـى الجهـل ، فشـأنها أبـدًا إنمـا هو طلـب الحظـوظ والفـرار مـن الحقوق ، فـإذا وجـد المريد من نفسـه خفة وميـلًا عند بعض الأعمـال دون بعـض ، اتهمهـا وتـرك مـا خفـت عليه ومالـت إليه ، وعمـل بما اسـتثقلته .

غيث المواهب العلية : (2 / 72 ، 73) .
حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 401 ، 402 .
شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 172 .

193

مـن علامـات اتِّبـاع الهَـوَى المُسَـارعة إلـى نَوَافِـل الخَيـرات والتَّكاسـل عـن القِيـام بالواجبـات

الرندي :

هـذه مـن الصـور التي يتبيـن بها خفّـةُ الباطل وثقـلُ الحقّ علـى النفس ، ومـا ذكره هو حـال أكثـر النـاس ؛ فتـرى الواحـد منهـم إذا عقـد التوبـة لا همَّـة له إلا فـي نوافـل الصيام والقيـام ، وتكـرار المشـي إلـى بيـت اللـه الحـرام ، وما أشـبه ذلـك مـن النوافـل ، وهو مع ذلـك غيـر متـدارك لما فـرّط فيه مـن الواجبـات ، ولا متحمـل لما لـزم ذمته مـن الظلامات والتبعـات ، ومـا ذاك إلا لأنهـم لـم يشـتغلوا برياضة نفوسـهـم التـي خدعتهم ، ولـم يحفلوا بمجاهـدة أهوائهـم التـي اسـترقتهم وملكتهـم ، ولـو أخـذوا في ذلك لـكان لهم فيـه أعظم شـغل ، ولـم يجدوا فسـحة لشـيء مـن التطوعات والنفـل[1] .

ابن عجيبة :

مـن شـأن النفـس أن يثقـل عليهـا الواجـب لمشـاركة النـاس لهـا فيـه ؛ إذ جُـلُّ الناس يفعلونـه فـلا يظهـر لهـا فيه مزيـة علـى غيرهـا ، وهـي أبـدًا تحـب الخصوصيـة بخـلاف النوافـل فإنهـا تبطـش إليهـا ، وتحـب أن تنفـرد بهـا إما لطلـب المـدح والثناء ، وإمـا لطلب الأجـور مـن القصـور والحـور ، فالمسـارعة إلى نوافـل الخيـرات وفضائل الطاعـات ، مع التكاسـل عـن الفـروض الواجبـات مـن علامـة الهـوى ، فيجـب علـى الإنسـان أن يُقـدِّم الفـرض الواجـب[2] .

الشرنوبي :

مـن علامـة اتبـاع هوى نفسـك – أيهـا المريد – المسـارعة عنـد عقد التوبة إلـى نوافل الخيـرات مـن صيـام وقيـام ونحـو ذلـك ، والتكاسـل عـن القيـام بحقـوق الواجبـات التي عليـك ، كقضـاء فائتـة واسـتحلال مـن ظُلامـة ، اتباعًـا لمـا خـف على النفـس وتـركًا لما ثَقُـل عليهـا ، فـإنَّ حظَّهـا فـي النَّوافـل أن تُذكر بها عنـد الناس ، بخـلاف الفرائـض ، فتُحرم الوصـول بتضييع الأصـول[3] .

(1) غيث المواهب العلية : (2/ 77) .

(2) إيقاظ الهمم : ص 357 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 197 .

قيَّد الطَّاعاتِ بأعْيَانِ الأوقات كي لا يمنعك عنها وجودُ التَّسْويف، ووسَّع عليك الوقتَ كي تَبْقى لك حِصَّةُ الاخْتيار

الرندي :

أنعم الله عليك فيما أمرك به من الطاعات المؤقتة بالأوقات بنعمتين عظيمتين ؛ **إحداهما** : تقييدها لك بأعيان الأوقات لِتُوقِعها فيها ، فتفوز بثوابها ، ولو لم تفعل هذا لسوّفت بها ولم تعمل بها حتى تفوت فيفوتك ثوابها ، **والنعمة الثانية** : توسيع أوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار ، حتى تأتي بالطاعات في حال سكون وتمهُّل من غير حرج ولا ضيق[1] .

زرُّوق :

ذكر في الوجهين نعمتين عظيمتين مِعينتين على اتباع الحق ، ومراقبة الأوقات والطاعات التي بها يتوصل إلى عظيم الثواب وحسن المآب ، وفي نفي التسويف كرامات ثلاث : مبادرة الأمر ، ومراقبة الذكر ، وعمارة السر ، وفي بقاء جهة الاختيار ثلاث كرامات : التوسعة بدلًا من الضيق ، وظهور النسبة باختيارك لنفسك ، وانشراح الصدر للعبادة[2] .

الشرقاوي :

قيد الله تعالى الطاعات الواجبة عليك كالصلوات الخمس بأوقات معينة ، ولم يُطْلِق وقتها ؛ كي لا يمنعك عنها وجود التَّسْويف ، فإنه تعالى لو أطلقها ولم يعين لها أوقاتًا لحملك التسويف على تركها ، فإنك تتكاسل ، **وتقول** : حتى أفرغ من حاجتي أُصلِّي لاتّساع وقتها ، فربما مضى الوقت ولم تفعلها ، بخلاف تقييدها بأوقات معينة ، فإن ذلك يُلجئك إلى تحصيلها ، ويحجزك عن تفويتها ، ووسَّع أوقاتها عليك ، ولم يضيقها ، فيمكنك فِعْلُها في أول وقتها أو أوسطه أو آخره ، ولا تُعَدُّ من المضيِّعين لها[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 78 ، 79) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 405 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 174 .



علم قلَّة نُهُوض العِبَاد إلى مُعَامَلَتِه ، فَأَوْجب عليهم وُجُودَ طاعته ، فسَاقَهم إليه بسلاسل الإيجاب « عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنَّة بالسلاسل »[1]

الرندي :

لما علمَ الله تعالى قلَّة نهوض العباد إلى معاملته الواجبة له عليهم ، من : إقامة العبودية لمشاهدة الربوبية في حال طواعية منهم ؛ إذ في ذلك قرَّة أعينهم ، وغاية نعيمهم ، أوجب عليهم وجود طاعته على حال كراهية منهم ؛ لأجل ما خوّفهم به إن لم يفعلوا ، فساقهم بسلاسل تخويفه وتحذيره إليه ، واستدرجهم بذلك إلى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به ، وقد عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل[2] .

زرُّوق :

لمَّا علم الحق سبحانه أن من نهض لمعاملته دون تنبيه ولا تأكيد من العباد قليل ، وأن أكثر الخلق إنما يتبعون الهوى أو يشتغلون بدنيا ونحوها عزم لهم بالإيجاب ؛ ليكون محجةً للعاقل وحجة على الغافل ، فلزمهم ذلك طوق أعناقهم كالسلاسل ، **فالناس ثلاثة** : رجل أنهضتْه للعبادة والخدمة محضُ العبودية ، وهذا حُرٌّ كامل ، ورجل أنهضه لها حُسْنها وهو معامل بها ، وهذا مريد طالب أو عارف مستنير ، ورجل أنهضه إليها وجود الثواب والعقاب ، وهذا من عوام المؤمنين وكافة أصحاب اليمين ، وقد عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بسلاسل ؛ لأنها مجبوبة بالطبع ، والتراخي عنها من العجب العجاب[3] .

الشرقاوي :

علم قلة الإقبال عليه بطاعته والقيام بحقوق ربوبيته طوعًا منهم لما هم عليه من وجود الضعف ، ولما في نفوسهم من وجود الكسل ، فألزمهم بذلك قهرًا عنهم وخوَّفهم بدخول النار إن لم يفعلوها ، فساقهم إلى الإقبال عليه بطاعته بالإيجاب الشبيه بالسلاسل ؛ لحصول ما يسرهم في المستقبل ، وإن كانت الطاعة شاقة عليهم في الحال ، وقد عجب الله من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل[4] .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه : رقم (2848) .

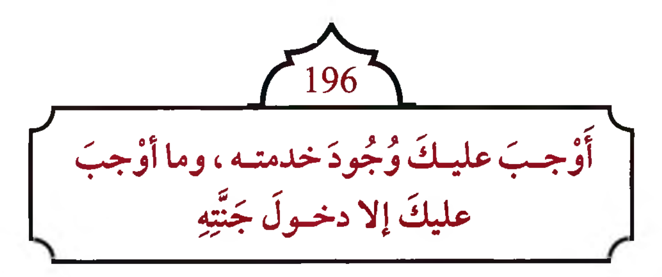
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 79) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 407 ، 408 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 175 .

الشرنوبي :

علم الله سبحانه قلَّة نهوض عباده إلى معاملته من إقامة العبودية طوعًا منهم ، فأوجب عليهم وجود طاعته كرهًا ؛ لأجل ما خوفهم به إن لم يفعلوا ، فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب والتخويف ، واستدرجهم بذلك إلى ما فيه نعيمهم ، كما يفعل ولي الصبيِّ عند إرادة تأديبه ، فيكونون كأسارى الكفار الذين يراد بهم الدخول في الإسلام ، كما في الحديث النبوي : « عجب الله من أقوام يُقادون إلى الجنة بالسلاسل »[1][2] .



الرندي :

الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ، ولا تضرّه معصيتهم ، والتكاليف كلُّها إنما أوجبها عليهم لما يرجع إليهم من مصالحهم لا غير ، وما ذكره المؤلف - رحمه الله - هو حال عامة الناس الذين من شأنهم التأنِّي ، وعدم الانقياد للأوامر والنواهي ، ولذلك احتاجوا إلى التخويف والتحذير والموالاة للحضِّ والمبالغة في النكير[3] .

زرُّوق :

الطاعة مضمنة بالجنة ؛ لأنها ثوابها ، والله تعالى لا يُخْلف وعده ، والآتي قطعًا كالموجود في الحال ، ثم **جنَّات المطيع ثلاث** : جنَّة المعاملة بعظم المنَّة ، وجنَّة الفتوح بظهور الكرامة ، والجنة الحسيّة في الدار الآخرة ، وقد ثبت أن الحق تعالى غني عنك فطاعتك لك ، وإذا كان كذلك وجب أن تقصّر في حقوقه إن ساعدك القدر على ذلك ، وإلّا فلا تيأس من مولاك ؛ لأن ذلك قادح في يقينك[4] .

الشرنوبي :

أوجب الحقُّ تعالى عليك في الظاهر وجود خدمته ، وفي الحقيقة ونفس الأمر ما أوجب عليك إلا دخول جنته ، فإنه سبحانه جعل الأعمال سببًا لدخول الجنة ،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه : (2848) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 198 .
(3) غيث المواهب العلية : (2 / 81) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 409 .

والمقصود بهذه الحكمة وما قبلها الإعلام بأن الله تعالى غني عن خلقه ، لا تنفعه طاعتهم ، ولا تضره معصيتهم ، بل التكاليف كلها ترجع إلى ما فيه منفعتهم[1] .

197

من استغربَ أن يُنقذَه الله من شهوته ، وأن يُخرجَه من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الإلهية ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : 45]

الرندي :

من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة ، فلا ينبغي له أن يستغرب أن ينقذه الله من أسر شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه ، فإن في ذلك نسبة العجز إلى القدرة الإلهية ، والله تعالى مُتصفٌ بالاقتدار على كلّ شيء ، وهذا من الأشياء ؛ وليعلم العبد أن قلوب العباد ونواصيهم بيده ، فلا يقنط ، ولا ييأس ، وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار ، فعساه يسهل عليه ما استصعبه[2] .

الشرقاوي :

من استحكمت فيه الشهوة والغفلة ، واستغرب أن يُخرجه الله من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الإلهية ، ونسبها إلى العجز ، مع أنه تعالى وصف نفسه بالاقتدار على كل شيء[3] .

ابن عجيبة :

لا شك أن الحق تعالى لا يعجزه شيء هو الغالب على أمره ، وقلوب عباده بيده يصرفها كيف شاء ويقلبها حيث شاء ، فمن كان منهمكًا في الغفلة مستغرقًا في بحار الشهوة ، فلا يستغرب أن ينقذه الله من غفلته ، وأن يخرجه من وجود شهوته ، فإن ذلك قَدْحٌ في إيمانه ، وكيف يُسْتَغْرَبُ ذلك وربنا تعالى يقول : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف : 45] ، وأنت من ذلك الشيء ؟![4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 199 .
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 84) .
(3) حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 177 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 361 .



198

رُبَّمَا وَرَدَتِ الظُّلَمُ عَلَيْك ؛ لِيُعرِّفك قَدْرَ ما مَنَّ به عليك

الرندي :

ما أورده الله عليك من ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي الهجر والفرقة ، فإنما ذلك ليعرِّفك قدر ما مَنَّ عليك من أنوار التجلِّي والحضور في نهاية القربة والوصلة ، فجميع ذلك نِعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك[1] .

زرُّوق :

المراد بالظلم : الشهوات والغفلات والمعاصي ، وابتلاء العبد بها تارةً يكون طردًا ، وتارة يكون تأديبًا ، وتارة يكون تقريبًا ، فإذا أثمرت إنابته كانت تقريبًا ، وإذا أثمرت انكسارًا وتذكيرًا كانت تأديبًا ، وإذا أثمرت تعلقًا بها كانت طردًا[2] .

الشرقاوي :

ربما وردت الشهوات والمعاصي والغفلات عليك ؛ لِيُعَرّفَكَ ، حال ورودها ، قَدْرَ ما منَّ الله به عليك من الأنوار والإقبال على مولاك فتحمده عليها ، وإذا رجعت إلى حالك عرفت أن ذلك نعمة عظيمة فيكثر منك الحمد والشكر ، فقد صارت النقمة نعمة ، وقد يكون سبب ورودها ما حصل منك من الإعجاب بطاعتك فيوردها عليك لتعرف قدرَك[3] .

ابن عجيبة :

ربما أورد عليك أيها الإنسان الحقُّ تعالى الأغيارَ والأكدار وحب الشهوات والعوائد ، فتغرق في بحارها وتسجن في سجون ظلماتها ، ثم ينقذك منها في ساعة واحدة ، وذلك لتعرف بعد الفتح قدر ما منَّ الله به عليك فتزداد محبة وشكرًا ، ويعظم السر عندك محلًّا وقدرًا ، فتعرف حقه وتصونه عمن لا يستحقُّه[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 87) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 412 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 177 ، 178 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 363 .



الرندي :

أكثـر النـاس لا يعرفـون قـدر النعـم إلا إذا فقدوهـا ، وذلك لأجـل غلبة الغفلـة عليهم حيـن وجودها عندهـم[1] .

الشرقاوي :

هـذا تعليـل لمـا قبلـه ، كأنـه قـال : إنمـا كان ورود الظلـم مُعَرِّفًا بقـدر النعـم ؛ لأن الأشـياء إنمـا تتبيـن بأضدادهـا ، فعند وجـود النقيض يظهر فضـل المناقِـض ، فإنما يعرف قـدر نعمـة البصـر مثـلًا مـن ابتلـي بالعمـى ، وقـد قيـل : إنما يعـرف قـدر الماء مـن ابتلي بالعطـش بالباديـة ، لا مـن كان علـى شـاطئ الأنهـار والأودية[2] .

ابن عجيبة :

العبـد قـد تتـرادف عليـه النعـم والعوافـي ، فـلا يعـرف قدرهـا ولا تعظـم عنـده كل التعظيـم ، فـإذا سـلبها وضُـرب بالبـلاء والأوجـاع والمصائـب فحينئـذٍ يعـرف قـدر العافيـة ، وكذلـك الفقيـر يكـون مصحوبًـا بالحضـور والفكـرة والنظـرة فـلا يعظـم عنـده قدرهـا ، فـإذا أصابتـه الغفلـة ورجـع إلـى الحـس وفقـد قلبـه ، عـرف قـدر مـا كان عنـده ، فـإذا التجـأ واضطـر إلـى اللـه ، ردَّ إليـه مـا سـلبه[3] .

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 87) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 178 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 365 .

200

لا تُدْهِشْك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك ، فإن ذلك مما يحُطُّ من وجود قدرك

الرندي :

إذا ترادفت نعم الله تعالى عليك ، فلا ينبغي أن تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك ، وأن لا قِبل لك به فتتركه ، فإن الله تعالى رفع قدرك وأعلى أمرك ، وجعل القليل منك كثيرًا ، وأشهدك من حُسن توليه لك ، ونسبة أفعالك إليه ما يؤذن بعظم سيادتك ورفعة قدرك ، فلِمَ تبخس نفسك حقّها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الأمر ، لا على وجه الأدب والإتيان من الشكر بما وجب كأن الأمر في ذلك إليها ؟![1] .

زرُّوق :

لا تدهش عن الشكر لما تراه من تواتر النعم وكثرتها وتسلسلها ، فإن ذلك نقص وتقصير ، وأصله ثلاثة عيوب : **أولها** : إرادة مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا ، وذلك من قلَّة المعرفة بجلاله ، **الثاني** : رؤية النفس ونسبتها في الأفعال ، وهو من باب الاعتماد على الأعمال ، **الثالث** : اعتقاد أن الشكر رسم عقلي فيريك مقابلة ما يقتضيه معقوله بما يقتضيه معقوله ، فلا يتناهى له ما يريد لعدم تناهي ما يترتب عليه فيدهش ، ولو رآه رسمًا شرعيًّا كما هو الحق ، لكفاه في شكر النعمة ما وقع بإزائها من العبودية[2] .

ابن عجيبة :

قد يتفكر الإنسان في نفسه وما به من النعم حسية ومعنوية ، فإذا وجد نفسه مغمورًا في النعم فلا يدهش منها ويتحقر في نفسه عند القيام بشكرها ، فإن الاعتراف بها ومعرفتها والإقرار بها أنها من الله بلا واسطة هو شكرها[3] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 89) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 414 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 366 .

201

تَمَكُّنُ حَلَاوةِ الهَوَى من القلْب هـو الدَّاءُ العُضَالُ

الرندي :

القلـب محـلُّ الإيمـان والمعرفـة واليقيـن ، وهـذه هي الأدويـة لأمراضه التـي أوجبها وجـود الهـوى والشـهوة ؛ فـإذا تمكـن الـداء مـن القلـب لـم يبـق للـدواء محـلٌّ ، فلذلـك أعضـل أمـره ، وتعذّر بـرؤه[1] .

زرُّوق :

حلاوة الهوى : لذته المدركة بالوجدان ، **وتمكنها من القلب** : رسوخها فيه ، **والداءُ العضال** : هو الذي لا تزيده المداواة إلَّا تمكُّنًا وقوة ، **والهوى** : ثبات داعي النفس في مقابلة داعي الحق ، **وإن شئت قلت** : ميل النفس لما تريده طبعًا ، وإنما تتمكن حلاوة الهوى من القلب بثلاثة أمور : الرضا عن النفس ، والغفلة عنها ، والاسترسال مع مرادها[2] .

الشرقاوي :

تمكن حب الشهوات الدُّنيا من القلب هو الذل ، فلا تنفع فيه الحيل والأسباب ، والأدوية كالإيمان والمعرفة واليقين ، فإن الداء إذا تمكن من القلب لم يبق للدماء محلٌّ ، فلذا عضل أمره وتعـذَّرَ بُرْؤُه ، ولا يفيد فيه الوارد الإلهي[3] .

ابن عجيبة :

حلاوة الهوى على قسمين : هوى النفس ويرجع لشهواتها الجسمانية كحلاوة المآكل والمشارب ، وهو القلب ، وهوى شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة ، فأما علاج هوى النفس بالفرار من الشهوات والزهد وصحبة الأخيار ، وأما علاج هو ى القلب إذا تمكن فهو صعب ، وهو الداء العضال الذي أعضل الأطباء وأعجزهم ، فلا يزيده الدواء إلا تمكنًا[4] .

الشرنوبي :

تمكُّن حلاوة ما تهواه النفس من الشهوات الدُّنيوية من القلب هو الداء العضال الذي يتعذر برؤه ، فإن القلب محلُّ الإيمان والمعرفة واليقين ، وهذه هي الأدوية لأمراضه ، ما لم يكن الداء معضلًا كتمكُّن الهوى ، فلا يفيد فيه إلا وارد إلهيٌّ[5] .

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 90) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 416 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 180 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 367 .

(5) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 201 .

202

لا يُخْرِج الشهوةَ من القلب إلا خوفٌ مُزعجٌ أو شوقٌ مُقْلقٌ

الرندي :

الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها إلا وارد قوي قاهر غلّاب يَرِد عليه ، وذلك : إمَّا خوف مزعج ، أو شوق مقلق ، وماعدا هذين الأمرين لا استقلال له بذلك[1] .

زرُّوق :

لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ، وذلك لأنهما يأتيان من بساط قهر وجلال ، وإذا بدت أوصاف الحق لم يبق أثر لأوصاف الخلق ؛ فالخوف انزعاج السرّ لما علم من الوزر عند مشاهدة القهر[2] .

الشرقاوي :

لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج ، يرد على القلب من شهود صفات الجلال ، ومنشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعدّ للعُصاة وتذكُّره نزول الموت به ودخوله للقبر وحيدًا وسؤال الملكين مع أهوال الحشر والمعاد ، أو شوق مقلق يرد على القلوب من شهوة صفات الجمال ، منشؤه النظر في الآيات المحتوية على ما أعد لأهل الطاعات وتذكُّره ما أعد لأوليائه من النعيم[3] .

ابن عجيبة :

الشهوة إذا تمكنت من القلب صعب علاجها ، فلا يمكن خروجها في العادة إلا بوارد قهري جلاليٍّ أو جماليٍّ ، فالوارد الجلالي هو خوف مزعج ، فيزعجك عن شهوتك ويخرجك عن وطنك وأهلك ، والوارد الجمالي هو شوق مقلق ، فيقلقك عن مراداتك وحظوظك فينسيك نفسك ، ويؤنسك بربك ، ولأجل صعوبة هذا المرض كان أشد حجابًا عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد ؛ لأن هذه الشهوة خفية ؛ فصاحبها أضله الله على علم[4] .

* * *

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 90) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 418 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 180 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 368 .

كَمَا لا يُحِبُّ العملَ المُشْتَرَكَ ، كذلك لا يُحِبُّ القَلْبَ المشْتركَ ؛ العملُ المُشْتركُ لا يَقْبلُهُ ، والقَلْبُ المشتركُ لا يُقبِلُ عليه

الرندي :

العمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنّع ، والقلب المشترك هو الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون إليه والاعتماد عليه ؛ فالعمل المشترك معتل بنظر صاحبه إلى الناس ، والقلب المشترك معتل بنظر صاحبه إلى نفسه ، فالعمل المشترك لا يُحبه ، ولا يقبله ، ولا يثيب عليه ؛ لفقد الإخلاص منه ، والقلب المشترك لا يحبه ، ولا يُقبل عليه ولا يرضى عنه ؛ لعدم وجود الصدق فيه ، فمن صحّح أعماله بالإخلاص وأحواله بالصدق ، كان محبوبًا لله تعالى ، مُثابًا ، مرضيًّا عنه[1] .

زرُّوق :

العمل المشترك هو الذي يداخله ثلاثة أحوال : أحدها : **الرياء** : وهو العمل على رؤية الخلق ، **والتصنع** : وهو تحسين العمل لأجل الخلق ، **والعجبُ** : وهو رؤية النفس في العمل فالرياء قادح في صحَّة العمل ، وما بعده قادح في كماله ، والربّ سبحانه وتعالى إنما يرضى بعمل خالص لوجهه ، **والقلب المشترك** : هو الذي داخله الهوى والأنس بالخلق والاستناد إليهم ، ومعنى المحبة منه تعالى ترجع للرضا والقبول ؛ فلذلك **قال** : العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يُقبل عليه ، وما لا يقبله مردود على صاحبه ، ولا يُقْبِل على هذا لعزَّته وجلاله[2] .

الشرنوبي :

سبحانه وتعالى لا يحب العلم المشوب بالرِّياء وملاحظة الخلق ، كذلك لا يحب القلب الذي فيه محبة غيره ، ولما كانت المحبة بمعنى ميل القلب مستحيلة على الله تعالى ، بيَّن المراد منها بقوله : العمل المشترك لا يقبله ، أي : لا يثبت عليه ؛ لفقد الإخلاص منه ، والقلب المشترك لا يُقبل عليه ، أي : لا يرضى عن صاحبه ؛ لعدم صدقه في محبته[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 91) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 419 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله الشرنوبي : ص 202 .

أَنْـوَارٌ أُذِنَ لهـا فـي الوُصُـولِ ، وَأَنْـوارٌ أُذِنَ لهـا فـي الدُّخُول

الرندي :

الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم إلى قسمين : أنوار أُذن لها في الوصول إلى ظاهر القلب فقط ، وأنوار أذن لها في الدخول إلى صميم القلب وسويدائه ، فالأنوار الواصلة إلى ظاهر القلب يُشاهد العبد معها نفسه وربّه ودنياه وآخرته ، فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربّه ، وطورًا يسعى في العمل لآخرته ، وطورًا يعمل في أمور دنياه ، والأنوار الداخلة إلى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها إلا وجود الله عز وجل ؛ فلذلك لا يُحبُّ سواه ولا يعبد إلا إيّاه[1] .

زرُّوق :

الأنوار : جمع نور ، وهو الظل الواقع في الصدر من معاني الأسماء والصفات ، وهو في الأصل نوعان : نورٌ مستودع في القلوب ، ونور وارد من خزائن الغيوب ، فالمودع في القلوب بمثابة نور العيون ، والوارد من خزائن الغيوب بمثابة نور الشمس ، ثم هو على قسمين : نور وصل لظاهر القلب ولم يدخل باطنه وهو الذي أثَّر فيه ، ولم يوجب له إقدامًا ولا إحجامًا ، ونور دخل باطن القلب وخالط حشاشته ، فأوجب الإقدام والإحجام على حكمه[2] .

ابن عجيبة :

الأنوار التي أذن لها في الوصول هي أنوار الإيمان ، وهي لأهل الدليل والبرهان ؛ لأن قلوبهم لم تتفرّغ من الأغيار ، وأما الأنوار التي أذن لها في الدخول فهي أنوار الإحسان من الشهود والعيان ، وذلك لأنهم لما فرّغوا قلوبهم مما سوى ربهم دخلتها الأنوار فوجدت متسعًا فسكنت سويداء قلوبهم[3] .

الشرنوبي :

الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب ، وهي الأسرار الإلهية والمعارف الربانية ، تنقسم إلى قسمين : أنوار أذن لها في الوصول إلى ظاهر القلب فقط ، فيشاهد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته ، وأنوار أذن لها في الدخول إلى صميم القلب وسويدائه ، فلا يحبُّ العبدُ عند ذلك سوى مولاه ، ولا يفعل إلا ما يُحبُّه سيده ويرضاه[4] .

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 92) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 423 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 372 .
(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 202 .



رُبَّما وَرَدَتْ عليك الْأَنوارُ فوجدتِ الْقَلْبَ محشوًّا بصور الآثار ، فارتحلت من حيث نَزَلَتْ

الرندي :

الأنوار الإلهية قد ترد على القلب فلا تجد فيه موضعًا لاستقرارها ؛ لما غلَب عليه من رعونات البشرية ، واستحكم فيه من صور الآثار الكونية ، فترتحل من حيث تنزل ؛ لأنها مقدّسة مطهَّرة[1] .

زرُّوق :

ربما تلمَّح القلب شيئًا من المعارف ونحوها طافت به ، ثم إنها لم تثبت فيه ، ولم تداخله ، فخرج من بساط الهوى ما صرفها عنه من معصية ، أو شهوة ، أو غفلة ، فذهب في هزِّ الرءوس وتقطير العيون ، وما ذاك إلا لما انطبع من صور الآثار في مرآة القلب[2] .

الشرقاوي :

ربما وردت عليك العلوم والمعارف الإلهية ، فوجدت القلب متعلقًا بصور المكونات من أموال وأولاد وغيرهما ، فارتحلت من المكان الذي نزلت فيه وهو القلب ؛ لأنها مطهرة مقدسة ، فلا تحل في القلب المدنس بالأغيار[3] .

ابن عجيبة :

كثيرًا ما ترد عليك أنوار عالم الغيب لتغيِّبك عن عالم الشهادة ، فتجد قلبك محشوًّا بصور عالم الشهادة فترحل عنك ، وتتركك محبوسًا في يدها ، أو تقول : كثيرًا ما ترد عليك أنوار المعاني لتخرجك من سجن الأواني ، فتجد قلبك مملوءًا بها ، فتتركك في وسطها محجوبًا بها[4] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 92 ، 93) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 425 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 182 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 373 .



الرندي :

إذا أردت حلـول الأنـوار فيـه ، وتجلّـي المعـارف والأسـرار لـه ، ففرّغه مـن الأغيار ، وامـح عنـه صور الآثـار[1] .

زرُّوق :

المطلـوب تطهيـر القلـب عمَّـا سـواه ؛ لأنـه لا يرضـى معـه بشـريك ، وإذا فـرَّغ العبدُ قلبـه له مـلأه بأسـراره وأنـواره[2] .

الشرقاوي :

فـرِّغ قلبـك مـن التعلق بغيـر مولاك ، وامـح عنه صور الآثـار ، بأن لا تتوجه بسـرّك إلى غيـر ذلك ، فـلا يكن لك أنس إلا بـه ، ولا اعتمـاد إلا عليه[3] .

ابن عجيبة :

فـرِّغ قلبـك أيهـا الفقيـر ممـا سـوى اللـه ، بحيـث لا يتعلـق قلبـك بشـيء مـن الكـون علويًـا أو سـفليًّا ، دنيويًـا أو أخرويًـا ، حسـيًّا أو معنويًـا ، كحـب الخصوصية وغيرهـا ، فإذا رحـل قلبـك مـن هـذا العالـم بالكلية ولـم يبق فيـه إلا محبة مـولاه ، فإنـه يملـؤه بالمعارف وأسـرار الجبروت[4] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 93) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 426 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 182 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 373 ، 374 .



207

لا تستبطئ منه النَّوالَ ، ولكن استبطئ من نَفْسِك وجودَ الإقْبَال

الشرقاوي :

لا تستبطئ منه إعطاء المعارف والأسرار ، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال عليه بمحو صور الأغيار من مرآة قلبك بالمجاهدة والرياضة[1] .

ابن عجيبة :

الحق سبحانه جواد كريم حليم رحيم ، فلا تستبطئ منه العطاء ، وهو كشف الحجاب ، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال ، فلعل إقبالك عليه لم يكن بكلِّيتك، وأما لو زالت أغيارك لأشرقت أنوارك ، ولو تطهَّرت من جناية الغفلة لاستحققت الدخول إلى مسجد الحضرة ، وقد يكمل إقبالك ويفوتك الأدب مع سيدك ، وهو استبطاؤك النوال[2] .

الشرنوبي :

لا تستبطئ من ربك العطاء فتقول : أردت الفتح فلم يفتح لي ، ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال عليه بترك ما عداه وتسليم الأمر إليه ، فإن مَنْ تعلَّق بالأغيار لا يصلح أن يكون من الأخيار ، فاصدق في الإرادة تنل منه الحسنى وزيادة[3] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 182 ، 183 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 375 .

(3) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 203 .

حقوقٌ في الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يُمكن قضاؤها ؛ إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضي فيه حقَّ غيره ، وأنت لم تقض حق الله فيه ؟!

الرندي :

الحقوق الكائنة في الأوقات هي وظائف العبادات الظاهرة ، من : صلاة ، وصيام ، وغيرهما ، فمن فاته شيء منها في وقته المعين أمكنه قضاؤه في وقت آخر ؛ إذ قد جُعل له في ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق ، والحقوق المضافة إلى الأوقات هي المعاملات الباطنة التي تقتضيها أحوال العبد ، وواردات قلبه المتلونة عليه ، ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك ، فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه ، فعلى العبد أن يكون مراقبًا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها إن فاتت[1] .

الشرقاوي :

حقوق كائنة في الأزمنة ، وتلك الحقوق هي وظائف العبادات الظاهرة ، يمكن قضاؤها إن فاته شيء من ذلك ، فبوقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر ، وما يرد على العبد من قبل الربِّ من الأحوال ، فوقت كل عبدٍ ما هو عليه من تلك الأحوال ، ولا يمكن قضاؤها إذا فاتت ؛ إذ ما من حالٍ يرد إلا ولله عليك فيه حقٌّ جديد وأمر أكيد ، فلا يسعك إلا أن توفي حقه فيمنعك اشتغالك بحقه عن اشتغالك بحق ما فاتك ، ولذا قال : فكيف تقضي فيه حق غيره مما فاتك وأنت لم تقض حق الله فيه ؟! وهو الحق المتعلق بذلك الوقت[2] .

ابن عجيبة :

الحقوق التي في الأوقات هي الطاعة التي عيَّن الله تعالى لها وقتًا محدودًا كالصلوات الخمس والسنن المؤكدة ، فإذا خرج وقتها أمكن قضاؤها وإن كان يسمى مفرطًا ، وأما حقوق الأوقات بأنفسها فهي مراقبة الحق أو مشاهدته كل واحد على قدر وسعه ، وهذه الحقوق إذا فات وقتها لا يمكن قضاؤها ، إذ الوقت الثاني له حق مخصوص لا يسع غيره ، فما من لحظة إلا ويجب عليك فيها أن تكون عاملًا لله مشتغلًا فيها بما يوصلك إلى قربه ورضاه ، وما من وقت أو لحظة ترد عليك أيها العبد إلا ولله عليك فيها حق جديد ، فإن غفلت عن الحق الجديد فقد فاتك القضاء وندمت على ما مضى ، فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه؟![3] .

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 93 ، 94) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 183 ، 184 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 376 ، 377 .

الشرنوبي :

إن الله تعالى جعل عليك حقوقًا في الأوقات ، وحقوقًا للأوقات ، فالحقوق التي في الأوقات المعينة لها كالصلاة والصوم يمكن قضاؤها في وقت آخر لمن فاتته ، وأما حقوق الأوقات ، وهي المعاملات الباطنية التي تقتضيها أحوال العبد التي يكون عليها من نعمة وبلية وطاعة ومعصية فلا يمكن قضاؤها ، بكون الوقت لا يخلو من حال منها ، فوقت كل عبد ما هو عليه من تلك الأحوال ، فيجب عليك مراقبة الأوقات ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، فإنه لا يُقضى متى فات[1] .



209

ما فات من عُمْرِك لا عوضَ له ، وما حصل لك منه لا قيمة له

الرندي :

عمر العبد ميدان لأعماله الصالحة المُقرّبة له من الله تعالى ، والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة ، وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبدُ ويسعى من أجلها ، وليس له منها إلا ما سعى[2] .

زرُّوق :

ما فات من عمرك خاليًا عن الفوائد الدينية والدنيوية والقيام بالحقوق اللازمة لا عوض له يستدرك به فائته ؛ لأن الآتي له من الحق مثل الذي للماضي ، ففوات الأول فوات الثاني ، وما حصلت فائدته وعائدته لا قيمة له ؛ لأن القيمة إنما تكون لما له مثل ، ولا مثل له ؛ فأعزُّ شيء الوقت[3] .

الشرقاوي :

ما فات من عمرك لا عودة ولا رجوع له ، فإذا خلَّيتهُ من العمل الصالح الذي هو وظيفة ذلك الوقت فاتك من السعادة بقدره ، ولا يمكنك تداركه ، وما حصل لك منه

---

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 203 ، 204 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 95) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 431 .

لا يمكـن أن يقـوم بشـيء لعظـم قـدره ؛ لأنـك تتوصـل بـه إذا اشـتغلت لحـق الله فيـه إلى مُلـك كبير فـي الآخرة وشـرف عظيـم كثير لا يفنـى[1] .

ابن عجيبة :

عمر المؤمن هو رأس ماله ، فيه ربحه وخسرانه ، فمن شدّ يده عليه كان من الفائزين ، ومن ضيّعه في البطالة والتقصير كان من الخاسرين ، فما فات منه في غير طاعة ربه لا عوض له ؛ إذ ما ذهب لا يرجع أبدًا ، وما حصل لك منه لا قيمة له تفي بقدره[2] .



الرندي :

المحبة للشيء تقتضي الانقياد له وشدّة العلاقة به ، وأن لا يبغي به بدلًا ، كما قيل : (حبك للشيء يُعْمي ويُصمُّ) ، وذلك معنى استعباده للمحب له ، فمن أحبَّ غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كائنًا ما كان ، والله لا يحب أن تكون لغيره عبدًا ، ولا يرضى بذلك[3] .

زرُّوق :

أمـا كـون المحبـة تَملُّـك المحبِّ للمحبـوب فواضـحٌ ، من ثلاثـة أوجه : **أحدهـا** : أنه يبـذل ولا يُبـذَل لـه ، **الثاني** : أنه محكـوم عليه ولا يحكُـم ، **الثالث** : أنه فـي قبضة التصريف مـن غيـر تصرُّف ، بـل هو ميت بيـن يـدي محبوبه[4] .

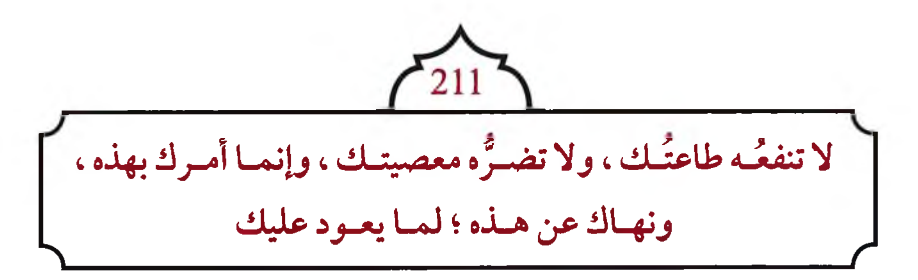
ابن عجيبة :

القلب إذا أحب شيئًا أقبل إليه ، وخضع له وأطاعه في كل ما يأمره ، إن المحب لمن يحب مطيع ، وهذه حقيقة العبودية : الخضوع والطاعة ، وليس للقلب إلّا وجهة واحدة ، وليس للإنسان إلا قلب واحد ، وإذا كان للقلب وجهة واحدة فمهما أقبل بها على مولاه

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 184 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 378 .
(3) غيث المواهب العلية : (2 / 98) .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 432 .

أعرض عما سواه وكان عبدًا له حقيقة ، وإذا أقبل على هواه أعرض قطعًا عن مولاه ، وكان عبدًا لسواه ، والحق سبحانه لا يرضى لعبده أن يكون عبدًا لغيره[1] .



211

لا تنفعُه طاعتُك ، ولا تضرُّه معصيتك ، وإنما أمرك بهذه ، ونهاك عن هذه ؛ لما يعود عليك

الرندي :

الحق تعالى غني عن أعمال العاملين ؛ لأنه منزّه عن الأعراض والأغراض ، فلا تنفعه طاعتك ولا تضرّه معصيتك ، وإنما أمرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا غير ، وذلك على سبيل التفضل منه من غير إيجاب عليه[2] .

زرُّوق :

أما أنه لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك ؛ فلأنه الغني على الإطلاق ، وأمرك بهذه الطاعة ، ونهاك عن المعصية ؛ لما يعود عليك ، فلأنك مفتقر إليه ، والعبودية له أعظم فوائدك ، فجعل فيها ما تحتاج إليه دينًا ودنيا ؛ لتقوم بها لدينك ودنياك ، فتكونَ قد حصَّلتَ فائدة العبودية التي هي أعظم الفوائد[3] .

ابن عجيبة :

الحق سبحانه غني عن كل شيء مفتقر إليه كل شيء ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضرّه معصية العاصين ، فلا تنفعه أيها العبد طاعتك فيكون محتاجًا إليها تعالى الله عن ذلك ، ولا تضره معصيتك فيكون مقهورًا بها ، وهو القاهر فوق عباده ، فإنما أمرك بالطاعة ليقربك ، ونهاك عن المعاصي لما جعل فيها من علامة البعد عن حضرته[4] .

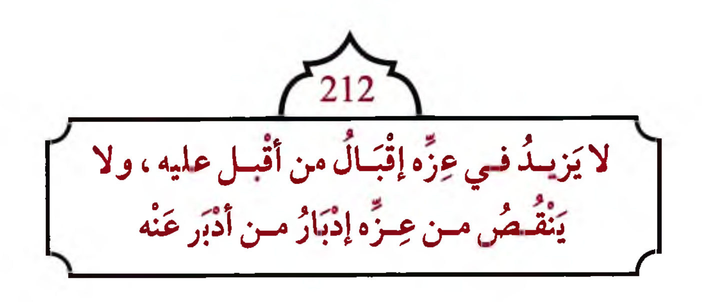


(1) إيقاظ الهمم : ص 379 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 99) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 434 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 381 .



الرندي :

عزّة الله تعالى صفة من صفات ذاته ، وصفاته في غاية الكمال والتمام ، فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وسببية العلل[1] .

الشرقاوي :

لأن عزّه صفة من صفاته الجامعة كالألوهية والكبرياء والعظمة ، وصفاته تعالى في غاية الكمال والتمام ، وهي منزهة عن الزيادة والنقصان[2] .

ابن عجيبة :

لا يزيد في عزِّه إقبال من أقبل عليه ؛ لأن عزّته أزلية قديمة ، ولا ينقص من عزِّه إدبار من أدبر عنه ؛ لأنه غني عن العالمين[3] .



الرندي :

الوصول إلى الله تعالى ، الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة ، هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى ، وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين ، وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعالٍ عنه[4] .

---

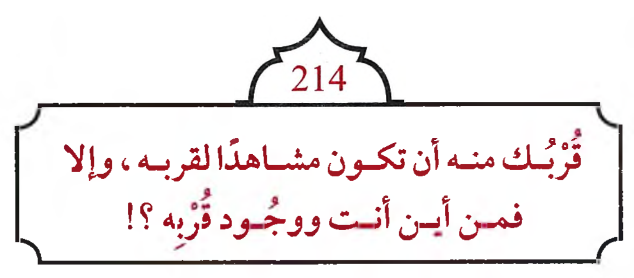
(1) غيث المواهب العلية : (2 / 100) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 186 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 382 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 101) .

زرُّوق :

حقيقة الوصول هي وصول القلب للعلم بجلال الله وعظمته ، على وجه يباشر حقيقة القلب ، ويجري معناه في الجوارح ، حتى تجري على حكمه من غير توقُّف ولا اختيار ، والناس فيه متفاوتون مختلفون اختلافًا متباينًا ، وإن اتفقوا في أصل الحقيقة ، وإن لم يكن الوصول ما ذكر فليس إلا النسب والمسافة والعلل والإضافة ، وهي من صفات الخلق التي لا يصح إجراؤها على الحق تعالى ؛ لتنزهه عن سمات المحدثات[1] .

الشرقاوي :

وصولك إلى الله هو وصولك إلى مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان ، ويعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة واليقين ، وبالتجلّي والفيض الرحماني والتعرف العياني والذوق الوجداني ، وأهل الشهود متفاوتون ، فمنهم من يحصل له تجلِّي الأفعال فيفضي فعله وفعل غيره في فعل الله ، ومنهم من يحصل له تجلِّي الصفات فيقف في مقام الهيبة والأنس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال ، ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء مشتملًا على باطنية أنوار اليقين والمشاهدة ، ومن لم يصل بما ذكر فلا يصح ؛ لأن الله تعالى جلَّ أن يتصل به شيء أويتصل هو بشيء لا حسًّا ، وهو ظاهر ، ولا معنى[2] .



214

قُرْبُك منه أن تكون مشاهدًا لقربه ، وإلا فمن أين أنت ووجُود قُرْبه ؟!

الرندي :

القرب الحق في قربُ الله منك ، وحظّك من ذلك إنما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة ، وأمّا أنت فلا يليق بك إلا وصف العبد وشهوده من نفسك[3] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 439 ، 440 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 186 ، 187 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 102) .

زرُّوق :

قربـك منـه أن تكـون شـاهدًا لقربه منك مشـاهدةً تقتضـي لك وجـود المراقبـة له حتى لا يـراك حيـث نهـاك ، ولا يفقـدك حيـث أمرك ، ثـم القرب على وجـوه ثلاثة : **أولهـا** : قرب الكرامـة ، وهـو مـن الحـق إلينـا ، وأتمـه مشـاهدة قـرب الحق منـا وإحاطتـه بنـا ، **والثاني** : قـرب الإحـاطـة بالعلـم والقـدرة والإرادة ، وهو قـرب الحق مـن كل موجـود ، **الثالث** : قرب المسـافات والنسـب والمدانـاة ، وهـو قرب الأجسـام وسـائر المحدثات ، فـلا يليق بالحق سـبحانه وتعالـى، وإن لـم يكـن القـرب ما ذكرنا فـلا وجـه للقـرب إلا المداناة والمناسـبة ، وهـو محال فـي حقه تعالـى[1] .

ابن عجيبة :

قربـك مـن الحـق أن تكـون مشـاهدًا لقربـه منـك قـرب وجـود وإحاطـة ، وذلـك بعد أن تلطفـت عوالمـك وفنيـت دائـرة حسّـك ، وحينئـذٍ يتحقق قربـك منـه ، وإن لا تعتقد هذا واعتقـدت وجـود نفسـك وثبـوت حسـك الوهمـي فـلا تشـاهد إلا البُعـد ، فمن أيـن أنت ووجـود قربـك الحسـي من نـوره اللطيـف حتى تـراه بعيـن الحس ؟! فما دمت فـي عالم الأشـباح فأنـت بعيـد عـن عالـم الأرواح في حـال قربك منـه[2] .



الرندي :

حقائـق العلـوم اللدنيـة يقذفهـا الحـق تعالـى فـي أسـرار العارفيـن عنـد براءتهـم مـن الدعـوى وتحررهـم مـن رق الأشـياء ، وتعرّضهـم باللجـاء والافتقـار لمـا يفتـح عليهـم المولـى ، يكرمهـم الحـق تعالـى بهـا تحقيقًـا لوعـده لهـم مـن غير تعلّـم ولا دراسـة ، وعند ورودهـا عليهـم وتجلّيهـا لهـم تكـون مجملـة : لا تتبين لهـم معانيهـا ولا يدركـون جهات

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 481 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 336 .

حقيقتها ، فإذا وعوها وتصرّفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل ، تبيّن لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة[1] .

زرُّوق :

الحقائق ما يجري على لسان أهل الحقيقة من الفوائد الجامعة ، وإذا وردت على القلب ظهرت فيه نكتة مجموعته جامعة لما وقعت عليه ، فتكون مجملة لا تفصيل فيها ولا تأصيل من حيث صورتها ، وإن كانت محتوية على ذلك من حيث حقيقتها . وبعد حصولها واستقرارها يتبين معناها ويظهر مغزاها فتلوح منها المباني ، وتلمح منها المعاني ؛ فيؤخذ من الكلمة الواحدة ألف معنى ، ومن المعنى الواحد ألف كلمة ، ثم أشار إلى أن الأدب في تلقي ذلك مستفاد من الأدب في تلقي الوحي ، فذكر الآية ، والمراد هنا :إذا جرت الحقائق فأنصتْ لها ولا تتلقّاها بمعتادك من التأويل والدليل والنظر في الوجه والتفصيل ، ثم على الله بيانها[2] .

ابن عجيبة :

الحقائق هي ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف ، فتارة تكون علومًا ، وتارة تكون حكمًا ومعارف ، وحكمة ذلك الروح ، إذا تخلصت وتصفَّت من غبش الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقًّا ، ثم إن هذه الحقائق قد ترد في حال التجلّي مجملة فيقيّدها الإنسان كما تجلب ، ثم يتفكر فيها فيتبين معناها ، فبعد الوعي وهو الحفظ يكون البيان ، ثم استدل بآية الوحي[3] .

الشرنوبي :

مقام القرب الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة إنما هو مشاهدتك لقربه تعالى منك قربًا معنويًّا ، فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة ، بحيث لا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ، وإن لم نُرِد القرب المعنويَّ بل أردنا القُرب الحِسِّيَ فلا يصحُّ ؛ لأنه لا مناسبة بين القديم والحادث ، فلا يليق بك إلا وصف البعد وشهوده من نفسك[4] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 102 ، 103) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 443 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 387 .

(4) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 207 .

216

متى وردتِ الوارداتُ الإلهيةُ إليك ، هدمت العوائد عليك

﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل : 34]

الرندي :

الواردات الإلهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته ، وتهدم عليه مستمر عاداته ، ولها سلطنة عظيمة على ذلك ؛ فإذا وردت على قلب شجون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت عنه ذلك بمرَّة ، وأنبتت عوضًا عن ذلك أحوالًا عَليَّة وأوصافًا مرضية[1] .

زرُّوق :

الواردات الإلهية : هي ما يتجلَّى للقلوب من المعارف التي تبرز عندها الحقائق ، فإذا وردت هذه الواردات على القلب لم يبق فيه متسع لغيرها فتأخذ بمجامعه ، وتستوي في كلية العبد فينفث بها طوعًا أو كرهًا لخلوه عمّا سواها ، كما أشار إليه بالآية الكريمة[2] .

الشرقاوي :

متى وردت التجليات الإلهية على قلبك من قِبَلِ الحق فأحدثت فيه أحوالًا سيئة ، أزالت الأمور التي كنت معتادًا لها ، وهي رعونات نفسك ؛ لأن لها سلطنة عظيمة ، فإذا وردت على قلب شجون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك ، وأثبتت عوضًا منه أحوالًا عليَّة ، وأوصافًا مرضية ؛ لأن جنود الملوك إذا دخلوا قرية أزالوا ما تلبس به أهلها من النعيم ، وكذلك الواردات الإلهية شبيهة بجنود الملك إذا حلت قلبًا قهرت ما فيه وأزالته[3] .

الوارد الإلهي هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله في قلب العبد ، وقد تنشأ عن قوة خوف أو هيبة أوجلال فتزعجه تلك القوّة إلى النهوض إلى مولاه ، فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه ، ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه .

غيث المواهب العلية : (2 / 104) .

حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 446 .

شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 189 ، 190 .

إيقاظ الهمم : ص 391 .



الـواردُ يأتـي من حضرة قهَّـارٍ ؛ لأجل ذلـك لا يُصادمُه شـيء إلا دمغـه ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : 18]

الرندي :

الـوارد موسـوم بسـمة القهـر والغلبـة لـوروده مـن حضـرة القهّـار الغالب علـى أمره ؛ لأجـل ذلـك لا يصادمه شـيء مـن رعونـات البشـرية إلا دمغه وأزالـه ، وهو أيضًـا حق ورد علـى باطـل ، والباطـل لا ثبـات له مـع الحـق ، والإشـارة الكريمة إلى هـذا المعنـى بيّنة[1] .

زرُّوق :

الوارد يأتي من رب قاهر على بساط القهر ، فكل شيء يصادمه ، أي : يقابله لا يمكنه ثبات معه ؛ إذ كل ما صدر من حضرته إنما يكون على حكمها ، فلا بقاء لآثار الخلق عند ظهور آثار الحقِّ ، فإذا قورن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم ، وندفع الحق على الباطل في محلِّه فيصيبه في دماغه فيتلفه فإذا هو زاهق ، أي : ذاهب مضمحل[2] .

الشرقاوي :

الـوارد يأتـي مـن حضـرة قهَّـارٍ ، أي أن لـه القهـر والغلبـة لـوروده مـن حضـرة اسـمه القهـار ، والقهـار هـو الغالـب الـذي لا يُغلب ؛ لأجـل ذلك لا يُصادمه شـيء مـن رعونات البشـرية إلا أزالـه ، **ومعنـاه فـي الأصـل** : أصاب دماغـه بالضرب ويلـزم منه إتلافـه وإذهابه ، وهـو ورد علـى باطـل ، والباطـل لا ثبـات له مع الحـق[3] .

ابن عجيبة :

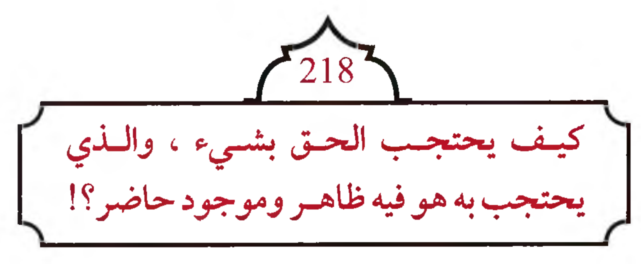
إنمـا كان الـوارد الـذي يـرد على قلـوب السـائرين أو الطالبين قويًّـا شـديدًا ؛ لأنه يأتي مـن حضـرة اسـمه تعالـى ليدفـع بقهريتـه كل مـا وجد فـي النفـس أو القلـب مـن الأغيار ، والـوارد الإلهـي محـض حق فإذا صـادم الباطل دمغـه وقتله ، والـوارد الإلهـي إذا ورد قويًّا مـن حضـرة قهاريتـه تعالـى دكَّ وجـود النفـوس وتدكدكت منه جبـال العقول ، فيكشـف له حينئـذٍ عـن أسـرار خارجـة عـن مـدارك العقـول ، فيصيـر صاحـب هذا الـوارد كلـه حقًّا لا يصـادم شـيئًا إلا دمغه[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 104) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 447 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 190 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 392 ، 393 .

الشرنوبي :

الـوارد الإلهـي الـذي يـرد علـى قلب العبـد الـذي أراد اللـه تخليصـه مـن رق الأغيار يأتـي مـن حضـرة اسـمه تعالـى القهار، ومعنـاه الغالـب ؛ لأجل ذلـك لا يصادمه شـيء من رعونـات البشـرية إلا دمغـه، أي : أصـاب دماغـه، فـإذا وردت الـواردات الربانيـة ذهـب بالطبائـع العاديـة، فيصيـر البخيل كريمًا، والجبان شـجاعًا، والحريص زاهدًا، والكسـلان مجتهـدًا، والغافل متيقظًا، والمتسـخط راضيًا، والمعتمد على الأسـباب متوكلًا، والمُصرُّ علـى المعاصـي مسـتغفرًا، إلـى غير ذلك مـن تبديل الخَصْلة الحسـنة بالسـيئة، وهـذا إنما يكـون لمـن أراد الله اسـتخلاصه من الأغيـار[1] .


218

كيـف يحتجـب الحـق بشـيء، والـذي يحتجب به هو فيه ظاهـر وموجود حاضر؟!

زرُّوق :

لا يصـح احتجابه بشـيء ؛ لأن كلَّ شـيء شـاهد بوجوده وقربه، ولو قيـل بذلك لكانت الحجـة في عيـن ما يدّعي أنـه حجاب[2] .

الشرقاوي :

كيـف يحتجـب اللـه بشـيء مـن الموجـودات العلويـة والسُّـفليَّة، والحـال أن الـذي يحتجـب اللـه تعالـى بـه هـو الله ظاهـرٌ فيـه تشـاهده أربـاب البصائـر، وموجـودٌ حاضر، مـدركُ لهـم، فكيـف يكـون ما هـو ظاهر فيـه حجابًـا له حتى يسـتدل عليـه بـه ؟! هل ذلك إلا مـن عمـى البصائـر وعـدم رؤيته فـي كل شـيء ؟[3] .

ابن عجيبة :

الحق تعالى ليس محجوبًا بشيء، ولا يصح أن يحتجب بشيء ؛ إذ لو احتجب بشيء وجودي لكان ذلك من أثر قدرته، وقدرته لا تفارق ذاته، فالصفة لا تفارق الموصوف، فما ظهر شيء من بحر الجبروت إلا كان نورًا من أنواره وأثرًا من أثر صفاته[4] .

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 208، 209 .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 449 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 191 .
(4) إيقاظ الهمم : ص 393 .

الشرنوبي :

سبحانه في كل شيء ظاهر ؛ لأن به تعالى قام كل شيء ، فأهل البصائر يشاهدون أنه في كل موجود حاضر ، فكيف يكون ما هو ظاهر فيه حجابًا له حتى يستدل به عليه ؟! ما ذاك إلا من عَمَى البصيرة ، وعدم الوصول بأنوار معرفته إليه[1] .



الرندي :

العمل الذي لا يجد صاحبه حضورًا فيه ينبغي له أن لا ييأس من قبوله ، فإن ذلك إلى الله تعالى ، فقد يقبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلًا من وجدان حضور أو حلاوة أو غير ذلك ، ولو لم يكن إلا قصدَ التقرب به وسقوطه عن نظره[2] .

زرُّوق :

لا تيأس من قبول عملٍ ؛ لأن يأسك من قبوله سوء ظن بربك واعتماد على عملك، وذلك غيبة عن مولاك بذكر نفسك في عدم حضورك ، بل إن لم يكن حضورك بالتعبد والعرفان فليكن حضورك بالطمع في الإحسان ؛ لأن طمعك في الله بلا عمل أفضل من طمعك فيه مع وجود العمل ، وإن كان العمل لابد منه فللعبودية لا للاستحقاق ، وربما رُدّ ما عجُلت ثمرته ، وإن كان الغالب على خلاف ذلك ، فالعوائد لا تقتضي على حكم الرب سبحانه ، **ومراده بالثمرة هنا** : الحضور فيه ، وقد يريد الحضور به[3] .

ابن عجيبة :

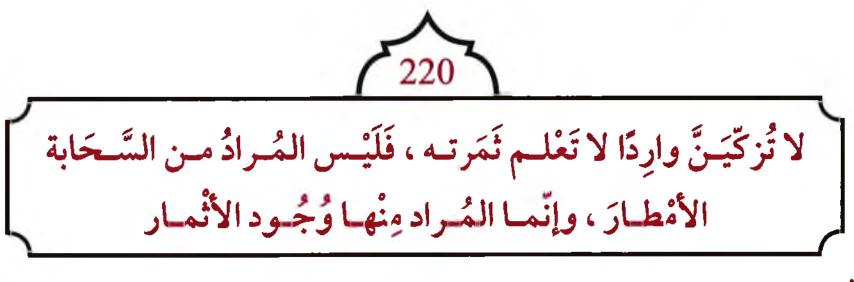
من وجد ثمرة عمله عاجلًا فهو دليل على وجود القبول ، ولا يقتضي المفهوم أنه إن لم يجد ثمرته فليس بمقبول بل هو مسكوت عنه ، فلا تيأس من قبوله عند الله ، فليس وجود الحال ولا الحلاوة شرطًا في العمل إنما هو علامة ، والعلامة لا يلزم طردها ،

(1) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 210 .
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 105) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 450 .

فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلًا، فيعطيك ثوابه آجلًا، فلا ينبغي لك أن تستحقر عملك فتتركه لعدم حضورك فيه أو لعدم وجدان حلاوته، بل يجب عليك أن تدوم عليه حتى تجني ثمرته[1].

الشرنوبي :

إذا لم تجد العلامة على قبول العمل - التي هي حضور قلبك فيه مع الله تعالى بأن تلاحظ أنك حاضر بين يديه - فلا تيأس من قبوله، فإنها علامة غير مُطَّردة ؛ لأنه ربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته، أي : علامة قبوله عاجلًا، وإنما الشرط في القبول الإخلاص، وأما الحضور بالقلب، واستلذاذه بالطاعة، ووجدان حلاوتها، فهي علامات لا شروط[2].



220

لا تُزكّيَنَّ وارِدًا لا تَعْلَم ثَمَرته، فَلَيْس المُرادُ من السَّحَابة الأمْطارَ، وإنّما المُراد مِنْها وُجُود الأثْمار

الرندي :

الوارد مراد لثمرته، لا لوجدان حظ نفسك منه، كما أن السحابة مرادة لوجدان الإثمار الذي اقتضاه وجود إمطارها، لا لمجرد وجود إمطارها، وثمرة الوارد إنما هي تأثر القلب به، وتبدُّل صفاته المذمومة بصفات محمودة، فإن لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزكِّ الوارد، ولا تفرح به ؛ فإن في ذلك نوعًا من الاغترار، وانخداعًا بلبسة الإظهار، فكن على حذر منه[3].

زرُّوق :

لا تُعظِّم الوارد ولا ترى أنه كرامة من الله حتى تعلم ثمرته في ذلك ؛ من العمل بموجبه والوقوف على حدّه من علوّ الهمّة وحسن الخدمة وحفظ الحرمة وشكر النعمة ؛ فإن كل معرفة لا تفيد عملًا لا عبرة بها، وكل عمل لا يصحبه إخلاص لا كمال له، وجعل الوارد كالسحاب والتأثر به كالمطر النازل من السحاب، والعمل بما يقتضيه هو الثمرة، فوارد بلا تأثير كالسحاب بلا مطر، وتأثير بلا عمل كمطرٍ بلا إثمار[4].

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 394.

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 210.

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 105).

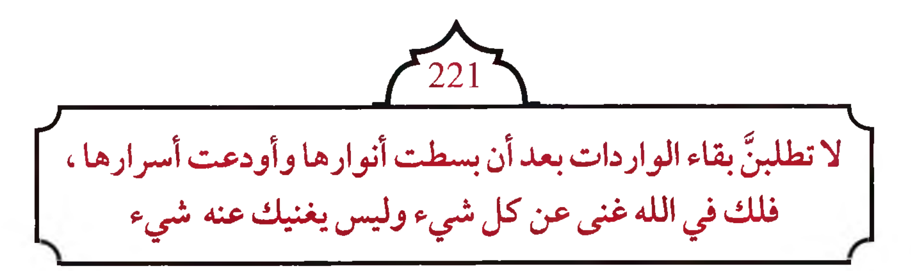
(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 452.

الشرقاوي :

إذا ورد عليك واردٌ إلهي ملك قلبك ، لكن لم يتأثر قلبك به بحيث تحب الإقبال على المولى ، وتنهض لطاعته ، وتقوم بحقوق الربوبية ، فلا تفرح بذلك الوارد ؛ لأن ثمرته إنما هي تأثر القلب به ، وتبدل صفاته المحمودة بصفاته المذمومة ، فإن لم يوجد هذا عندك فلا تفرح به ، فإن في ذلك نوعًا من الاغترار ، فالوارد مراد لثمرته لا لوجود حظِّ نفسك فيه[1] .

الشرنوبي :

إذا ورد عليك - أيها المريد - وارد فلا تُزَكِّيَنَّه ، ولا تفرح به حتى تعرف ثمرته وتتحقق بها ، وهي تأثر القلب به وتبدُّل صفاته المحمودة بصفاته المذمومة ، فتنشط الجوارح للأعمال ، وتقوم بخدمة ذي العِزَّة والجلال ، فليس المُراد من السَّحابة الأمطار بل ما ينشأ عن المطر من وجود الأثمار ، فكذلك الوارد إذا لم تحصل ثمرته تكون تزكيته نوعًا من الاغترار ؛ لأنه حينئذٍ يكون مدحه لحظ النفس فيه من العلم الذي لم يحصل به للقلب استبصار[2] .



الرندي :

أنوار الواردات المنبسطة على العبد : هي تكيّف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيه بما لاح له من عظمة الربوبية ، فإذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه في حال كونه ، ولا تأسُ على فقده إذا فقدته ؛ فإن لك في الله غنى عنه وعن غيره ، وليس لك غنى عن الله تعالى في شيء من الأشياء[3] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله الشرقاوي : ص 192 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 211 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 106) .

زرُّوق :

شأن المريدين في بداياتهم ، بل عامّة المتوجّهين ، الأنس بالواردات ، لا سيما أن بسطت أنوارها في عوالم القلوب ، وأودعت أسرارها بكل أمرٍ محبوب ، وذلك جهل ونقص ظاهر ؛ أما الجهل فلأن أوقات الصَّفاء لا تدوم ، ومن ظنَّ دوامها فهو أحمق ومغرور ، وإنما تدوم أوقات الوفاء وعليها عمل الأكابر دون الأحوال والحركات ، فإن اكتفيت بالله أغناك ، وإن تعلقت بغيره وكلك الله إليه وخلّاك[1] .

الشرقاوي :

لا تطلبن بقاء التجليات والأحوال القلبية ، بعد أن بُسِطَتْ أنوارها عليك ، وأنوارها هي تكيف ظاهرك وباطنك بكيفيات العبودية ، وَأَوْدَعَتْ فيك أسرارها ، وهي مالاح في قلبك من عظمة الربوبية ، فإذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه حال وجودها ، ولا تحزن على فقده إذا فقدته ، فلك في الله غنى عن كل شيء ، وليس يغنيك عنه شيء[2] .

ابن عجيبة :

طلب الشيء يدل على محبته ، ومحبة الشيء عبودية له ، والحق تعالى لا يحب أن تكون عبدًا لغيره ، فلا تطلب معه حالًا ولا مقامًا ، فإن وردت عليك الأحوال ، وهي الواردات الإلهية ، ثم انقشعت وانصرفت ، فلا تطلب بقاءها بعد أن بُسِطَتْ في قلبك أنوارها فأخرجت منه ظلمة الأغيار وصور الآثار ، وبعد أن أودعت أسرارها في قلبك من اليقين والطمأنينة والمعرفة ، فهذه علامة صدق الوارد وحصول نتيجته ، فإذا حصلت النتيجة فلا حاجة في شيء ، تلك في الله غنى عن كل شيء ، فلا تفتقر إلى شيء وليس يغنيك عنه شيء[3] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 453 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 192 ، 193 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 396 .



تَطَلُّعُك إلى بَقَاءِ غيره دليلٌ على عدم وجْدَانِك لَهُ . واسْتِيْحَاشُك لِفِقْدَان ما سِوَاه دَليلٌ على عدمِ وُصلتك به

الرندي :

وجـدان العبـد لربـه ووصولـه إليـه هـو غايـة مطالبـه ، ومنتهـى آمالـه ومآربـه ، وبـه يفـوز بالنعيـم ، ويحظـى بالملـك العظيـم ، وعنـد ذلـك ينسـى كلَّ محبـوب ، ويلهـى بـه عـن كل مفـروح بـه ومرغـوب ، وهـذه هـي صفـة أهـل (التفريـد) الذيـن اسـتتروا فـي ذكـر اللـه المجيـد[1] .

زرُّوق :

لأنـك لـو وجدتـه هـان عليك كل شـيء سـواه ، ولـو وصلت إليـه كان يكفيـك الأنس بـه عـن اسـتيحاش غيـره ، بل يكـون ذكر الغيـر عنـدك مصيبة ونقصًـا[2] .

الشرقاوي :

تطلعـك إلى بقـاء غيره من الـواردات ، كالأنـوار والمقامـات والنعم الباطنـة والظاهرة ، دليـل علـى عـدم وجدانـك لـه ، إذ لـو وجدته فـي قلبك وانجمـع عليه سـرك لم تطلـب بقاء غيـره ، استيحاشـك فقدان ما سـواه كالـواردات المذكورة دليـل على عدم وصلتك بـه ، إذ لو وصلت إليه لنسـيت كل محبوب ولـم تسـتوحش عند فقد شـيء سـواه ، فالسـالك إذا وردت علـى قلبـه واردات إلهية ، وبسـطت فيـه أنوارها وأودعت فيه أسـرارها وحدثته نفسـه بأنه من الواصيلـن ، فـإن كان يتطلـع إلى شـيء مـن الأغيـار المحبوبة أو يسـتوحش لفقدانـه ، فذلك دليـل على عـدم تحققه بهـذا المقام الشـريف .

غيث المواهب العلية : (2 / 107) .

حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 455 .

شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 193 .

النعيم ، وإن تنوَّعت مظاهره ، إنما هو بشهوده واقترابه ، والعذاب وإن تنوَّعت مظاهره إنما هو بوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب ، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

الرندي :

مظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من أنواع الثواب في الدار الآخرة من الحور ، والقصور ، والولدان ، والغلمان ، والمآكل والمشارب والملابس ، إلى غير ذلك من أنواع المسرَّات والملذات ، ومظاهر العذاب المتنوعة ، وهي : ما ورد من أنواع العقاب فيها من : الجحيم والحميم ، وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود هذه الأشياء ومباشرتها للمنعَّم والمعذّب ، وإنما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم أو وجود حجابه وإعراضه عن المعذّب ، فهذان الأمران بهما يقع النعيم والعذاب على التحقيق[1] .

زرّوق :

النعيم التذاذٌ يصحبه فرح وسرور بالملتذّ به ، ومظاهره بما يتجلّى فيه وبه من الفوائد والعوائد وغيرهما مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين في هذه الدار وفي تلك الدار ، ولا صحة إلا بوجود الهناء ، ولا هناء إلا بشهود منَّته تعالى وشكره على نعمته ، والنظر إلى وجهه الكريم في هذه الدار بالبصائر وفي تلك الدار بالأبصار ، وكل نعمة لا يصحبها الشكر فهي إلى الزوال أقرب ، والعقوبة فيها وبها ومعها أظهر ، وكل نعيم غاب منه الحبيب فأيّ عبرة به ؟! أم : أي فائدة فيه ؟! ثم لولا تجلّيه تعالى بإحسانه ما صحّ نعيم لمنعم أبدًا ، والعذاب ، وإن تنوعت مظاهره ، إنما هو لوجود حجابه ؛ لأن مشاهدة المعذِّب مع جلاله ، ولولا الحجاب ما صحَّ العذاب ، ولا يتم النعيم إلا برؤية المنعم ، وظاهر كلامه أن الحجاب شرط في حصول العذاب ، وأن رؤية المنعم شرط في تمام حصول النعيم لا في وجوده[2] .

الشرقاوي :

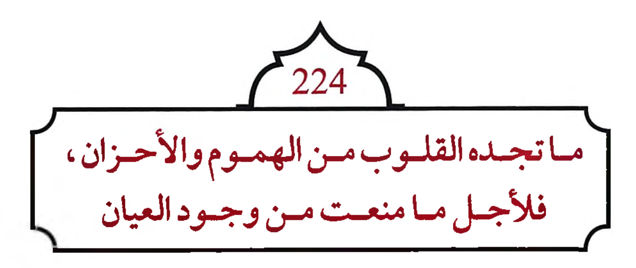
ليس نعيم الدنيا والآخرة بما فيهما من الملابس والمطاعم والحور والولدان والقصور، وإن تنوعت مواضع ظهوره وهي الأمور المذكورة التي يتنعم بها ظاهرًا ، إنما النعيم بمعنى التنعم والتلذذ بشهوده تعالى ، واقترابه إنما يكون نعيمًا حقيقيًّا إذا كنت حال ملابستك لتلك الأشياء مشاهدًا له وحاضرًا معه ، فإن لم تكن بتلك الحالة فليس ذلك بنعيم حقيقة،

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 109) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 459 ، 460 .

بـل هـو عـذاب . والتألـم ، وإن تنوعـت مظاهره من الضـرب والجحيـم والسلاسـل وغيرها ، ليـس بعـذاب ، إنمـا العذاب بمعنـى التألم يكون حقيقة إذا كنت حال ملابسـتك لتلك الأشـياء محجوبًـا عنـه وكان غائبًـا عنـك ، فـإن كنت مشـاهدًا له فليـس ما أنت فيـه عذابًا حقيقـة بل هو نعيـم ، فسـبب التألـم وجود الحجـاب ، فإتمام النعيـم التام بمشـاهدته بعين البصيـرة في الدنيا وبالبصـر فـي الآخـرة ، وحاصلـه أن النعيـم محصور في شـهود الـرب ، والتألم فـي الحجاب عنـه، وأمـا مـا يتنعم بـه ظاهـرًا أو يعذب به ظاهـرًا فليس بنعيـم ولا عـذاب بالنظر إلى ذاتـه[1] .



الرندي :

وجـود الهمـوم والأحـزان الدنيويـة والأخروية من نتائج رؤيـة النفـس واعتبارها وبقاء حظهـا ، وهـو الـذي منـع العبد مـن وجـود العيان ، فلـو قد فني عـن رؤية نفسـه وذهب عن مراعـاة حظّـه ، لظفـر بوجود العيـان ، ولم يكن له هـمّ ولا حـزن ألبتة[2] .

زرُّوق :

الهمـوم : مـا يلحـق القلـب مـن الكُـرب لمـا يُتوقـع ، **والأحـزان** : مـا يلحقـه لأجـل مـا وقـع ، فبسـاطهما توقّـع مكـروه ، أو فـوت محبـوب ، وذلـك لا يكـون إلا مـع فقـدان الحقيقـة ، وعـدم النظـر للأقـدار ؛ لأن مـن عايـن التوحيـد حصـل علـى التسـليم والرضـا ؛ فـلا يبقـى لـه هـمّ ولا غَـمٌّ أبـدًا[3] .

الشرقاوي :

ما تجده القلوب من الهموم والأحزان الدنيوية ، فلأجل ما منعت من معاينة الرب ومشاهدته بعين البصيرة وإلاَّ لم يحصل عندها همٌّ ولا حزن على فوات شيء من الدنيا فوجد أنهما من نتائج رؤيته النفس واعتباره وبقاء حظها ، فلو غاب الشخص عن رؤية نفسه بمعاينة سيده لكان دائم الفرح والسرور ، فمن استنار قلبه بنور المعرفة لا يكون عنده غمٌّ أبدًا[4] .

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 194 .

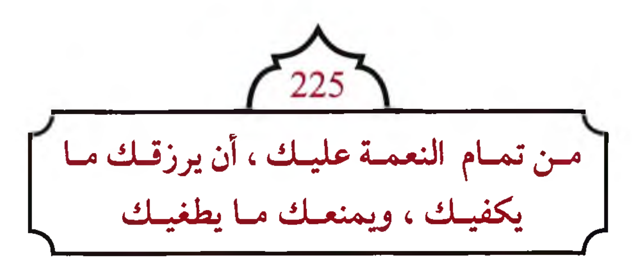
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 110) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 194 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 194 .

ابن عجيبة :

إنمـا كان سـبب الهمـوم هو فقـد الشـهود ؛ لأن الحق تعالى قريـب على الـدوام ، رقيب علـى الـدوام ، فمـن كان قريبًا من الحبيـب فكيف يحس بفراق شـيء أو فواتـه ، نظر الحبيب يغيـب عـن كل بعيـد وقريـب ، وأيضًا كل مـا ينزل مـن عند الحبيـب فهو حبيب ، فـلا يلحقه شـيء مكـروه عنـده حتـى يهتـم بـه ، ولا يفوتـه محبـوب سـوى محبوبه حتـى يحـزن عليه ، ففـي محبوبـه اجتمعـت المحاسـن ، ومـن كان عبـدًا لله غائبًـا عمّا سـواه لم يبق له شـيء من الهـمّ ؛ لأنـه قـد حصلت لـه المعيـة التي توجـب النظر والظفـر بكل ما يريـد[1] .



الرندي :

وجـدان الكافيـة مـن الـرزق وعـدم الزيـادة عليهـا والنقصـان منهـا مـن نعـم اللـه تعالـى التامـة الكاملـة علـى العبـد ، لمـا لـه فـي ذلـك مـن حصـول جميـع المصالـح الدينيـة والدنيويـة ، أمـا مصالـح الديـن فـي عـدم الزيـادة علـى الكفايـة فظاهـر ؛ إذ لـو وجدهـا ربّمـا أوجـب لـه ذلـك طغيانًـا ، فالاسـتغناء هـو وجـود الزيـادة علـى الكفايـة ، وهـو سـبب الطغيـان ، أصـل كل معصيـة للـه عـزّ وجـل[2] .

زرُّوق :

يرزقك الكفاية فلا يشوشك بالفقد ، ويمنعك الزيادة لئلا يشغلك بالوُجْد ، بل تكون سالمًا من إقبالها وسالمًا من إدبارها ، **ففي الكفاف كرامات ثلاث** : الراحة من التعب جلبًا ودفعًا ، والتفرغ للخدمة قالبًا وقلبًا ، وتحصيل الشكر والصبر في حالة واحدة[3] .

الشرقاوي :

مـن تمـام النعمـة عليك أن يرزقـك ما يكفيك مـن غير زيـادة ولا نقصـان ، ويمنعك ما يطغيـك ، أي : يوقعك فـي الطغيان[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 402 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 111) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 463 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 196 .

ابن عجيبة :

مـن تمـام نعمـة الله علـى عبـده أن يوجه همّتـه إليه ويفـرغ قلبه مـن التعلق بغيـره كائنًا مـا كان ، فيرزقـه مـا يكفيه عـن التعلق بغيـره وهو الغنـى بالله ؛ إذ لا نعمة أعظم مـن الغنى باللـه والغيبـة عما سـواه ، ويكفيـه كل ما يطغيه حتى يشـتغل به عـن ربّه ، فـإذا رزقك الحق تعالـى مـا يكفيك لقيـام بشـريتك وروحانيتك ، ومنعك مـا يطغيك ويشـغلك عن حضورك مـع ربـك ، فقد أتـمّ نعمته عليك ، فاشـكره علـى ما أسـدى إليك[1] .



226

لِيَقِلَّ ما تَفْرَحُ بِهِ ، يَقِلَّ مَا تَحْزَنُ عَلَيه

الرندي :

درء المفاسـد عنـد العقـلاء أهـمّ مـن جلـب المصالـح ؛ فمـن زوى اللـه عنـه فضـول الدنيـا فرضـي بذلـك وقنع منها باليسـير ، ولـم يتطلع إلى زيادة مـن مال أو جـاه ، فهو كامل العقـل حسـن النظـر لنفسـه ؛ لأنـه دفـع عـن نفسـه وجـود الحـزن بتركه لمـا يفيـد حصول مصلحـة الفـرح الـذي يزول عـن قـرب ، واعْتاض مـن ذلك الراحـة الدائمـة[2] .

ابن عجيبة :

إذا أردت أن يـدوم سـرورك فـلا تملك شـيئًا تحزن علـى فقده ؛ لأن حزنـك على فقده دليـل محبتـك لـه ، فـإذا اقتصـرت علـى الضـرورة والحاجة مـن مال أو جـاه أو عـز أو غير ذلـك ، فـلا تجد مـا تفقده حتـى تحزن عليـه[3] .

هـذه قصـة تؤكـد المعنـى السـابق : « يُحكـى أنه رُفـع لبعض الملـوك فيـروزج (حجر كريـم مرصعًـا بالجوهـر) لـم يـر لـه نظيـر ، ففـرح به الملـك فرحًـا شـديدًا ، فقـال لبعض الحكمـاء عنـده : كيـف تـرى هذا ؟ فقـال : أراه مصيبـة وفقرًا ، فقـال : كيف ذلـك ؟ فقال : إن انكسـر كان مصيبـة لا صبـر لها ، وإن سـرق صـرت فقيرًا إليـه ولم تجد مثلـه ، وقد كنت قبـل أن يحمـل إليـك في أمـن من المصيبـة والفقـر ، فاتفق انكسـار القدح فعظمـت مصيبة الملـك بـه ، فقـال : صـدق الحكيـم ليته لم يحمـل إلينـا »[4] اهـ .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 402 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 116) .

(3) إيقاظ الهمم : ص 404 .

(4) غيث المواهب العلية : (2 / 117) .



227
إن أردت أن لا تُعـزَل فـلا تتـولَّ ولايـة لا تـدوم لـك

زرُّوق :

ولايـات الدنيـا كذلـك ؛ لأنـك منهـا بيـن إحـدى ثـلاث : إمـا أن تُعـزل عنهـا بالحياة وهـي أكبـر المصائـب ، أو تذهـب عنهـا بالمـوت وهو أمر لابـدَّ منـه ، أو تكون لـك جارية علـى غيـر مرادك وهي مصيبـة حاضرة ، والعاقل لا يعدل بالسـلامة شـيئًا ، فوجب أن تعزل نفسـك قبـل أن تُعـزل ، بأن لا تدخلها بنفسـك ولا لنفسـك ، وتكون فيها غير متشـبع بها[1] .

الشرقاوي :

مقتضـى نظـر العقـل تـرك الولايـة المفروح بهـا ؛ لئلا تقـع في العـزل عنهـا ، فيحصل عندك غايـة الهم والحـزن[2] .

ابن عجيبة :

الولايـة التـي لا تـدوم هـي الولايـة التـي تأتـي مـن جهـة الفـرق ، وهـي ولايـة الخلق كخطـة السـلطنة والقضاء والقيـادة ، وأيضًا ولاية المـال إذا كان يُعظَّم من أجله ، أو النسـب إذا كان خاليًـا عـن التقـوى ، أو العلـم إذا كان خاليًـا عـن العمـل ، وغيـر ذلـك مـن رياسـة الدنيـا فإنهـا تفنـى وتنقطـع ويعقبهـا ذل وفقـر ، والولايـة التـي تدوم هـي الولاية التـي تأتي مـن جهـة الجمـع ، وهـي العـز باللـه ، والغنـى بـه ، والمعرفة لـه ، والغيبـة عما سـواه ، فلا شـك أن هـذه ولايـة لا تنقطـع ، وشـرف لا ينفـد ، وعز لا يبيـد[3] .



(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 465 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 196 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 404 .

إن رغَّبَتْكَ البدايات زهَّدتْكَ النِّهاياتُ ، وإن دعاك إليها ظاهرٌ نهاك عَنْهَا بَاطِنٌ

الرندي :

بدايات الأمور وظواهرها تُرَغِّب الجاهل فيها ؛ وتدعوه إليها ؛ لأنها رائقة الحسن ، مليحة الظاهر ، فيغترُّ الجاهل بذلك فتقوده إلى ما فيه ضرره وهلاكه . ونهايات الأمور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها بما أشهدته من سماجتها وقبح باطنها ، فيعتبر العاقل بذلك ، فيهرب منها ، ويسلم من شرّها[1] .

زرُّوق :

إن رغّبتك البدايات بحصول الفوائد ، زهّدتك النهايات بوقوع النوائب ، إن رغّبتك البدايات بوجود المنافع ، زهدتك النهايات بوقوع الفجائع ، إن رغّبتك البدايات بتحصيل ما تريد ، زهّدتك النهايات بالوقوع فيما لا تريد ، وإن دعاك إليها ظاهر اغترارًا بصورته نهاك عنها باطنٌ اعتبارًا بحقيقته ؛ لأن ظاهرها غِرّةٌ وباطنها عِبرة[2] .

الشرقاوي :

إن رغّبَتْك في الولاية بداياتها من كونها رائقة الحسن مليحة الظاهر ، وأن كل من تلبَّس بها حسُن حاله ومنظره بين الناس وتيسر معاشه ، زَهَّدَتْك فيها النهايات ، فإن نهاياتها مفارقتها بعزل أو موت فيحصل لك مزيد الضرر ، ولأن الولايات قلَّ من يسلم فيها بدينه ، وذلك مما يحمل العاقل على الزهد فيها والهرب منها ، إن دعاك إليها ظاهر حالها من تيسُّرِ الملابس والمآكل عند التلبس بها ، نهاك عنها باطن حالها من كونها شاغلةً عن الله ومن حصول الضرر لكل من تلبس بها[3] .

الشرنوبي :

إذا رغّبتك - أيها المغتر - بدايات الأمور الدنيوية ، كالولاية لرونقها الظاهر ، زهدتك نهايتها من العزل عنها ولو بالموت ، ونهاك عنها باطنها من كونها شاغلة عن طاعة عالم السرائر ، فالأمور الدنيوية في الظاهر تسر ، وفي الباطن تضر ، فمتى رغبتك البدايات بتسهيل ما تريد زهدتك النهايات بالوقوع فيما لا تريد ، فالعاقل من زهد في الدنيا[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 119 ، 120) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 466 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 197 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 215 .



229
إنَّمـا جَعَلَهـا مَحَـلًّا للأَغْيَـارِ ، ومَعْدِنًـا للأَكْـدَار ؛ تَزْهِيـدًا لَـكَ فيهـا

الرندي :

وورود الأغيار والأكدار الدنيوية على العبد نِعَمٌ من الله تعالى عليه ؛ لأن ذلك يدعوه إلى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها ، ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لأجل تمسكه بالخيال ، وما يستضرّ به في الحال والمآل[1] .

الشرقاوي :

إنما جعل الدنيا محلًّا للأمراض والمحن والبلايا ؛ ليزهّدك فيها ؛ لأن الموجب لرغبتك فيها إنما هو ما تتوهم من حصول أغراضك ومطلوباتك فيها من غير تكدير ولا تنغيص ، وهو لا يكون أبدًا ، حتى لو فرض ذلك لكان اللائق لك الزهد فيها والرغبة عنها ؛ لأنها مآل أمرها إلى الفناء والزوال ، ولشغلها إياك غالبًا عن الله تعالى[2] .

ابن عجيبة :

إنما رسم الله الدنيا بهذه الأوصاف من كونها محلًّا للأغيار والأحزان ، ومعدنًا لوجود الأكدار والفتن ؛ تزهيدًا لك فيها ، فتقبل بكليتيك عليه وتتوجه بهمتك إليه أو لِتُعْرِض عن الدنيا وتقبل على الآخرة .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 121) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 197 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 407 .

عَلِـمَ أنَّـك لا تَقْبَـلُ النُّصْـحَ المُجَـرَّدَ، فذوَّقَـكَ مِـنْ ذَوَاقِهَـا ما يُسـهِّلُ عليـك وجُـودَ فِرَاقِهَا

الرندي :

النصـح المجـرّد لا يقبلـه إلّا مـن لـم يسـتحكم فيـه حُـبّ العاجلـة والأنـسُ بلذاتهـا الفانيـة، وكان كريـم الطبـع سـهل القيـاد، وأمّـا مـن رسـخت فيـه تلـك الخبائـث، وتمكنـت مـن باطنـه، وكان لئيـم السـجية صَعْـبَ المقـادة، فلابـد فـي قصـد هدايتـه وإرشـاده مـن زيـادة علـى الفصـح والوعـظ[1] .

زرُّوق :

اللـه سـبحانه زهّـدك فـي الدنيا بمـا هي عليـه، وأكّد ذلـك بما يلابسـك منهـا، ففائدة الزهـد فيهـا ثـلاث : السـلامةِ مـن نكدهـا، والراحـة مـن تعبهـا، وفـراغ الوقـت للعبوديـة ونحوهـا، واسـتفادته مـن تقلّباتهـا أتـم لثلاثة أوجـه : **أحدهـا** : أن النفس تتأثر بما يماسـها أكثـر مـن غيـره فهـو عـون علـى تركهـا، **الثانـي** : أن كثـرة الجفـاء تقطـع أصـول المحبـة، والدنيـا محبوبـة بالطبـع، فـلا يزيـل محبتهـا إلا كثـرة جفاهـا، **الثالـث** : أن الممارسـة فـي الجفـاء أوجـع للقلـب وأقـوى في الحجـة وأوضح فـي المحجـة، وفراقها يكـون بحصول العلـم المباشـر للقلـب في شـأنها[2] .

الشرقاوي :

علـم اللـه أنـك لا تقبل النصـح المجـرد، لا يقبلـه إلا من اسـتحكم فيه حـب العاجلة والأنـس بلذاتهـا الفانيـة، أمـا من كان كذلـك فلابد من قصـد هدايته من زيـادة على النصح والوعـظ، فذوَّقـك مـن ذواقهـا، أي ممـا شـأنه أن يـذاق فيها وهـو تلك الأمـراض والبلايا والمحـن، مـا يُسَـهِّلَ عليـك فراقهـا، فـإن العبـد إذا نـزل به شـيء مـن ذلك يتمنـى الموت ومفارقـة الدنيـا، فهـو نعمة مـن الله عليـه وإلم يعـرف ذلـك لَغَلَبَه طبعـه عليه[3] .

ابن عجيبة :

قـد علـم الحق سـبحانه أن مـن عباده مَـنْ لا يقبـل النصح بمجـرد القول فـلا يزهد في الدنيـا بمجـرد سـماع الوعـظ، إذ كثيـر مـن أهـل العلـم والفهـم يسـمعون القـرآن يقرعهم

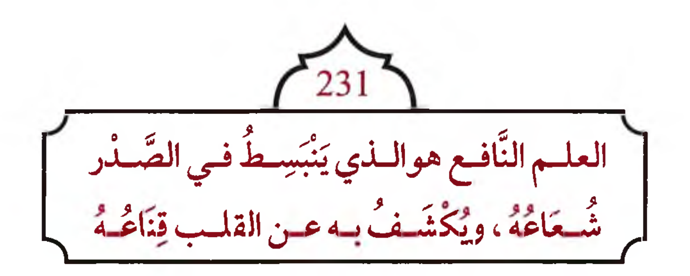
---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 124) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 468 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 197 .

عليها ويحذِّرهم من غرورها وهم غائبون عن ذلك التذكير ، مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير ، فلما أراد سبحانه أن يصطفي لحضرته من شاء من عباده نغَّصها عليهم وشدد عليهم البلاء والمحن وأجرى على ظاهرهم مواقع الفتن ، كل ذلك عناية بهم ليذوقوا مرارة باطنها فلا يغتروا بحلاوة زخرف ظاهرها[1] .

الشرنوبي :

إن الله سبحانه علم منك - يا من استحكم فيك حبُّ الدنيا الفانية - أنك لا تقبل نصح الناصحين لك المجرَّد عن البلايا والأمراض ، فذوقك من ذواقها ، أي : مما شأنه أن يذاق فيها من تلك المحن ما يسهل عليك فراقها ، فإن العبد إذا نزل به شيء من ذلك يتمنى الموت ومفارقة الدنيا ، فعُدّ ذلك عليك من أعظم المنن ، وإن ظهر لك في صورة البلايا والمحن ، وأما من لم يستحكم في قلبه حبُّ الدنيا ، فإن مجرد النصح يكفيه[2] .



231

العلم النَّافع هوالذي يَنْبَسِطُ في الصَّدْر شُعَاعُهُ ، ويُكْشَفُ به عن القلب قِنَاعُهُ

الرندي :

العلم النافع : هو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه ، والعلم بكيفية التعبّد له والتأدب بين يديه ، فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للإسلام ، ويكشف عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والأوهام[3] .

زرُّوق :

العلم النافع : هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتبين له كل شيء على حكمه ، ويكشف عن القلب قناعه فيباشر فيما علم الحقيقة قلبه ، فيقع له الإقبال والإدبار على حكم ذلك[4] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 407 ، 408 .

(2) شرح حكم الإمام ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 216 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 125) .

(4) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 470 .

ابن عجيبة :

العلم النافع : هو علم القلوب ، ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل والأخلاق الحسنة ، فشعاع العلم الذي ينبسط في الصدر هو ثلج اليقين وبرد الرضا والتسليم ، وحلاوة الإيمان مواجيد العرفان ، وينشأ عن ذلك مخافة الله والسكون والطمأنينة والأخلاق الحسنة ، والقناع الذي ينكشف به عن القلب هو الغفلة التي سببها الرضا عن النفس الناتج عن حب الدنيا[1] .



الرندي :

خير العلوم ما يُلزم وجود الخشية لله تعالى ؛ لأن الله تعالى أثنى على العلماء بذلك ، فقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : 28] فكل علم لا خشية معه فلا خير فيه ، بل لا يسمى صاحبه عالمًا على الحقيقة[2] .

زرُّوق :

خير علم ما كانت الخشية معه ؛ لأنه مصحوب بمعرفة الله ، دالٌّ على العبودية لله ، فهو شريف الأصل والفرع ، والأشياء تشرف بشرف مقاصدها ؛ **ولذلك قيل** : فضل العلم لفضل من عُلِم به ، والله تعالى أجلّ معلوم ؛ فالمعرفة به أفضل العلوم ، وإذا كان الله غاية الغايات فالمعرفة من أجلِّ العبادات : نعم ، وحقيقة الخشية مُهابة يصحبها تعظيم ، وذلك يفضي لحسن الأدب والمراقبة[3] .

الشرنوبي :

العلم النافع : هو ما كان صاحبه ملازمًا للخشية ، وهي خوف مع إجلال ينشأ عنه العمل ، وقد أثنى الله تعالى على العلماء بذلك فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 408 ، 409 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 126) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 472 .

﴿عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]. وأما العالم الذي لا خشية معه فليس عالمًا على الحقيقة، خصوصًا إذا هَمَّه الجمع والادخار والمباهاة والاستكبار، فإن علم هذا حجة عليه، فالزم الطاعة إن أردت أن تكون من العلماء العاملين، واستعذ بالله من علم لا ينفع كما استعاذ منه سيد الأولين والآخرين[1].



233

العِلمُ إنْ قَارَنَتْهُ الخَشْيَةُ فَلَك، وإلَّا فَعَلَيْك

الرندي:

العلم الذي تلازمه الخشية لك؛ لأنك تنتفع به في دنياك وآخرتك، والعلم الذي لا خشية فيه عليك؛ لأنك تستضرُّ به فيهما، وهذا هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا، من حيث إنَّ علماء الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة، وعلماء الدنيا موسومون بالأمن والغرَّة[2].

زرُّوق:

العلم إن قارنته الخشية فلك أجره وثوابه، وإلا فعليك إثمه وعقابه، وإن شئت قلت: فلك نفعه وفائدته، وإلا فعليك ضُرَّه وآفته، وإن شئت قلت: فلك محجةٌ، وإلا فعليك حجَّة[3].

ابن عجيبة:

العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها، ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به، ويرغبه في كل ما يقربه إلى ربِّه، فيكون عونًا له على الوصول إلى معرفة الله والقرب من ساحة رضاه، فإن لم تقارنه الخشية كان وبالًا عليه؛ لأنه حينئذٍ حجة عليه؛ لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل[4].

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي: ص 217، 218.
(2) غيث المواهب العلية: (2 / 130).
(3) حكم ابن عطاء الله لزرّوق: ص 473.
(4) إيقاظ الهمم: ص 409.

الشرنوبي :

العلـم النافـع الـذي يكـون لـك ثوابه ، هـو مـا قارنته الخشـية من اللـه تعالـى ، فتداوم العمـل ، وإن قصـدت بـه المباهـاة والتعاظـم فعليـك وزره ، وخـاب منـك الأمـل ، فإنه لا يكـون العلـم نافعًـا إلا إذا كانـت نيـة صاحبـه طلـب مرضاة مـولاه ، واسـتعماله فيمـا يحبه ويرضـاه ؛ لأن التقـرب إلـى اللـه تعالـى بالعلـم هو مقصـود الأكابـر من القـوم[1] .

234

متـى آلمـك عدم إِقْبَـال الناس عليـك ، أو توجُّهُهُمْ بالـذَّمِّ إليك ، فارجَـعْ إلى علم الله فيك ، فـإن كان لا يُقْنعُك عِلْمُهُ ، فمصيبتك بعـدم قناعتك بعلمه أشـدُّ من مُصِيبتك بوجـود الأذى مِنْهم

الرندي :

العبد لا ينبغي أن يكون مطمح نظره إلا إلى مولاه ، فلا يفرح إلا بإقباله عليه ، ولا يحزن إلا لإعراضه عنه ، ولا ينظر إلى المخلوقين في إقبال وإعراض ، ولا في مدح ولا في ذم ، فإنهم لا يُغْنون عنه من الله شيئًا ، فمتى آلمه عدم إقبالهم عليه ، أو توجههم بالذم إليه فليرجع إلى ما بينه وبين ربه ، فإن كان قانعًا بعلمه ، راضيًا بقسمته ، كان له في ذلك أعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين ، بل لا يجد وقعًا في قلبه لما عسى أن يكون منهم من إقبال أو إعراض ، وإن لم يكن راضيًا ولا قانعًا ، فمصيبته بذلك أعظم من مصيبته بأذى الناس له ، بل لا مصيبة له في أذى الناس ألبتة عند من عرف سرَّ ذلك[2] .

زرُّوق :

متـى تألَّمـتْ نفسـك بإدبـار الخلـق عنـك وعـدم إقبالهـم ، فانظر لمـا ذُممت بـه أو فُرَّ عنـك مـن أجله ، فـإن الله تعالى يعلـم منك وجـوده ، فارجع إليـه بالتوبة والإنابـة واللجوء والاسـتغفار، فـإن لم تكتـف بعلم اللـه وأردت أن يعلم النـاس حقيقة ما أنـت عليه أدركتك مصيبـة الالتفـات إلـى الخلـق فوُكلـت إليهـم ، وذلك مـن أعظـم المصائب وأكبـر الآفات والنوائـب ، ومـن أعظـم مـا فيه رجوعـك إلى الخلـق بدلًا مـن الاكتفـاء بالحق[3] .

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 218 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 147) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 475 ، 476 .

الشرقاوي :

متى وُجِد عندك الألم والغم عند عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك فاقنع بعلم الله فيك ، واكتف به عن علمه بحالك المقتضي لإقبالهم عليك وعدم ذمهم لك ، فإن كنت عبدًا لله مخلصًا في أعمالك مقبولًا فأي شيء يضرك ؟! وإن كنت حقيرًا ممقوتًا لعدم إخلاصك ، فأي شيء ينفعك من إقبالهم عليك ورضاهم عنك وثنائهم عليك ؟! فإن كان لا يُقْنِعُك علمه ، بأن أحببت أن تُدْخل مع علمه علم غيره حتى يطلع على إخلاصك وأعمالك فيعظمك ويُقبل عليك ، فمصيبتك الحاصلة بوجود الأذى منهم بذلك ، والإعراض عنك ؛ لأن عدم القناعة بعلمه تعالى يرُدُّك إليهم ، فهو مصيبة ولابد ، وإذا همّ بردك إليه فهو فائدة في الواقع ونعمة ، وإن كان مصيبة في الظاهر[1] .

ابن عجيبة :

إذا سلط الله عليك خلقه ليختبرك : هل أنت غني به أو بخلقه ؟ فأدبروا عنك أو اشتغلوا بذمك ثم توجعت من ذلك فارجع إلى علم الله فيك واطلاعه عليك ؛ إذ لا يخفى عليه شيء من أمرك ، فإن كفاك ذلك وقنعت به وأنست بذكره أو شهوده ، استوى عندك ذمهم ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم ، بل ربما آثرت إدبارهم ؛ إذ فيه راحتك وتفريغ قلبك مع ربك ، فإن لم تقنع بعلم الله ولم تكتف بنظره وتأسفت على إدبارهم أو تألمت من أذاهم ، فمصيبتك بضعف إيمانك وذهاب يقينك أشد من مصيبة ذم الناس وإدبارهم عنك ؛ لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه وسقوطك من عين محبته ، وأما إذاية الخلق وبعدهم عنك فرحمة بك ، وأيضًا إذا اشتغل الناس بذمك وإضرارك فانظر أنت مقامك مع ربك ، فإن كنت مع ربك صافيًا فلا يكيدك شيء ولا يضرك شيء[2] .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 200 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 411 .



إنَّمـا أَجْـرى الأَذى عَلَى أَيْدِيهـم كَيْلا تكون سـاكنًا إليهم ، أراد أن يُزْعِجَك عَنْ كُلِّ شـيءٍ ؛ حتى لا يَشْـغَلَك عنْه شـيء

الرندي :

وجـود أذى النـاس للعبـد نعمـة عظيمـة عليـه ، لا سـيما ممـن اعتـاد منـه الملاطفـة والإكـرام ، والمبـرّة والاحتـرام ؛ لأن ذلـك يفيـده عـدم السـكون إليهـم ، وتـرك الاعتمـاد عليهـم ، وفقـد الأُنـس بهـم ، فيتحقـق بذلـك عبوديتـه لربـه - عـزَّ وجـلَّ[1] .

الشرقاوي :

إنمـا أجـرى الأذى علـى أيديهم إليـك ؛ كي لا تكـون معتمـدًا عليهم فـي تحصيل نفع أو دفـع ضُـرٍّ تـاركًا لجنـاب مـولاك ، وأراد أن يزعجـك عـن كل شـيء بتوجه الخلـق إليك بـالأذى ؛ حتـى لا يشـغلك عنه شـيء[2] .

ابن عجيبة :

أجـرى الحـق سـبحانه وتعالـى الأذى علـى أيـدي الخلـق إليك ؛ كـي لا تكون سـاكنًا بقلبـك وروحـك إليهـم فيعوقـك ذلـك عـن الصعـود إلـى العالـم الروحانـي ، وأراد الحق تعالـى أن يزعجـك عن كل شـيء مـن هذا العالـم حتى لا تركن إلى شـيء ولا يشـغلك عن شـهوده شـيء ؛ إذ محـال أن تشـهده وتشـهد معـه سـواه أو تحبـه وتحـب معه سـواه ، أبت المحبـة أن تشـهد غيـر محبوبها ، فـإذا تمكّنـت المحبة وكمل الشـهود ، ردّهم إن شـاء إلى عباده مرشـدين إليهـم بالله[3] .

الشرنوبي :

إنـه سـبحانه إنمـا أجـرى الأذى لـك - أيهـا المريـد - علـى أيـدي الخلـق ؛ لأجل ألا تكـون مائـلًا إليهـم بقلبـك ، فهو فـي الحقيقة نعمـة عليك ؛ لأنـه أوصلك إلى مـن لا تصل النِّعـم إلا منـه إليك[4] .

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 148) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 200 ، 201 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 412 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 221 .

236

إذَا علمت أن الشيطان لا يَغْفُلُ عنك ، فلا تَغْفُلْ أنت، عَمّن ناصِيتُك بِيَده

الرندي :

الشيطان عدوّ مسلَّط على الإنسان ، ومقتضى ذلك أن لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين والإغواء والإضلال ، فإذا علمت أنه لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده ، وهو الله – عز وجل ، وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك عليه ، وافتقارك في كل أحوالك إليه ، واستعاذتك به من شرِّ عدوك وعدوّه ، فبذلك تخرج من سلطنته ، وتنجو من غائلته[1] .

الشرقاوي :

إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عن إضلالك وإغوائك ومحاربتك ، وقد ورد أن لكل أحد من الناس شيطانًا واضعًا خرطومه على قلبه ، فإذا غفل عن ذكر الله وسوس ، وإذا ذكر خنس ، أي : تأخر واستتر ، فلا تغفل أنت عن الله تعالى ، أي : عن الاعتصام والاحتماء به سبحانه ، فإنه يكفيك همه[2] .

ابن عجيبة :

إذا علمت أيها الفقير أو الإنسان ، أن الشيطان لا يغفل عنك ساعة ؛ لأن له بيتًا في صدرك من جهة شمالك ، فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس ، وإذا ذكرت الله اختنس ، فإذا علمت ذلك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك وناصيته بيده وهو الحق تعالى ، فإذا اشتغلت بالله رده عنك وكفاك أمره[3] .



---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 152) .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 201 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 419 .

237

جعله لك عدوًّا ليحُوشَك به إليه ، وحرَّك عليك النفس ليدوم إقبالك عليه

الرندي :

عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك ؛ إذ من مقتضاها أن لا يغفل عنك ، وأن يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك بنفسه وبجنده وبخيله وبرجله ، ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك ؛ لأنك في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال إلى الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين ، فيوجد منك حينئذٍ الالتجاء إليه والانتصار به ، والتوكل عليه في دفعه عنك ، وكذلك حركة النفس عليك بالحَمْل على متابعة الهوى والشهوة ، ولا تقدر على مجاهدتها إلا بمن هو أقوى منك ، وليس ذلك إلا مولاك ، فقد دعاك بهذا إلى دوام الإقبال عليه[1] .

زرُّوق :

معنى ليحُوشك : ليردك بالكلية إليه على وجه لا يمكنك الانفكاك عنه ، وتحريك النفس بطلب هواها ، وإيثار دنياها ، وكثرة تطلبها ، وعدم الوفاء بعزمها ، وجموحها في جنوحها ، وإقبالك عليه في ذلك بثلاثة أشياء : الثقة فيما ترتجيه ، واللجوء إليه فيما تتّقيه ، والإنابة له فيما ترضيه[2] .

ابن عجيبة :

لم يخلق الله شيئًا عبثًا ، فإيجاد الشيطان له حِكَم : **أولها** : انحياش عباده إليه ؛ لأن العبد الضعيف إذا رأى عدوًّا يطلبه هرب إلى سيده والتجأ إلى حصنه فيكفيه أمره ، **الثانية** : قيام الحجة على عباده ، فإذا خالفوا أمره قال لهم : اتبعتم عدوي وعصيتم أمري ، **الثالثة** : كونه منديلًا للعار تمسح فيه أوساخ الأقذار ، وكذلك النفس والدنيا ، **الرابعة** : ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته ، وقد حرّك الحق تعالى عليك النفس ؛ ليدوم إقبالك وتوجهك إليه[3] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 154 ، 155) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 482 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 420 .

مَنْ أَثْبَتَ لِنَفْسه تواضُعًا فهو المُتَكَبِّر حقًّا ؛ إذْ ليس التواضع إلا عن رِفْعةٍ ، فمتى أَثْبَتَّ لنفسك تَواضعًا ، فَأَنْت المُتكبِّر

الرندي :

إثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة ؛ إذ لو كانت معدومة لكان ضدُّها ، وهو الضِّعة ، ثابتًا موجودًا ، ولا ينتفي عن العبد التكبّر إلا بوجود الضعة ، ووجود الضعة لا يحتاج إلى إثبات من العبد ؛ لأنه ثابت في نفسه ، فالتواضع الذي أثبته العبد لنفسه لا ينفي عنه وجود التكبّر بالضرورة ، فصيغة التواضع لا تقتضي حقيقة الضعة وعدم الرفعة ، ولا يلزم من وجودها[1] .

الشرقاوي :

من أثبت لنفسه تواضعًا بأن خطر بباله أنه متواضع ، فهو المتكبر حقًّا ؛ إذ ليس إثبات التواضع ناشئًا إلا عن شهود رفعة ، كان يستحقها وأنه تنازل عنها إلى ما دونها ، فمتى أثبتَّ لنفسك رفعة ، في ضمن إثبات التواضع ، فأنت المتكبر حقًّا ، ولا ينتفي عنك التكبر إلا بوجود الصفة حقيقة بأن لا ترى لنفسك مرتبة ولا قيمة[2] .

التواضع : هو مجاهدة النفس في وضعها وسقوطها ، فهي تريد الرفعة وأنت تريد السقوط ، فإذا حققت ونظرت بعين فِكْرَتك وجدت الأشياء كلها مستوية معك في الخلقة والتجلي من النملة إلى الفيل ، وإنما وقع التفضيل في التشريع والحكمة عند أهل الفرق ، فهم يرون المزية لأنفسهم عما سواهم ، فإذا تساووا بأنفسهم مع الأشياء رأوا أنهم قد تواضعوا ، وفي الحقيقة إنما تكبروا ؛ لأنهم أثبتوا المزية لأنفسهم ، ورفعوها ثم أثبتوا لها التواضع ، فهم المتكبرون على خلق الله حقًّا ، أما العارفون بالله لم يثبتوا لأنفسهم مزية قط ، رأوا الأشياء كلها سواء ، فلم يثبتوا لأنفسهم رفعًا ولا وضعًا ، فهم متواضعون من أول مرة .

غيث المواهب العلية : (2 / 156) .
شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 203 .
إيقاظ الهمم : ص 422 .

لَيْـس المُتَواضِـعُ الَّـذي إذا تَواضـع رأى أَنَّـه فـوق مـا صَنَـع ، ولكـن المتواضـع الـذي إذا تواضـع رأى أنـه دون مـا صَنَـع

الرندي :

العبـد المتواضـع حقيقـة لا يثبـت التواضع لنفسـه حقيقة ؛ لأنه يشـاهد مـن ضعة قدره وخمـول ذكـره وذلَّتـه ومهانتـه مـا يمنعـه مـن ذلك ، فهـذا العبـد المتصـف بهـذه الصفة لو فعـل مـن أفعـال المتواضعين ما شـاء لـم يثبت بذلك لنفسـه تواضعًـا ؛ لأنه يرى نفسـه دون مـا صنـع مـن ذلـك لغلبة ذلـك الشـهود والوجـد عليه ، فـإن أثبتـه لنفسـه ، ورأى أن نفسـه فـوق مـا صنع ممـا يقتضـي وجود صفـة التواضع لـه بزعمـه فهو متكبـر[1] .

الشرقاوي :

ليـس المتواضـع الـذي إذا فعـل أفعـال المتواضعيـن بـأن جلس فـي أسـفل المجلس مثـلًا ، رأى أنـه فـوق مـا صنـع ، وأنـه يسـتحق أن يجلس في صـدر المجلس مثـلًا ، ولكن المتواضـع حقيقـة هـو الـذي لا يُثبت التواضع لنفسـه ؛ لأنه يشـاهد من صفة قـدره وخمول ذكـره وذلتـه ومهانتـه مـا يمنعه مـن ذلـك ، ومَـنْ كان مُتَّصفًا بهـذه الصفة لو فعل مـن أفعال المتواضعيـن مـا شـاء لـم يثبت بذلـك لنفسـه تواضعًا ، فـإن أثبته لنفسـه ، ورأى نفسـه فوق مـا صنع فهـو المتكبـر حقيقة[2] .

ابن عجيبة :

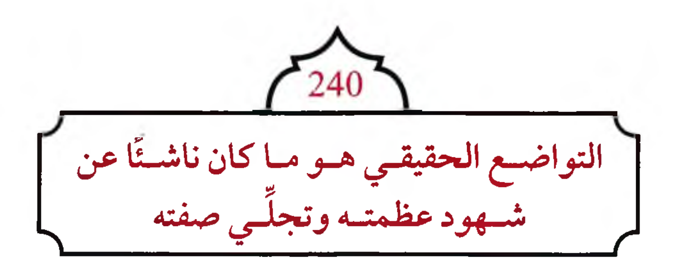
التواضع الحقيقي هو الذي ينشأ ممن يشاهد الأشياء كلها منه ، فإذا تواضع معها رأى أنها تستحق أكثر من ذلك التعظيم ، وأن نفسه أسفل مما صنع من التواضع ، وليس المتواضع الذي يرى لنفسه مزية على الأشياء ، فإذا تواضع معها رأى أن نفسه فوق وأفضل مما صنع من التواضع ، فهذا هو المتكبر ؛ لأنه أثبت لنفسه تواضعًا مما تستحقه[3] .

الشرنوبي :

فمن جلس في آخر المجلس مثلًا ، ورأى أنه يستحق الجلوس في صدره ، وإنما فعل ذلك تواضعًا ، فهو المتكبر ، ومن رأى أن مرتبته أحطُّ من ذلك ، وأن جلوسه في آخر المجلس فوق ما يستحق ؛ لكونه لا يرى لنفسه قدرًا ولا رتبة فهو المتواضع[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 156 ، 157) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 203 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 423 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 228 .



الرندي :

شهود عظمة الله تعالى وتجلّي صفته هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه ؛ لأن ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويُبطل أمنيتها ؛ فما تجلَّى الله تعالى لشيء إلا خضع له ، فلا تنقلع من القلب شجرة حبّ الرياسة والكبر إلا به ، لا بما يتكلّفه العبد ويتعاطاه بنفسه من أعمال وأحوال[1] .

الشرقاوي :

شهود عظمة الله تعالى وتجلِّي صفاته على العبد هو الذي يوجب له وجود التواضع الحقيقي ؛ لأن ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها ويبطل أمانيها ، فما تجلَّى الله تعالى لشيء إلا خضع له ، فلا ينقطع من القلب شجرة الكبر وحب الرياسة إلا به ، وخرج من التواضع الحقيقي المتقدم ، وهو الذي ينشأ من النظر لنقص النفس وعيوبها ، فإنه ليس حقيقيًّا ؛ لأنه قد يكون مشوبًا بشيء من الكبر والعجب[2] .

ابن عجيبة :

التواضع الحقيقي هو تواضع العارفين ؛ لأنه ناشئ عن شهود عظمة الحق وتجلي ذاته وصفاته ، فالتواضع الحقيقي هو الذي ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور الصفات[3] .



(1) غيث المواهب العلية : (2 / 159) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص204 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 424 ، 425 .



241
لا يُخْرِجُك عن الوَصْف إلا شُهُودُ الوَصْفِ

زرُّوق :

لا يخرجك عن الوصف الحقير النفساني إلا شهود الوصف العظيم الرباني ، لا يخرجك عن الوصف المنسوب إليك إلا شهود الوصف الحاكم عليك ، لا يخرجك عن وصف نفسك إلا شهود وصفها بحقيقة ما هي عليه حتى لا يبقى لك خبر عنك[1] .

الشرقاوي :

لا يخرجك عن أوصاف نفسك كالكبر والعجب إلا شهود صفات ربك كعظمته ، فلا خروج للعبد عن صفات نفسه إلا بشهوده لصفات ربه ، فمن شهد كبرياء الحق لم يبق به كبر ، ومن شهد غناه لم يبق له غنى ، ومن شهد قدرته لم تبق له قدرة ، فيبقى بربه لا بنفسه ، فإن من شهد أوصاف ربه لم يبق له خير عن نفسه[2] .

ابن عجيبة :

لا يخرجك عن أوصاف نفسك الذميمة إلّا شهود أوصاف ربك العظيمة ، فلا يخرجك عن دناءة نفسك إلّا شهود كرم ربك ، فلا يخرجك عن شهود أوصافك الحادثة إلّا شهود أوصاف ربك القديمة ، فيخرجك عن شهود فعلك بشهود فعله ، وعن شهود صفاتك بشهود صفاته ، وعن شهود ذاتك بشهود ذاته[3] .



---

(1) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 488 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 204 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 425 .

الْمُؤْمِنُ يَشْغَلُهُ الثَّنَاءُ على الله عَنْ أَنْ يكُون لِنَفْسِهِ شَاكِرًا، وتَشْغَلُه حُقُوق الله عن أن يكون لِحُظُوظِه ذَاكِرًا

الرندي :

شكر النفس رؤية نسبة الأفعال الجميلة والأحوال الحميدة إليها، وذلك ثناء عليها، وهو مضادّ للثناء على الله تعالى، وذكر حظها من اعتقاد أن لها حقًّا على ما يفعله من الطاعات، وهو مضادّ للقيام بحقوق الله تعالى، فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت إلى نفسه في نسبة شيء من المحاسن إليها، وفي طلب حظ عليه لها، بل يشغله الثناء على الله تعالى، والحرص على توفية حقوقه عن جميع ذلك[1] .

زرُّوق :

المؤمن الكامل يرى كل فضل منه من مولاه، فلا يشكر نفسه ولا ينظر إليها، فيثني على مولاه بما هو أهله، وتشغله حقوق الله الواجبة وغيرها من مقتضيات العبودية عن أن يكون لحظوظه ذاكرًا، فإن كان ملابسًا للحظوظ فلا يتناولها إلا لأمر الله إياه فيها، وذلك كلُّه من بساط حبه لمولاه[2] .

الشرقاوي :

المؤمن الكامل يشغله الثناء على الله بالأوصاف الجميلة، ونسبة الأوصاف الحميدة إليه، عن أن يكون لنفسه شاكرًا معظمًا لها بنسبة الأفعال الجميلة، والأحوال الحميدة إليها، بل يغيب عن ذلك بنسبتها إلى موجدها ومنشئها وهو الله تعالى، ويشغله الحرص على توفية حقوقه تعالى عن أن يكون لحظوظه ذاكرًا، ملتفتًا لها بأن يعبد الله تعالى لذاته[3] .

ابن عجيبة :

النفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتى تذكر، ولا فعل لها حتى تشكر، فالمؤمن يشغله الثناء على الله عن الالتفات إلى ما سواه، إذ لا يشهد في الكون إلّا إياه، وتشغله حقوق الحق عن الالتفات إلى حظوظ النفس؛ إذ لا نفس مع الفناء فلا يبقى إلا حقوق العالم الأسنى فتنقلب الحظوظ في حقه حقوقًا[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2/ 160، 161) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 489 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 205 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 426 .

الشرنوبي :

المؤمـن الحقيقـي ذاهب عن نفسـه ، فلا يـرى لها عمـلًا صالحًا وإنما يشـاهد الأفعال مـن اللـه تعالـى ؛ فـإذا صَلّـى أو صـام أو فعـل شـيئًا مـن الطّاعـات ، شـغله الثناء علـى الله الـذي أوجـد ذلـك فيـه ووفقـه له عـن أن يكـون لنفسـه شـاكرًا ؛ لعـدم رؤيتـه لنفسـه ، كما تشـغله حقـوق الله بـأن يعبده لذاتـه[1] .



الرندي :

المحبـة تقتضـي مـن المحـب بـذل كلياتـه وجزئياتـه فـي مرضـاة محبوبـه ، مـن غيـر طلـب حـظّ ينالـه منه ؛ فهـذا مما يلـزم وجـود المحبة ، بل يـرى ما فعـل ذلك غايـة الحظّ ، وموافقـة رضـا محبوبـه نهاية السـعادة والبخـت[2] .

الشرقاوي :

ليـس المحـب الحقيقـي الذي يرجو مـن محبوبـه عوضًا على عمـل يعملـه ، فلا يقصد بأعمالـه الصالحـة جنـة ولا نجـاة مـن نـار ، أو يطلـب منـه غرضًـا مـن الأغـراض الدنيويـة والأخرويـة ، فـإن المحـب الحقيقـي من يعطيـك ، ليس المحـب الحقيقي من تَبـذل له ؛ لأن المحبـة الحقيقيـة أخذ خصـال المحبوب بمحبـة القلب فلا يصيـر عند المحـب التفات لغير محبوبـه ، فمـن عبـده تعالى لجنتـه فليس محبًّا لـه ، بل للجنـة[3] .

ابن عجيبة :

لا شك أن المحبة التي تكون على الحروف والحظوظ ليست بمحبة ، وإنما هي مصانعة لقضاء الحاجة ، فمن أحب أحدًا ليعطيه أو ليدفع عنه ، فإنما أحب نفسه ؛ إذ لولا غرض نفسه فيه ما أحبه ، والمحب في الشيء هو الذي يبذل نفسه فيه ، ويزهد في جنسه من أجله ،

---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 229 .
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 161) .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 205 .

ولا يصح ذلك على التمام إلا في جانب الذي أسبغ عليك سوابغ الإنعام ، أنعم عليك أولًا بالإيجاد وثانيًا بالإمداد ، وأعطاك كل ما تريد وملكك الكون كله تتصرف فيه كما تريد[1] .

244

لولا ميادينُ النفوسِ ما تحقق سيرُ السائرين ؛ إذ لا مَسَافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتُك ، ولا قُطْعَة بينك وبينه حتى تمحوها وُصْلَتُك

الرندي :

السير إلى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ، ومحو آثارها ودواعيها ، وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك ، وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى ، وتصل إلى سعادة لقائه ، ولولا مُعاناة هذه الأشياء لم يتحقق السير والسلوك ، كيف والحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ، فالبعد الحسي ، وهو المسافة التي تطويها رحلته ، والبعد المعنوي ، وهو القطعية التي تمحوها وصلته ، محالان في حقه تعالى ؛ لنفي المثلية في الأول ، وعدم العندية في الثاني[2] .

زرُّوق :

ميادين النفوس مجالاتها التي تتردد فيها ، **ومدارها على ثلاثة أمور** : طلبُ الحظوظ بالغفلة ، واتباع الوهم من غير تحقيق ، وصريحُ الدعوى من غير حقيقة ، فنفي الغفلة بالتقوى ثم الاستقامة ، ونفي الأوهام بالتصبر والاتباع ، ونفي الدعاوى بالمعرفة والتحقق ، ولكل منها سيْر يخصُّه ، فالسير في الغفلة الأولى بالحذر والإشفاق ونتيجتها الورع والتحفظ ، والسير في الثانية بالعلم والاستبصار ونتيجتها نفي الغلط بالتحقيق والتحفظ في التوسع والتضييق ، والسير في الثالثة بالانحياش إلى الحق والفرار من الخلق ، ثم لا تُبالِ في أيِّها وقعت ما لم تُهمل الأخرى ، فإن كل واحدة منها تدعو لباقيها ، وإهمال واحدة خلل في التي تليها ، ولا مسافة حسية ولا معنوية ؛ لأن الحسية تقضي بالجهة ، ولأن المعنوية تقضي بالمماثلة ، والربُّ تعالى منزه عنهما بجلال قدسه ، ولا قطعية حسية ولا معنوية أيضًا ؛ لانتفاء النسب والمشابهة في وصفه تعالى[3] .

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 427 ، 428 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 165) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 492 ، 493 .

الشرقاوي :

لـولا الشـهوات التـي تخـوض فيهـا النفـوس وتتعشـقها ، مـا تصـور سـير ولا سـلوك إلـى حضـرة ملـك الملـوك ؛ لأنه تعالـى أقرب لـكلِّ أحدٍ مـن نفسـه ، فالبعد الـذي يوجب السـير إلـى المحبـوب وسـلوك الطريق للوصول إليـه قائم بك أيهـا العبدُ ، وهو شـهواتك ، ولـو عُدِمـت منـك لم تحتـج إلى سـير ولا سـلوك ؛ لأن البعد الـذي يحتاج إلى ذلـك منفيّ عنـه سـبحانه وتعالـى حسـيًّا كان أو معنويًّـا ، ولا انقطاع وعـداوة بينك وبينه حتـى تمحوها وَصْلَتُـك ؛ لأن الانقطـاع والعـداوة لا يكونـان إلا بين متضاديـن متعاديين فيحتـاج أحدهما إلـى الوصلـة والمـودة وأين أنـت من اللـه حتى تعاديـه؟![1] .

الشرنوبي :

لولا شهوات النفوس ومألوفاتها التي تخوض فيها وتعشقها ، كما تخوض الفرسان في الميادين الواسعة التي تجول فيها الخيل ، ما تحقق سير السائرين ، ولو تطهرت النفوس لعلمت أنها في حضرة القدوس ، فالسير إلى الله إنما هو قطع عقابات نفسك ، فإن البعد منسوب إليك لا إلى ربِّك ؛ إذ لا مسافة حسِّية بينك وبينه تقطعها رحلتك ، ؛ لأنها لا تكون إلا بين متماثلين ، ولا مقاطعة توجب البعد المعنوي بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بين متعاديين ، وأين أنت من معاداة ربك ؟ فليس ثم حجاب يمنع وصولك غير نفسك ، ولا يزول ذلك الحجاب إلا بإماتتها وتطهيرها من كل ما يغضب رب الأرباب .

شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 206 .

شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 230 ، 231 .

جَعَلَكَ فِي العَالَمِ المُتَوَسِّطِ بينَ مُلْكِهِ ومَلَكُوتِهِ ؛ ليُعْلِمَكَ جَلاَلَةَ قَدْرِكَ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ ، وأنكَ جَوْهَرَةٌ تَنْطَوي عليكَ أصدَافُ مُكَوَّنَاتِهِ

الرندي :

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وجعل بنْيَتَه متضمنةً أسرار جميع الموجودات عُلويِّها وسُفْليِّها ، لطيفها وكثيفها ، فصار لذلك روحانيًّا جسمانيًّا أرضيًّا سماويًّا ، وهذا معنى جعله في العالم المتوسط بين عالم الملك وهو عالم الشهادة ، وعالم الملكوت وهو عالم الغيب ، فلاجرم لمَّا كان الإنسان بهذه المثابة من كونه نُخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الأكوان كُلّها له باعتبار إحاطتها به ، وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه ، وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصَّدَفة ، والمقصود من هذا أن يعرف الإنسان جلالة قدره ، وفخامة أمره فيعلو بهمته إلى المراتب السامية اللائقة به ، وذلك بإخلاص العبودية لربه - عز وجل - وقطع النظر عن كلّ ما سواه[1] .

زرُّوق :

ميادين الغيوب : مجالاتها ومدارها على أسرار العبودية وأنواع المعارف والعلوم الإلهامية ، التي من لم يُفْتح له بابها ولا ظهر له جنابها لم يزل في الحضيض الأسفل ، وإن كان في أرفع درجات العبادة والعلم ، وهي أمور لا تتناولها العبارة ، ولا تبينُ عنها الإشارة ، لكن تدرك من وراء الستارة ، من سُترت فيه ظهر عليه سرها ، ومن لم تحصل له فهو مسجون بمحيطاته الجسمانية : من الأكل والشرب والجماع ، ومحصور في هيكل ذاته النفسانية بطلب الأعراض واتِّباع الحظوظ والأغراض ، وإذا فتحت لك ميادين الغيوب فَلْتَرْقَ بهمتك لأعلاها ، وهو معرفة الحق سبحانه ، والكون به وله لا لشيء دونه ، ولا لشيء سواه ، فإن كل شيء دون ذلك روحانيًّا كان أو غيره نقص وبخس[2] .

ابن عجيبة :

عظَّم الله سبحانه هذا الإنسان وجعله نخبة الأكوان ، فيه مُلْك وملكوت ، ونور وظلمة ، وغيب وشهادة ، وعالم علوي وسفلي ، وقدرة وحكمة ، وحس ومعنى ، فقد جعلك الله أيها الإنسان ناشئًا في العالم المتوسط بين ملكه وهو بشريتك وملكوته

(1) غيث المواهب العلية : (2/ 179 ، 180) .
(2) حكم ابن عطاء الله لزروق : ص 495 ، 496 .

وهـو روحانيتـك ، فمنهـم مـن غلبت بشـريتهم علـى روحانيتهـم فبقـوا في ظلمـة الأكوان وهـم عـوام المسـلمين ، ومنهـم مـن غلبـت روحانيتهـم علـى بشـريتهم وهـم الخـواص العارفـون السـائرون إليـه بمجاهدة نفوسـهـم[1] .



246

إِنَّمـا وَسِـعك الكونُ مِـنْ حَيْثُ جُسْـمَانيَّتك ، ولم يَسَـعْكَ من حيْثُ ثُبـوت رُوحَانيَّتك

الرندي :

إنما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ، وَوُسْعهُ لك باكتفائك به ، وقضاء أوطارك منه ، ووقوف أملك في نيل حاجتك عليه ، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك ؛ لعدم المناسبة ، فلا يسعك حينئذٍ ولا يناسبك إلا بالتعلُّق بالمكوِّن[2] .

الشرقاوي :

وسـعك العالـم السـفلي وهو الأرض من حيث جسـمك ؛ لأن جسـمك بعـض الكون ومحصـور فيـه ومصالحـه غيـر خارجة عنـه ، ولم يسـعك من حيـث ثبوت روحـك ؛ لأنها ليسـت مـن هـذا العالـم ، ولا مناسـبة بينهـا وبينـه ، فـلا تصلـح أن تتعلق بشـيء منـه ، بل لا تصلـح أن تتعلـق إلا بالمولى سـبحانه[3] .

ابن عجيبة :

الـروح إذا تَصَفَّـت وتطهـرت مـن كـدرات الحـس ، عرجـت إلـى الجبـروت ، فلـم يحجبهـا عـن اللـه أرض ولا سـماء ولا فلـك ولا عـرش ولا كرسـي ، فكلما جالـت الروح فـي بحـر الجبـروت صغـر الكـون عندهـا حتـى لا تحس بـه[4] .



(1) إيقاظ الهمم : ص 435 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 180 ، 181) .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 209 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 437 .

247

الكَائِنُ فـي الكَـونِ وَلَـمْ تُفْتَـحْ لَـهُ مَيَادِيـنُ الغُيـوبِ مَسْـجُونٌ بِمُحِيطَاتِـه ، وَمَحْصُـورٌ فـي هَيْـكَلِ ذَاتـه

الرندي :

مـن لازم الكـون ، وبقـي معـه ، وقصـر همّتـه عليـه ، ولـم تفتـح لـه ميادين الغيـوب الملكوتيـة ، ولا خلـص سيره إلـى فضـاء مشـاهدة الوحدانيـة فهـو مسجون بمحيطاتـه ، ومحصـور فـي هيـكل ذاتـه ، وهـذه هـي صفـات أصحـاب النـار[1] .

الشرقاوي :

الموجـود فـي الدنيـا ولـم يُفْتح قلبـه للعلوم والمعـارف الشـبيهَة بالميادين ، مسـجون بشـهواته ولذاتـه ، أنـت واقـف مـع الأكـوان ومسـتند إليهـا ، وهـي مسـتعبدة لـك ، مـا لم تشـهد المُكَـوِّن فيهـا ، فإذا شَـهِدْتَه فيهـا كنت مسـتغنيًا عنهـا ومالكَها ، وهـي محتاجة إليك وخادمـة لـك ، فـإذا طلبت منها شـيئًا حصـل[2] .

ابن عجيبة :

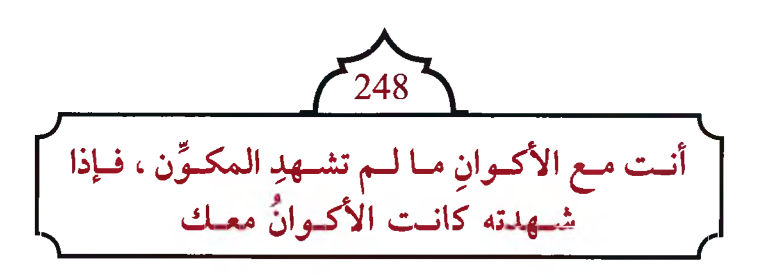
ميادين الغيـوب هـي مـا أدركتـه الـروح حيـن خرجـت مـن ضيـق الأشـباح إلـى عالـم الأرواح ، فمـادام الإنسـان فـي الكـون بحيـث لا يشـهد إلا الكـون ، ولا يـدرك إلا الحـس ، فهـو مسـجون بالأكـوان المحيطـة ، كالسـماوات والأفـلاك الدائـرة بـه ، وهـو محصـور أيضًـا فـي هيـكل ذاتـه ، أي : فـي شـكل بشـريته ، فـإذا غلبـت روحانيتـه علـى بشـريته فقـد خرجـت مـن حصـر الهيـكل ، وإذا نفـذت بصيرتـه إلـى فضـاء الملكـوت فقـد خرجـت مـن سـجن الأكـوان إلـى شـهود المكـوِّن ، فحينئـذٍ تتحـرر مـن رق الأكوان وتحظـى بنعيـم الشـهود والعيـان[3] .

الشرنوبي :

من وُجِدَ في الدنيا ، ولم تفتح له خزائن العلوم والمعارف الغيبية الشَّبيهة بالميادين ، حتى يستنير بها قلبه ، ويشاهد أسرار ربِّ العالمين ، فهو مسجون بشهواته ، ومحصور في شهوات نفسه ، وأما من طهَّر نفسه من الشهوات ، فقد وصل إلى أعلى درجات السعادة ، وفُتحت له ميادين من عالم الغيب والشهادة[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 181) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 210 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 438 ، 439 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 233 .



248

أنت مع الأكوانِ ما لم تشهدِ المكوِّن ، فإذا شهدته كانت الأكوانُ معك

الرندي :

فرق بين كونك مع الأكوان وكون الأكوان معك ؛ فإن كونك مع الأكوان يقتضي تقييدك بها ، وحاجتك إليها ، فأنت بذلك عبد لها ، ثم هي خاذلتك ، ومُسْلِمتك وأحوج ما تكون إليها، وكونُ الأكوان معك يقتضي ملكَك لها ، واستغناءك عنها ، فأنت حينئذٍ حرٌّ عنها ، وهي محتاجة إليك ، وخادمة لك ، ومتبركة بك ، حتى الجمادات والحيوانات[1] .

زرُّوق :

فرق بين كونك مع الأكوان وكون الأكوان معك ، هو أنك **في الأول** تنظر إليها عند احتياجك وغيره ، **وفي الثاني** تُعرض عنها بالإقبال على مولاك ، فمن احتاج لشيء فشُغل سرُّه به وجودًا أو عدمًا ، وتحصيلًا أو غيره ، فهو مع ذلك الشيء ؛ لأنه له ، ومن احتاج لشيء فتوجَّه لمولاه في تحصيله أو نفيه ، أو نظر لتصرفه فيه ونحوه ، كان ذلك الشيء معه ؛ بمعنى أنه مُعين له على ما يريده من التوجُّه والإقبال على مولاه ، وما دعاه لذلك إلا ما حصل له من الشهود ، بخلاف الأول ؛ فإنه في ظلمة الأسباب بالفقد والوجود[2] .

ابن عجيبة :

مادام العبد مقيدًا في سجن الأكوان ، فهي حاكمة عليه ، فهو يحبها ويعشقها وهي تبغضه وتبعده عن ربه ، وهو يفتقر إليها وهي غنية عنه ، وهو يميل إليها ويحرص عليها وهي تفر منه ، فإذا شهد مكوِّنها وغاب وتحرر من رقها كانت حينئذٍ هي خادمته وهو حاكم عليها ، وهي تحبه وتعشقه وهو مشغوف بحب خالقها ، وهي تفتقر إليه وهو غني عنها[3] .

الشرنوبي :

إنك مع الأكوان عبدٌ لها ما لم تشهد المكوِّن سبحانه فيها قائمًا عليها ومدبرًا لها ، فإذا شهدته وعرفته حق معرفته كانت الأكوان معك ، ومسخرة لك ومتبركة بك ، حتى الحيوانات والجمادات[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 182) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص497 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 439 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 234 .

لا يَلْزم من ثبوت الخُصُوصيَّة عَدَمُ وصْف البَشَرية ، إنَّما مَثَلُ الخُصُوصِيَّة كإشْرَاق شَمْس النَّهار ، ظهرت في الأفق وليْسَتْ منه ، تارة يُشرق شموسَ أوصافه على ليل وجُودك ، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك ، فالنَّهار ليس منك وإليك ، ولكنه واردٌ عليك

الرندي :

ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية ؛ لأن الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد ، والأمور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها ، وإنما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك الوصْف على العبد فقط لأجل الوارد الغالب ، فإن قُدِّر ذهابُ هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبًا قاهرًا ، وكان العبد في يديه أسيرًا ، وذلك مثل إشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل آثار ظلمانيتها ، فتستنير بذلك وتشرق ، فإذا غابت الشمس رجعت إلى حالها من الظلمة ؛ لأن النور ليس بذاتيٍّ لها ، **ومعنى الخصوصية** ما يخصّ الحق تعالى به أولياءه من ظهور أوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ؛ ليغطي أوصاف نفوسهم الرديئة ، فالنهار ليس منك وإليك ، وإن غابت عنهم تلك الأنوار المشرقة رجعوا إلى أصلهم ولزموا الوقوف على حدّهم[1] .

زرُّوق :

لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية ، وإن صحَّ سترها وتغطيتها ؛ لأن البشرية أمر ذاتي ، والذاتيات لا زوال لها ، والخصوصية أمر عارض ، والعارض لا ينفي الذاتي وإن ستره ، فالخصوصية ظهرت في عوالم الإنسان وليست منه ، فظهر للجاهل أنها أذهبت وجود البشرية ، كما يظن الغبي أن شمس النهار أذهبت ما في الأفق من ظلمة الليل ونحوه ، لكنها سترته بضوئها كما سترت الخصوصية البشرية بظهورها ، فإذا طلعت شمس الأوصاف عليك ظهر فيك من الغنى والعز والقدرة والقوة ما يقتضي أن العالم كلَّه في قبضتك ، ولا قدرة لشيء على مقابلتك ، وإذا ردَّك إلى حدودك ظهر عليك من الفقر والذل والعجز والضعف ما يوجب تلاشيك ، فإن كنت تام العبودية أعطيت كل محلّ حقه ، فأعطِ كُلًّا حَقَّه : النهارَ بالحركة وضده بالسكون[2] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 185 ، 186) .

(2) حكم ابن عطاء الله للزرّوق : ص 498 ، 499 .

الشرقاوي :

ما يخصك الله به من القوة والقدرة على التصريف في المكوَّنات والكشف عن أحوالها ، عدم وصف البشرية ، كفقر وضعف وعجز وجهل ؛ لأن الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد ، والأمور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها ، ومثل ذلك كشمس النهار المشرقة في نواحي السماء ، وليست من ذاتياته ، وكما أن شمس النهار إذا ظهرت على الآفاق المظلمة استنارت ، وإذا غربت رجعت إلى حالها من الظلمة ؛ لأن النور ليس ذاتيًّا لها ، بل هو عرض ، والأمور العرضية لا تزيل الذاتيات ، كذا الأوصاف البشرية كالفقر والعجز شبيهة بالليل ، فإذا ظهر عليها شمس التجلي بأن يتجلى الله عليك بصفة الغنى والقدرة استنارت ذاتك ، وإذا قبض عنها ذلك رجعت إلى حالها ، وتلك الخصوصيات التي ظهرت عليك ليست من أوصافك الذاتية ، ولكنها وارد عليك من حضرة الحق سبحانه ، فإن شاء أبقاه وإن شاء أزاله[1] .

ابن عجيبة :

المراد بالوصف البشري : ما جعله الله محتاجًا إليه بحكمته في قوام بدن الإنسان من أكل وشرب ولباس ومسكن ، وما فطره عليه من شهوة مباحة كنكاح وشهوة غير محرَّمة ، فهذه الأوصاف لا ينافي وجودها وجود الخصوصية ، وهي الولاية والمعرفة ، فالخصوصية محلها البواطن ، ووصف البشرية محلها الظواهر ، ومثل نور الربوبية الذي أشرقه الله في قلوب أوليائه وستره بظهور البشرية ، كمثل نور الشمس إذا أشرق على الآفاق ، فيعود الفضاء نورًا بعد أن كان مظلمًا ، فنوره ليس ذاتيًّا إنما هو من الشمس ، كذلك نور الربوبية هو مستودع في باطن البشرية ، فإذا أراد الله تعالى أن يظهر خصوصية عبده أشرق ذلك النور على ظاهر بشريته ، فتستولي روحانيته على بشريته ، فلا يبقى للبشرية أثر فتصير البشرية كلها نورًا ، فنور البشرية ليس منها ولكنه وارد عليها[2] .



---

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 211 ، 212 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 442 .

دَلَّ بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبِوجُودِ أَسْمَائه على ثُبُوت أَوْصَافه ، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته ؛ إذ مُحال أن يقوم الوصف بنفسه ، فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يَرُدُّهم إلى شُهُود صفَاته ، ثم يُرجِعُهم إلى التَّعَلُّق بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره ، والسَّالِكُون على عكس هذا ، فنهاية السالكين بداية المَجْذُوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحدٍ ، فرُبَّما التقَيا في الطريق ، هذا في تَرقِّيه وهذا في تَدَلِّيه

الرندي :

عباد الله المخصوصون بالقرب منه ، والموصولون إليه ينقسمون إلى قسمين : سالكين ومجذوبين ، **فشأن السالكين** الاستدلال بالأشياء عليه ، **وشأن المجذوبين** الاستدلال به على الأشياء ، ولا شك أن الدليل أظهر من المدلول ، فأول ما ظهر للسالكين الآثار ، وهي الأفعال فاستدلوا بها على الأسماء ، وبالأسماء على الصفات ، وبالصفات على وجود الذات ، فكان حالهم الترقي ، وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ، ثم ردوا منها إلى مشاهدة الصفات ، ثم رجعوا إلى التعلق بالأسماء ، ثم أنزلوا إلى شهود الآثار ، فكان حالهم التدلي ، فما بدأ به السالكون من شهود الآثار إليه انتهاء المجذوبين ، وما ابتدأ به المجذوبون من كشف حقيقة الذات انتهاء السالكين ، فإن مراد السالكين شهود الأشياء لله ، ومراد المجذوبين شهود الأشياء بالله ، فالسالكون عاملون على طريق الفناء والمحو ، والمجذوبون مَسْلُوكٌ بهم طريق البقاء والصحو ، ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما في طريق سفرهما : السالك مُترقٍّ ، والمجذوب مُتدلٍّ[1] .

زرُّوق :

من نظر اختلاف الآثار وتنوعها دلَّته على معاني الأسماء فحصل له من العرفان بذلك على قدر اتساع نظره ونور باطنه ؛ إذ يرى لكل اسم نسبة ولكل نسبةٍ وجوهًا ، ولكل وجهٍ متوجهات لا نهاية لها ، فإذا نظرت في الأسماء من حيث المعنى الجامع والأثر الظاهر ظهر لك أنها راجعة لأوصاف الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ؛ إذ لا يخرج عن ذلك اسم بمعناه وقصده ، فافهم ، فإذا نظرت الأوصاف دلَّتك على وجود الذات ، لا لمعنى منها بل من حيث لزومها لوجودها ؛ إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ؛ لأن المعنى لا يقوم بالمعنى ولا بذاته ، فمعرفة الذات

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 186 ، 187) .

مـن وراء معرفـة الصفـات ، ومعرفـة الصفـات مـن وراء معرفة الأسـماء ، ومعرفة الأسـماء مـن وراء معرفـة الآثـار ، هـذا علـى الترقـي ، وهـو شـأن النظـار وأهـل الإرادة عكـس حال العارفيـن وأهـل الجـذب ، يكشـف لهـم عـن كمـال ذاتـه ، بمعنـى أنـه يظهـر لقلوبهـم من جلالـه وعظمتـه وكبريائـه مـا تذهل فيـه العقـول والألبـاب ولا يـدرك بالتعلم والاكتسـاب ، فيوجـب لهـم تعظيمًـا وإجـلالًا ، ثـم يردّهـم إلـى شـهود صفاته بـأن يشـعروا بأن مـن لازم هـذه العظمـة الاتصـاف بعلـيِّ الصفـات ؛ ثـم يرجعهـم إلـى التعلُّـق بأسـمائه ، ثـم يردّهـم إلـى شـهود آثـاره ، بـأن يسـري لهـم من كل اسـم ظهور نسـبته فـي الوجـود ، فينظـرون آثار الرحمـة متنوعـة ، ووجـوه الانتقـام متعـددة ، وكذا سـائر الأسـماء مـع التداخـل ، فينظرون الخلـق بمـا أبـدى عليهم الحـق ، وحينئـذٍ لا يُهملـون حكمه ولا يُفـردون حكمًـا ويدخلون الشـريعة مـن عيـن الحقيقـة ، هذا مع أنهـم لـم يفارقوها في حـال ، والسـالكون على عكس هـذا فبدايـة المجذوبين نهاية السـالكين ، وبداية السـالكين نهاية المجذوبيـن ، والمجذوب هـو المأخـوذ مـن نفسـه إلى حضـرة الحـق لا بترتيب ، **والسـالك** : هـو الواصل لهـا بترتيب وتربيـة ، لكـن المعنـى الـذي دخـل بـه المجـذوب إلى الآثـار ليس هـو المعنى الـذي خرج عنـه السـالك لأجلـه ، فربمـا التقيا في منـزل من منازلهـا ، فيكون هـذا مجذوبًا في مشـاهدة الصفـات نـازلًا ، والسـالك فـي مشـاهدتها صاعـدًا ، وكذلـك في مشـاهدة الأسـماء فيتفق علمهمـا ومنازلتهمـا ، ويختلـف بسـاطهما وتوجههمـا ، هـذا فـي تدلّيه وهـذا في ترقّيـه[1] .

ابن عجيبة :

هـذه طريقـة الترقـي ، فوجـود الأثـر يـدل علـى وجـود القـادر والمريـد والعليـم ، فلـزم مـن وجـود الأثـر وجـود المؤثـر ، وهنـا افتـرق أهـل الظاهـر مـن أهـل الباطـن ، فأهـل الظاهـر أثبتـوا مـن وجـود الأثـر وجـود الأسـماء والصفـات ولـم يقدروا علـى شـهود الـذات ، وأهـل الباطـن لمـا فرغـوا قلوبهـم مـن الأغيـار ، فتـح اللـه عيـن بصيرتهـم وأطلعهـم علـى مكنـون سـره فأفـردوا الحـق بالوجـود ، وانتفـى عـن بصيرتهـم كل موجـود ؛ إذ محـال أن يفـارق الصفـة موصوفهـا أو تقـوم بنفسـها ، فلـزم مـن وجـود الصفـات وجـود الـذات وهـذا هـو سـر الخصوصيـة الـذي خـص اللـه بهـا أوليـاءه ، ولـم يشـاركهم فيـه غيرهـم ، فعبـاد اللـه المخصوصـون علـى قسـمين : منهـم مـن يبـدأ بالجـذب ثـم يـردُّ إلـى السـلوك ، ومنهـم مـن يبـدأ بالسـلوك ثـم يدركـه الجـذب ثـم يصحـو ، فأربـاب الجـذب يُكْشـف لهـم أولًا مـن غيـر مجاهـدة عـن شـهود الـذات ، ثـم يُـردون مـن شـهود الـذات إلـى شـهود الصفـات ، فـلا يـرون إلَّا صفـات الحـق تكثفـت وظهـرت وينكـرون الأثـر ، ثـم إذا شـهدوا الصفـات تعلقـوا بالأسـماء اللازمـة لهـا ،

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 500 - 503 .

ثـم يرجعـون إلـى شـهود آثـاره فيقومـون بأحـكام العبوديـة ، والسـالكون علـى عكـس هـذا ، فيسـتدلون بوجـود آثـاره علـى وجـود أسـمائه ، وبوجـود أسـمائه علـى وجـود صفاتـه ، وبوجـود صفاتـه علـى وجـود ذاتـه ، فنهايـة السـالكين وهـي شـهود الـذات بدايـة المجذوبيـن ، ونهايـة المجذوبيـن وهـي شـهود الأثـر بدايـة السـالكين ، ولكـن ليـس بمعنـى واحـد بـل أحدهمـا نـازل يشـهد الأشـياء باللـه ، والآخـر صاعـد يشـهد الأشـياء بنفسـه للـه[1] .



251

لا يُعْلَمُ قَدْرُ أَنْوَار القلوب وَالأَسْرَار إلاّ في غيْبِ المَلَكُوتِ ، كَمَا لا تَظْهَرُ أَنْوَارُ السَّماء إلا في شَهَادة المُلك

الرندي :

أنـوارُ القلوب والأسـرار المشـرقة عليها من سـماء التوحيـد والمعرفة ، لا يُعـرف قدرُها إلا فـي غيـب الملكـوت وهـو عالـم الآخـرة ، وهنـاك يحصل لهـم تمام هـذه الأنـوار ، فمن آمـن بالغيـب كان لـه من ذلـك الحظ الأوفـر ، كما أن أنوار السـماء المشـرقة لا تظهـر إلا في شـهادة المُلـك ، وهو عالـم الدنيا[2] .

زرُّوق :

أنـوار القلـوب والأسـرار : مـا يظهـر فيهـا مـن المعـارف والعلـوم ونحوهـا ، وغيـب الملكـوت : مـا خفـي إدراكـه مـن حيـث الأحـكام العقلية ، كمـا أخبر بـه الشـارع ﷺ من أمـر الدنيـا والآخـرة ؛ لأنـه لا يعـرف تحققـه إلا منـه ، وبه تظهـر قـوة الإيمان ونـور القلب ونحوهمـا ، فمـن كان إيمانـه بالغيـب أكمـل وأحكـم ، كان نـوره وإيمانـه أتـم ، ومـن لا فـلا ، فأنـوار السـماء نجوم وأقمار وشـموس ، وأنـوار القلوب علـوم ومعـارف ، فأُفُق هذه مواضـع ظهورهـا ، وأُفُـقُ تلـك مواضع وجودهـا[3] .

(1) إيقاظ الهمم : ص 443 ، 444 .

(2) غيث المواهب العلية : (2 / 187 ، 188) .

(3) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 504 .

الشرقاوي :

لا يُعلَمُ قدرُ أنوار القلوب المشرقة عليها ، وهي العلوم والمعارف الدينية ، وما هو مُودَعٌ فيها من أنوار الحق إلا في عالم الآخرة ، فمن آمن بالغيب وسعى في تهذيب نفسه حتى حصلت عنده تلك الأنوار شاهد الحظ الأوفر هناك ، وإن كان مُهَانًا في الدنيا غير مُعْتَنًى به فيها ، كما لا تظهر أنوار الكواكب إلا في شهادة عالم الدنيا(1) .

ابن عجيبة :

الناس كلهم عندهم النور في قلوبهم ، فمن الناس من حُجِب عن هذا النور وعمي عنه ، وهو من وقف مع ظاهر الملك وهو قشر الكون وحسه الظاهر ، ومن الناس من نفذت بصيرته إلى شهود النور الباطني فيه ، ولم يقف مع القشر بل نفذ إلى شهود اللُّب ، وهو نور الملكوت وأسرار الجبروت ، فمن كان محجوبًا في عالم الملك لا يعلم قدر أنوار الملكوت ولا يحس بها بل ينكرها ، ومن كان واقفًا مع أنوار الملكوت لا يعلم قدر أنوار الجبروت(2) .

الشرنوبي :

لا يُعرف قدرُ الأنوار والأسرار التي أشرقت على القلوب من سماء التوحيد إلا في عالم الآخرة ، فمن كان قوي الإيمان كان له هناك أعظم منازل الامتنان ، ومن كان إيمانه بالغيب أكمل كان نوره وما يترتب عليه أتم وأشمل ، وكما أن أنوار الكواكب لا تظهر إلا في عالم الدنيا ، فإن نور الإيمان ليس له أفول ، فيناسبه الدار الباقية ، وأنوار الكواكب تأفل ، فيناسبها الدار الفانية(3) .



(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 215 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 445 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 238 .

وجدان ثمرات الطاعات عاجلًا ، بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلًا

الرندي :

ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في أعمالهم عاجلًا ، من مزيد الإيمان واليقين وتنسُّم روح الأنس ولذيذ القرب ولطيف الوصل ، بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة ؛ لأنها مقبولة عند الله تعالى[1] .

زرُّوق :

وجدان ثمرات الطاعة : ما ينشأ عنها ما هو ملابس أو مفارق ، كالحياة الطيبة وسقوط الخوف والحزن بالسكون إلى الله تعالى ، وظهور الجلالة بنفوذ الكلمة ، **والبشارة** : الخبر الصادق ، وأكثر استعماله في الخير ، وإنما كانت بشارة لأنها كرامة من الحق سبحانه وتعالى ، ثم مع هذا كله ، فالجزاء وإن كان موعودًا لا ينبغي أن يكون بالعمل مقصودًا لذاته ؛ لأن الوعد من بساط الكرم ، والقصد وجود مقابلة فضله وكرمه بأفعالنا وهو إساءة أدب[2] .

الشرقاوي :

وجدان ثمرات الطاعات ، وهي الأنوار التي تحصل في قلوبهم وتشرق على ظواهرهم والتلذذ بها في حال فعلها في الدنيا ، بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة وأنها مقبولة عند الله[3] .

ابن عجيبة :

من وجد في بدايته حلاوة مجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته، ومن لم يجدها فلا ييأس من روح الله ، فإن لله نفحات تهب على القلوب فتصبح عند علَّام الغيوب ، وهذا الجزاء الذي يستبشر به لا ينبغي قصده ولا طلبه ؛ لئلا يكون ذلك قدحًا في الإخلاص[4] .

الشرنوبي :

إن ما يجده العاملون من ثمرات الطاعات ، كزيادة إشراق أنوار اليقين في قلوبهم ، والتلذذ بها عند مناجاة ربهم ، بشائر لهم بقبولها ووجود الجزاء عليها في الدار الآخرة[5] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 188) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 505 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 215 ، 216 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 446 .

(5) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 239 .



253

كيف تطلب العِوضَ على عملٍ هو متصدِّق بهِ عَلَيْك ؟! أمْ كيف تطلب الجزاء على صدقٍ هو مُهْدِيه إليك ؟!

الرندي :

العمل الذي يصحُّ طلبُ العوض والجزاء عليه : هو ما عملته لينتفع به غيرك ، ولم يحصل لك بذلك منفعة ، ولم يندفع عنك بسببه مضرّة ، والأعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرًا وباطنًا بخلاف هذا كله ؛ إذ هي مسلوبة عنك منسوبة إلى ربك خلقها واختراعها ، عائد ثمرة ذلك ومنفعته عليك ، فطلب العوض والجزاء إذن في غاية القبح[1] .

زرُّوق :

ولو لم يتصدَّق به عليك كنت محتاجًا إليه مع عجزك عن تحصيله ، فهو قد دخل عليك من بساط افتقارك ، فلا يصح لك أن تستغني به عمن أعطاك إياه ، فضلًا عن أن تطلب العوض منه ، ثم طلب العوض يفتقر لسلامة المعوَّض من الآفات والعلل ، وميزان أعمالك ما يليق بأفعالك ، فإن صدقت في توجهك فصدقك هدية منه لك ، وذلك لا يصح معه طلب الجزاء[2] .

الشرقاوي :

كيف تطلب الجزاء على عمل هو متصدق به عليك ، فهذا غير لائق ؛ لأن الإنسان لا يطلب الجزاء من الغير إلا إذا فعل معه فعلًا يعود نفعه على ذلك الغير ، وذلك مفقودٌ هنا ؛ لأن نفع تلك الأعمال عائدٌ عليك لا على الرب سبحانه ؛ لأنه غني عنك وعن أعمالك ، وكيف تطلب الجزاء على إخلاص في العمل ، هو مهديه إليك[3] ؟!

ابن عجيبة :

العبد إنما هو آلة مسخرة ، فإذا سخره ربه تحرك وإلَّا فلا ، وإذا كان كذلك فلا نسبة لك في العمل إلَّا ظهوره عليك حكمة ، فكيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟! وإذا منَّ عليك بصدق العبودية ، وهو سر الإخلاص ، فكيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك ؟![4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 188) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 506 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 216 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 447 .



254

قـومٌ تَسْـبِقُ أنوارُهُـم أذكارَهُـم ، وقـومٌ تسـبِقُ أذكارُهُـم أنوارَهُـم

الرندي :

سَـبْقِيَّة الأذكار للأنـوار هـو حـال المريديـن السـالكين ، وذلـك لأن شـأنهم المجاهدة والمكابـدة ، فهـم يَأتـون بـالأذكار فـي حال تكلّـف منهم وتعمُّـل ليحصل لهم بذلـك زوائد الأنـوار ، وسـبقية الأنـوار لـلأذكار هـو حـال المريديـن المجذوبيـن ؛ لأنهـم مُقامـون فـي السـهولة والخفـة ، فهـم لما وُجّهـوا بالأنوار حصلت منهـم الأذكار بلا تكلـف ولا تعمّل[1] .

زرُّوق :

الـذي يسـبق ذكـرُه نـورَه هو الـذي ذكر ليسـتنير قلبـه ، وهو السـالك الطالـب ، والذي يسـبق نـورُه ذكرَه هـو الذي صـار ذاكرًا اضطـرارًا لقـوة الوارد عنـده[2] .

الشرقاوي :

قـوم تسـبق أنوارهـم أذكارهـم ، وهـم المجذوبون المـرادون ، فلمـا واجهتهـا الأنوار حصلـت منهـم الأذكار بـلا تكلـف ولا تعمـد بـل بسـهولة وخفـة ، وقـوم تسـبق أذكارهـم أنوارهـم ، وهـم المريـدون والسـالكون ، وذلـك شـأنهم المجاهـدة والمكابـدة ، فيأتـون بـالأذكار فـي حـال تكلـف منهـم وتعمـد ليحصل بهـا الأنـوار[3] .

ابن عجيبة :

أمـا القـوم الذين تسـبق أنوارُهم أذكارَهـم فهم الواصلـون ، وأما الذين تسـبق أذكارهم أنوارهـم فهـم السـائرون ، الأولـون لهـم أنـوار المواجهـة لا تفارقهـم ، فهـم ذاكـرون على الـدوام ، فـإذا أرادوا أن يذكـروا باللسـان سـبقت إلـى قلوبهم الأنـوار فكانت هـي الحاملة لهـم علـى وجـود الأذكار ، وأما الآخـرون فلهم أنـوار التوجه وهـم طالبون لهـا محتاجون إليهـا ، فهـم يجاهدون أنفسـهم فـي طلب تلك الأنـوار[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 189) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 508 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 217 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 447 .



الشرقاوي :

ذاكرٌ ذكر ليستنير قلبه وهو السالك ، وذاكرٌ استنار قلبه فكان ذاكرًا وهو المجذوب ؛ لأن الأول عرف طريقًا توصَّل بها إلى الله وناله فيها غاية التعب والمشقة ، والمجذوب ليس كذلك ، وهذا بناءً على أن المجذوب لا طريق له[1] .

ابن عجيبة :

فالذي ذكر ليستنير قلبه هو الذي يسبق ذكره نوره ، فهو من القوم الذين تسبق أذكارهم أنوارهم ، والذي استنار قلبه فكان ذاكرًا هو الذي يسبق نوره ذكره ، فهو من القوم الذين تسبق أنوارهم أذكارهم ، وهم العارفون بالله لا تجدهم إلا في حضرة الله بين ذكر أو فكرة أو نظرة أو إرشاد إلى الحضرة ، فقلوبهم ممتلئة بالأنوار وأرواحهم دائمًا في حضرة الأسرار[2] .



الرندي :

أعمال الظاهر تكون تبعًا لما يكون في الباطن ، فالذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر[3] .

زرُّوق :

الذاكر ليستنير قلبه ، فلولا تجلّي الحقيقة لقلبه ما آثر الذكر لاستنارته ، ولولا فكرته التي حصلت له ما توجّه لذلك ، والذي قد استنار قلبه إنما هو من مشاهدة الحق به ، وما ذاكرًا إلا لداعية الفكر الحاصلة به ، فلابدَّ لكلٍّ من شهود وفكر ، إلا أن الأول فكرُهُ أصل ، وشهودُهُ تابعٌ ، وبالعكس الآخر[4] .

---

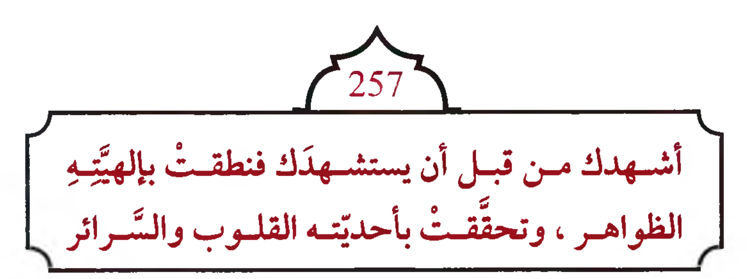
(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 217 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 448 .
(3) غيث المواهب العلية : (2 / 190) .
(4) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 509 .

ابن عجيبة :

إذا كان الظاهر مشتغلًا بذكر الله فهو علامة وجود محبة الله في الباطن ؛ إذ من أحب شيئًا أكثر من ذكره ، ولا تكون المحبة إلا عن ذوق ومعرفة ، فلا يكون ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود ، أي شهود كان وإن كان لا يشعر بشهوده ، فما ذكرت الروح حتى فنيت ، ولا فنيت حتى شهدت ، فكل من فني في ذكر الله فإن روحه شهدت جمال الحضرة أو تفكرت في جمال المذكور وبهائه[1] .

الشرنوبي :

الأعمال الظاهرة جميعها لا تكون إلا عن باطن شهود الحق جلَّ شأنه ، والتفكر في آثار قدرته ، فإن صلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن ، وإنما خص الذكر بالذكر من بين سائر الأعمال ؛ لأنه روحها والمقصود بالذات منها[2] .



الرندي :

كاشف الله تعالى القلوب والأسرار في غيب الغيب بحقائق وحدانيته وإحاطة قيوميَّته ، فلمّا أشهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت وتلاشت ، فتحققت بذلك الأحدية ، فلما أظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالأجسام والهياكل طلب منها الشهادة له بالإلهية ، فشهدت بلسان حالها ومقالها ، فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعًا لشهودها لما أشهدت ، فالعبد من حيث سرُّه وقلبه بوصف الجمع ، ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق[3] .

الشرقاوي :

تجلى لقلبك فشهدته على حسب قَدْرِك ، من قبل أن يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك ، فإن الذكر والعبادة شهادة منك بوحدانيته ، فنطقت بألوهيته

---

(1) إيقاظ الهمم : ص 448 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 241 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 191) .

الجوارحُ الظاهرة نطقًا حقيقيًّا في اللسان وحاليًّا في غيره ، وجزمتْ بكونه واحدًا لا شريك له القلوبُ والسرائر[1] .

ابن عجيبة :

أشهدك الحق تعالى ، حين كنت في عالم الأرواح ، ربوبيته ووحدانيته ، فعلمتها وحققتها من قبل أن يطلب منك تلك الشهادة ، فحين طلبها منك وجد روحك عالمة ، فنطقت بإلهيته التي عرفتها في عالم الذرِّ ألسنةُ الظواهر ، وتحققتْ بأحديته التي شهدتها قبل التركيب القلوبُ والسرائر[2] .

الشرنوبي :

أطلعك سبحانه على وحدانيته بتجلي أنوار المعارف على قلبك ، حتى شاهدت ذلك على حسب قدرك ، من قبل أن يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك ، فإن الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المذكور والمعبود ، فنطقتْ بما يدل على ألوهيته الجوارح ، بأن أتت بالأعمال التي تكاد تنطق بعظمة ذي الجلال[3] .



أكرمَكَ بكراماتٍ ثلاث : جعلكَ ذاكرًا له ، ولولا فضلُهُ لم تكن أهلًا لجريان ذكرِه عليكَ ، وجعلكَ مذكورًا به ، إذ حقَّق نسبتَه لديك ، وجعلك مذكورًا عنده ، فتمَّم نعمتَه عليك .

الرندي :

أكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات ، جمع له فيها كل المفاخر والمحامد : **أولها** : كونه ذاكرًا له ، بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ، ومن أين له ذلك ؟! وبأي وسيلة ناله ، لولا فضل الله تعالى وكرمه ؟! **ثانيها** : كونه مذكورًا به ، **فيقال** : هذا عبد الله ووليه ، وصفيُّه ، ومختاره ، وذلك بما أكرمه الله به من تحقيق النسبة إليه ، وهي إثبات الخصوصية له ، **وثالثها** : كونه مذكورًا عنده ، وهذه هي غاية الإكرام[4] .

---

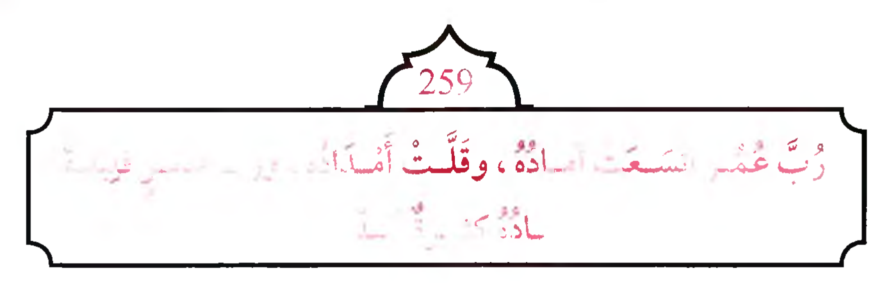
(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 218 ، 219 .
(2) إيقاظ الهمم : ص 447 ، 448 .
(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 241 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 191 ، 192) .

زرُّوق :

الكرامات الثلاث كلُّها في ذكره ؛ الأولى ذكرك إيَّاه ، وهو لا يليق بك من حيث أنت ، ولا تقدر على تحصيله لنفسك ، فحصوله منَّة منه وفضل ، وجعلك مذكورًا به ، وذلك أنك مذكور به ومنسوب إليه في مواقف ثلاثة : موقف الخلق والاختراع والإيجاد والإبداع ، وموقف الستر والتجميل والإمداد ، وموقف التوفيق والهداية ، وجعلك مذكورًا عنده بالتوفيق أولًا ثم بالثناء آخرًا[1] .

ابن عجيبة :

لقد أكرمك الحق تعالى أيها الإنسان كرامات كثيرة ، وأنعم عليك نعمًا غزيرة ، وأجلُّ الكرامات وأعظمها كرامات الذكر ، ومرجع هذه الكرامات إلى ثلاثة أمور : **الأول** : جعلك ذاكرًا له ومِنْ أين لعبد ذليل أن يذكر سيدًا جليلًا ؟! ولولا فضله عليك لم تكن أهلًا لجريان ذكره على لسانك ، **الثاني** : جعلك مذكورًا به حيث ذكرك بنفسه حين ذكرته ، وإذا كنت مذكورًا بسبب ذكره لك فقد ثبتت خصوصيتك عنده ، فأي كرامة أعظم من هذه ، فقد حقق نسبته لديك حيث أثبت لك الخصوصية ، **الثالث** : حيث جعلك مذكورًا عنده في الملائكة المقربين .



الإمدادات الإلهية التي يمدّ الحقُّ تعالى بها عباده المؤمنين زيادة في إيمانهم ، وتقوية لإيقانهم لا أثر فيها لطول العمر ولا قصره ، فلا تنقص بذلك ولا تزيد به ، ولا تقل ولا تكثر ، وإنما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم ، وبهذا فُضِّلت هذه الأمة على سائر الأمم على قِصر أعمارهم ، وطول أعمار غيرهم .

حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 512 ، 513 .
غيث المواهب العلية : (2 / 193) .
إيقاظ الهمم : ص 449 ، 450 .

زرُّوق :

رُبَّ عُمـر اتسـعت آمـادُهُ وقلَّـت أمداده ، كأعمـار بني إسـرائيل الطويلة ، تعبّـدوا أو لم يتعبّـدوا ؛ لأن هـذه الأمـة تفضَّلَهـم المتعبـد للمتعبد ، وغيره لغيـره ، وربَّ عمـر قليلة آماده كثيـرة أمـداده كأعمـار هـذه الأمـة : متعبّدهم وخليهم فـي مقابلة مَـنْ مضى مـن الأمم[1] .

الشرقاوي :

رُبَّ عُمُـر اتسـعت غاياتـه وأزمنتـه ، وقلـت فوائـده ، كأعمـار الغافليـن عـن اللـه المشـتغلين بشـهوات نفوسـهم ، فإنهـا وإن كانت طويلة فـي الحس فهي قصيـرة في المعنى لقلـة أمدادهـا ، ورب عمـر قليلـة آمـاده كثيرة أمـداده كأعمـار الذاكريـن ، فإنهـا وإن كانت قصيـرة حِسًّـا فهـي طويلـة معنـى لكثـرة أمدادهـا ، وهذا معنـى البركـة[2] .

ابن عجيبة :

كثيـر مـن النـاس طالـت أعمارهـم واتسـعت أزمنتهـم وقلَّـت فوائدهم ،فلـم يحصلوا علـى شـيء ، حيـث اشـتغلوا بالبطالـة والتقصير ، حتـى مضت تلـك الأيام كطيـف المنام ، وكثيـر مـن الأعمـار قلـت أزمنتها وكثـرت فوائدهـا ، فأدركـوا من فوائـد العلـم والأعمال والمعـارف والأسـرار ، فـي زمـن قليـل ، ما لـم يدركـه غيرهم فـي الزمن الكثيـر[3] .



الرندي :

البركة في العمر أن يُرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته ، وانتهاز فرصة إمكانه خشية فواته ، فيبادر إلى الأعمال القلبية والبدنية ، ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية ، وفي أثناء ذلك يصل إليه من المنح الإلهية ، ويشرق عليه من الأنوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ، ولا تنتهي الإشارة إليه ، وكل ذلك في عمر قصير وزمن يسير[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 514 .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 220 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 450 ، 451 .
(4) غيث المواهب العلية : (2 / 194) .

زرُّوق :

البركة : الخير المتدارك ، وبركة العمر بالأعمال والأحوال والعلوم والمعارف ، وذلك لا يحصل إلا عن جمع وتحقق ، وإنما لا يدخل تحت دوائر العبارة لرقته واتساعه ، ولا تلحقه الإشارة للطافته وخفائه ، وإذا كان ما عند الله بهذه المثابة فالقعود عنه من الخذلان لاسيما مع التمكن والإمكان[1] .

الشرقاوي :

من أراد الله أن ينزل البركة في عمره رزقه الإقبال على مولاه ، فأدرك في يسير من الزمن من منن الله مالا يدخل تحت دوائر العبارة ، أي تحت العبارة الشبيهة بالدوائر ، بجامع الإحاطة بما يحويه ولا تصل إليه ، **والمعنى** : إذا أراد الله تعالى أن يبارك في عمر وليٍّ من أوليائه رزقه من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته ، فيبادر إلى الأعمال الصالحة في جميع ساعاته ، فيدرك في يسير من الزمان مالا تحيط به لكثرته وشرفه ، فتعجز عنه العبارة ولا تلحقه الإشارة[2] .

ابن عجيبة :

ليست البركة في العمر بكثرة أيامه وطول أزمانه ، وإنما البركة في العمر أن تصحبه العناية وتهب عليه ريح الهداية ، فيدرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى ، أي من علومه ومعارفه وأسراره ، ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ؛ لأن ما أدركه أوسع من ضيق العبارة ، فقد يدرك العارف من دقائق الأسرار ما تعجز عنه عبارة اللسان ، كل ذلك في أقل زمان[3] .

الشرنوبي :

من بورك له في عمره ، بأن رزق من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام الأوقات ، وانتهاز فرصة الإمكان خشية الفوات ، فبادر إلى الأعمال القلبية والبدنية ، واستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية ، أدرك في يسير من الزمن من المنن الإلهية والمعارف الربانية ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ، ولا تلحقه الإشارة إليه[4] .

---

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 515 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 221 .

(3) إيقاظ الهمم : ص 452 .

(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 243 ، 244 .



الخِـذْلانُ كُلُّ الخـذْلانِ أنْ تَتَفَـرَّغَ مـن الشـواغلِ ، ثـم لا تتوجَّه إليـهِ ، وتَقِـلَّ عَوَائِقُك ، ثُـمَّ لا تَرْتَحِـلَ إليْهِ

الرندي :

مـن الخـذلان أن تصـدَّك العوائـق والشـواغل عـن التوجّـه إلـى اللـه تعالـى والرحيل إليـه ، بـل الواجـب عليك أن تبـادر إلى ذلك وترمـي بالعوائق والشـواغل خَلْـف ظهرك[1] .

الشرقاوي :

عـدم التوفيـق والمعونـة أن تتفـرغ من الشـواغل الدنيوية ، بـأن يكون عنـدك ما يكفيك مـن الدنيـا ، ثـم لا تتوجـه إليـه بالاشـتغال بمـا يقـرِّب من حضرتـه العليـة ، وتقـل عوائقك التـي تمنعـك من الاشـتغال بمـا يقرِّب من مـولاك ، بأن يكـون عندك ما يكفيـك من القوت ولـو مـع الضيق ، ثـم لا ترحل إليه بالاشـتغال بمـا يُقَـرِّب مِنْه[2] .

ابن عجيبة :

إذا قلَّـت شـواغلك فـي الظاهـر وعوائـق فـي الباطـن ، ثم لـم تتوجـه إليه فـي ظاهرك ولـم ترحـل إليه في باطنـك ، فهو علامـة غاية الخذلان الكبيـر ؛ لأن جلَّ الناس ما حبسـهم عـن التوجـه إلـى اللـه إلّا كثرة أشـغالهم الحسـية ، فاشـتغلت جوارحهـم بخدمـة الدنيا في الليالـي والأيـام والشـهور والأعـوام حتى انقـرض العمر كلـه فـي البطالة والتقصيـر ، فهذا هـو الخـذلان الكبير[3] .

الشرنوبي :

الخـذلان التـام المؤكَّـد أن تتفـرغ من الشـواغل ، بـأن كان عنـدك ما يكفيك مـن الدنيا الدنيـة ، ثـم لا تتوجـه إليـه بالاشـتغال بمـا يقرِّبـك إلى حضرتـه القدسـية ، وتقـل عوائقك التـي تثقلـك عن الإقبـال عليـه ، ثم لا ترحـل بكامـل توجهاتك إليـه[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 195) .
(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص221 .
(3) إيقاظ الهمم : ص 453 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 244 .



262

الفِكرَة سَيْرُ القلب في مَيَادِين الأغْيار

الرندي :

الفكرة التي ألزمها العبد وحَضّ عليها : هي سير القلب في ميادين الأغيار فقط ، وهي مخلوقات الله ومصنوعاته ، وأما الفكرة في ذات الله تعالى فلا سبيل إليها ، يَعْتبرُ المتفكرون في آياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته[1] .

زرّوق :

الفكرة هنا التفكّر ، والمقصود استعمال الفكر في استخراج المعلومات فهي سيْر القلب ، أي : مشيه وانتقاله بالنظر في ميدان أي مواقف . **والأغيار** : المخلوقات ، فالقلب يسير بفكره في الخلائق على حسب مراتبه ؛ فتارة يفكّر في وجودهم فيهديه لموجدِهم ، وتارة يفكر في موجدهم فيهديه لتركهم والإقبال عليه ، وتارة يفكّر في معاملتهم فينظر فيها على وجه يليق به وبهم ، وتارة يفكر في موجدهم وما أجرى عليهم فيهديه ذلك لعظمته برؤية ماله فيهم[2] .

الشرقاوي :

الفكرة : سير القلب في مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته من السماء والأرض وغيرهما ، الشبيهة بالميادين ، فجولان القلب في صفوف المخلوقات وأنواع المكوّنات لاستخراج ما فيها من العلوم والعبر والآيات الموصلة إلى العلم بالله تعالى ، وماله من صفات الكمال ونعوت الجمال وغير ذلك[3] .

ابن عجيبة :

الفكرة : هي سير القلب إلى حضرة الرب ، وذلك السير في مجال شهود الأغيار ليستدل بها على وجود الأنوار ، فهذه فكرة أهل الحجاب ، وفكرة أهل الشهود سير الروح في ميادين الأنوار أو سير السرِّ في ميادين الأسرار[4] .

---

(1) غيث المواهب العلية : (2 / 195 ، 196) .

(2) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 517 .

(3) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 222 .

(4) إيقاظ الهمم : ص 454 .

الشرنوبي :

إن الفكرة المأمورين بها إنما هي جولان القلب في مشاهدة المخلوقات الشبيه بالميادين في الاتساع ، فإذا تفكر العبد في وجود المخلوقات هداه ذلك إلى وجود موجدهم ، وهذا تفكُّر العامة ، وإذا تفكر في الدنيا وقلة وفائها للطالبين ازداد تباعدًا عنها ، وهذا تفكر الزاهدين ، وإذا تفكر في الحسنات وما يترتب عليها فعلها وازداد رغبة فيها ، أو في السيئات وما يترتب عليها تركها ظاهرها وخافيها ، وهذا تفكر العابدين التجار ، وإذا تفكر في توارد النعم ازداد محبة في المنعِم بها ، وهذا تفكر العارفين الأحرار[1] .



263

الفِكْرَةُ سِراجُ الْقَلْبِ ، فَإذا ذَهَبَتْ فَلا إضاءَةَ لَهُ

الرندي :

القلب الخالي من الفكرة خالٍ من النور ، مظلم بوجود الجهل والغرور[2] .

زرُّوق :

الفكرة مصباح القلب الذي يمشي به في ظلمة الأغيار فيرى المنافع والمضارَّ ، ويبصر الحق والحقيقة أتمَّ إبصار ، بها يصل إلى الإيمان ، وبها ينتهي إلى العرفان ، وبها يترقى في درجات الإسلام والإيمان والإحسان ، فإذا ذهبت الفكرة لم تكن له إضاءة ، صار شبه الأعمى ، تارة يخطئ وتارة يصيب فيفوته السَّير ويُنفى عنه الخبر فلا يهتدي سبيلًا ولا يقيم دليلًا[3] .

الشرقاوي :

الفكرة : المصباح الذي يضيء فيه فيستنير به ، وبالنور تتجلى حقائق الأمور فيظهر به الحق حقًّا والباطل باطلًا ، فيعرف به عظمته تعالى وجلاله ، ويطلع على خفايا آفات النفس ، ومكايد العدو وغرور الدنيا ، ويعرف وجوه الحيل في التحرز عنها إلى غير ذلك ، فإذا ذهبت فالقلب الخالي عن الفكر خالٍ من النور كالبيت المظلم ، ولا يكون في القلب المظلم إلا الجهل والعمى والغرور[4] .

(1) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 246 .
(2) غيث المواهب العلية : (2 / 196) .
(3) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 518 ، 519 .
(4) شرح حكم ابن عطاء الله للشرقاوي : ص 222 ، 223 .

ابن عجيبة :

الفكرة في عظمة الباري وتوحيده نور ، فإذا كان القلب مشغولًا بالفكرة في عظمة الحق فهو منوَّر بنور الحق ، وإذا خلا من الفكرة في الحق دخلته الفكرة في الأغيار وهي ظلمة ، ولا تجتمع الظلمة والنور أبدًا[1] .

الشرنوبي :

الفكرة بمنزلة السراج للقلب يستضيء بها ؛ لأن بها تنجلي حقائق الأمور ، فيظهر الحق من الباطل ، وتعرف آفات النفس بالتفكر في معائبها ومكائدها ، وتعلم مكائد العدو وغرور الدنيا ونحو ذلك ، فإذا ذهبت الفكرة منه فلا إضاءة له ، فيكون كالبيت المظلم[2] .

264

الفكرة فكرتان : فكرةُ تَصْديق وإيمَان ، وفكرةُ شُهُودٍ وَعِيَان ، فالأولى لأرباب الاعْتِبار ، والثانية لأرباب الشُّهُود والاسْتِبْصار

الرندي :

تقدَّم الآن أنَّ الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار ، وسيره على وجهين : صعود ونزول ، **فالصعود** لأرباب الاعتبار ، وهي فكرة ناشئة عن التصديق والإيمان ، وهذا للسالكين ،وهو حال ترقيهم ، وهو نعت المستدلين بالآثار على المُؤثِّر ، **والنزول** لأرباب الشهود والاستبصار ، وفكرتهم فكرة ناشئة عن الشهود والعيان ، وهذا للمجذوبين وهو حال تدلِّيهم ، وهو وصف المستدلين بالمؤثِّر على الآثار[3] .

زرُّوق :

كلٌّ من الفكرتين ينقسم إلى قسمين ، فهي إذن أربع : **أوَّلها** : فكرة تفيد التصديق والإيمان ، وتجري في دلائل الصنع طلبًا لبرهان الحق وبيان الوجه فيه ، **والثانية** : فكرة تجري مع التصديق والإيمان ، وهي الفكرة فيما دلَّ عليه من لوازمه بعد تحققه كالفكرة

(1) إيقاظ الهمم : ص 455 .

(2) شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي : ص 246 .

(3) غيث المواهب العلية : (2 / 197) .

في عظمة الله وشرف نبيِّه ، وما جاء من أمر الدنيا والآخرة مما كان ويكون ، **الثالثة** : فكرة تقضي إلى الشهود والعيان ، وهي الفكرة فيما يهدي لذلك من عظمة الله سبحانه ، ووجوه التصريف الجاري في خلقه بحكمته وحكمه ، **الرابعة** : فكرة ناشئة عن شهود الحقيقة ومعانيها ، ومرجعها لجولان القلب في بساط التعظيم والإجلال ، ثم الشهود من إشهاد الشهود ، وكشف الوجود حتى يرى كلًّا بحكمته على وجه لا تقدير فيه ولا قياس ، فالفكرة الأولى لأرباب الاعتبار من السالكين ، والمريدين ، والعاملين ، والثانية للذين شاهدوا الحق فعرفوه ، واستبصروا عن التحقيق فأبصروه ، فكانوا يمشون في الخلق تارة بنور الحق ، وتارة بنور الحقيقة[1] .

ابن عجيبة

فكرة أهل التصديق والإيمان هي سير القلب في ميادين الأغيار ، فهم يتفكرون في المصنوعات ؛ ليتوصلوا إلى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته ، وفكرة أهل الشهود والعيان هي سير الروح في ميادين الأنوار قد انقلبت الأغيار في حقهم أنوارًا ، والدلائل مدلولات ، والغيب شهادة ، **فالفكرة الأولى** : لأهل الاستدلال يستدلون بالصنعة على الصانع ، وهم السائرون إلى الله بأنوار التوجه ، **الثانية** : لأرباب الشهود والاستبصار ؛ لأنهم ترقوا من شهود الأثر إلى المؤثِّر ، فما يشهدون إلا أنوارَ الملكوت[2] .

(1) حكم ابن عطاء الله لزرّوق : ص 520 ، 521 .

(2) إيقاظ الهمم : ص 455 ، 456 .